

مكتبة

مؤلف الأناضول
مبيعا في العالم

محاكمة

أليكس كروس

مكتبة ٧١٩

جيمس باترسون



719 | مكتبة
سُر مَنْ قَرَأَ

محاكمة
أليكس كروس

محاكمة أليكس كروس

جيمس باترسون

مكتبة | 719
سُرَّ مَنْ قَرَأَ



بيت اللغات الدولية

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان
هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والنتيجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين، كما أننا لن نتحمل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى ٢٠١٩

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لشركة بيت اللغات الدولية

ARABIC edition published by **International Languages Home**.

Copyright © 2019. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو أية وسيلة أخرى .

إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاء شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاء عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

Copyright © 2017 by James Patterson

This edition arranged through Kaplan/DeFiore Rights

العنوان: 39 شارع خاتم المرسلين - الهرم - الجيزة - جمهورية مصر العربية

تليفون وفاكس: +2 02 37811478 - +2 02 35858900

موقعنا على الإنترنت: www.languageshome-eg.com

صفحتنا على الفيس بوك: @ilh98

لمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: info@languageshome-eg.com



THE PEOPLE VS. ALEX CROSS

**JAMES
PATTERSON**



بيت اللغات الدولية

إشادات بسلسلة الروايات المثيرة أليكس كروس للمؤلف جيمس باترسون

رواية محاكمة أليكس كروس

"خمس نجوم لهذه الرواية التي تخطف الأبصار وتذهل العقول".

– موقع Sissireads.com

Cross The Line

"نهاية مذهلة تحافظ على استمرار الحكمة الروائية على مدار الروايات التالية من السلسلة وربما بعدها... سوف تستمر هذه السلسلة لتصبح من السلاسل التي تستحق القراءة، وتعاد قراءتها، مرة بعد أخرى لفترة طويلة من الزمن".

– موقع BookReporter.com

Cross Justice

"رواية جذابة وجريئة وتغطي كل الجوانب التي يجب أن تحويها روايات الإثارة والتشويق. لقد لبي جيمس باترسون جميع التوقعات منه بهذه الرواية. إنها رواية رائعة وغير متوقعة".

– موقع SeriousReading.com

Hope To Die

"بها الكثير من الحركة التي تستمر مع أليكس كروس حتى النهاية. لقد نجح جيمس باترسون مجددًا في تقديم تحفة روائية ممتعة، مستخدمًا مواهبه المذهلة في سرد القصص. سيجد القراء أن هذه الرواية تقترب كثيرًا – على

مستوى الحركة والغرابة – من بعض أفضل الروايات في هذه السلسلة، بما فيها *Kiss The Girls* و *Along Came A Spider*.

– مجلة *Suspense*

Cross My Heart

"منذ ٢٠ عامًا كتبت: إن رواية *Along Came A Spider* أفضل روايات التشويق والإثارة التي قرأتها منذ عدة سنوات، وتستحق أن تكون الرواية الأكثر مبيعًا في الموسم، ويجب أن تجعل من جيمس باترسون اسمًا كبيرًا في عالم تأليف الروايات... وقد أصبح اسمًا كبيرًا بالفعل. هنيئًا لك يا جيم على ٢٠ عامًا من روايات أليكس كروس وعلى رواية *Cross My Heart* التي أحببتها كثيرًا. أنت رجل الساعة".

– نيلسون دي ميل

"بعد ٢٠ عامًا من أولى الروايات التي ظهر بها أليكس كروس، أصبح أحد أعظم المحققين في تاريخ الروايات البوليسية، بل أصبح شخصية تناسب كل العصور. لقد أصبحت رواية *Cross My Heart* أكثر روايات أليكس كروس رعبًا وإبهارًا؛ حيث تمتلئ بتقلبات الأحداث والانحرافات الكبيرة عن حبكة الرواية، والتشويق بلا حدود. يا لها من رواية شائقة ليس لها نظير!".

– دوغلاس بريستون ولينكون تشايلد

"لم يخش باترسون من إحداث تغييرات جذرية في حياة أليكس كروس، ومن أجل هذه الرواية الصادرة بمناسبة مرور ٢٠ عامًا على بداية السلسلة، تمكن من إحداث الكثير من التغييرات أكثر مما كان يفعل عادة".

– موقع BookReporter.com

"رواية *Cross My Heart* من أفضل روايات السلسلة لأنها مليئة بالتشويق الشديد، مع تحول مفاجئ في الأحداث في نهايتها... حيث تترك القراء متشوقين للمزيد".

- موقع WestOrlandoNews.com

Merry Christmas, Alex Cross

"ربما كانت رواية *Merry Christmas, Alex Cross* تحمل طابع روايات العطلات، ولكنها رواية تشويق وإثارة تصلح للقراءة طوال العام... وهي من أفضل روايات باترسون حتى الآن".

- موقع [Book Reporter.com](http://BookReporter.com)

"سيتشوق القراء كثيرًا".

- موقع BookLoons.com

"مفعمة بالحركة... سنرى أليكس متورطاً في الكثير من المتاعب من جميع الاتجاهات".

- موقع AlwayswithaBook.blogspot.com

"لقد كان وصفه العنيف دقيقاً للغاية ومثيراً للمشاعر، ويمكنني أن أقول بكل صدق إنه تمكن من تحريك مشاعري في معظم المشاهد... هذه الرواية إضافة ممتازة للسلسلة".

- موقع RitualoftheStones.blogspot.com

Alex Cross, Run

"هذا الرجل أستاذ في فن الإثارة والتشويق. إنه يعرف جيداً كيف يزيد الطلب على رواياته وكيف يكتب روايات التشويق، وكيف يحبك قصصه بدقة... إن رواية *Alex Cross, Run* تدل على وصول براعة باترسون إلى حدها الأقصى... أنها عمل رائع يستحق القراءة من أعمال روائي قدير".

- موقع Brietbart.com

"مذهلة... لم يُظهر باترسون أية نية للتراخي، بل أظهر كل الأدلة على أن مخزونه من الأفكار لا ينضب مطلقًا، والأهم من كل هذا، أن مخزونه من الشخصيات لا ينضب أيضًا".

- موقع BookReporter.com

"مسلية وسهلة القراءة".

- مدونة ReaderRefuge.blogspot.com

Kill Alex Cross

"رواية تشويق وإثارة تهتم في جوهرها بالعائلة... وهي دليل على وصول براعة باترسون إلى ذروتها".

- ليزا سكوتوليني، واشنطن بوست

"قمة الإثارة... كعادة باترسون".

- واشنطن تايمز

"حركة لا نهاية لها... تشويق... نهاية عظيمة. سيفاجئك باترسون بنهاية سترغب في قراءتها أكثر من مرة لتتأكد من أنك استوعبتها بالشكل الصحيح".

- مدونة AlwayswithaBook.blogspot.com

Cross Fire

"سريعة الأحداث... وسوف تجعلك تقلبات الأحداث وانحرافات تحاول تخمين ما سيحدث فيما بعد، ولن تصدق ما سيحدث في النهاية... رواية أخرى عظيمة وجذابة عن القتل والفوضى - بأسلوب أليكس كروس المعتاد! لقد واجهت صعوبة كبيرة في تركها من يدي!".

- مدونة BibliophilicBookBlog.com

"يجب ألا تفوت هذه الرواية التي ستغير حياتك... والتي ستجعلك تقلب الصفحات التي تحوي تشويقاً لا ينتهي".

– مدونة BeyondtheBookshelf.com

I, Alex Cross

"لم تصدر من قبل رواية تحوي هذا الكم من الأحداث الخطيرة... فهي ليست مجرد رواية بوليسية مثيرة، بل دراما عائلية ممتعة للغاية".

– موقع NightstandWeekends.com

"رواية مثيرة ستستحوذ على أفكارك وستجعلك تواصل تقلب الصفحات الواحدة تلو الأخرى طوال الليل".

– موقع FictionAddict.com

Alex Cross's Trail

"قليل من التشابه مع رواية *To Kill A Mockingbird* وكثير من التوجهات الجديدة في أسلوب جيمس باترسون".

– موقع TheReviewBoards.com

"رواية جذابة ولا يمكن نسيانها... وهي تقدم دراما قوية وتشويقاً شديداً، والقصة التي ترويها مهمة للغاية".

– موقع NightstandWeekends.com

Cross Country

"أكثر روايات أليكس كروس إثارة وسرعة ورعباً حتى الآن".

– موقع FantasticFiction.com

"مثيرة وشائقة ومشحونة بالعواطف".

– موقع BestsellersWorld.com

Double Cross

"مثيرة وقوية... سيشعر الجمهور بالكثير من التشويق".

- موقع NightstandWeekends.com

"إحدى كلاسيكيات باترسون... رواية سريعة الحركة وشائقة ومليئة بالتحويلات المفاجئة في الأحداث... لن تكون حياة جمهور باترسون أكثر روعة من هذا".

- موقع 1340MagBooks.com

Cross

"تمر أحداث هذه الرواية بسرعة مذهلة".

- بوكليست

"رواية رائعة أخرى من تأليف جيمس باترسون. انتظروا حتى تقرأوها".

- موقع ArmchairInterviews.com

"رواية ذكية ومباشرة، وهي تثير الاهتمام وتزيد الزخم من خلال فصول قصيرة ومختصرة تجذب القراء وتجعلهم يدمنون هذا الأسلوب".

- موقع TheMysterySite.com

Mary, Mary

"إن التشويق في رواية باترسون الأخيرة يقود إلى ذروة أحداث مفاجئة ومذهلة".

- بوكليست

"تنساب أحداث رواية *Mary, Mary* بسلاسة وصولاً إلى قمة التشويق في نهايتها، مع تحولات مذهلة في الأحداث، وصراع نفسي سيأسر لب الكثيرين من جمهور المؤلف".

- ليبراري جورنال

"سرعة باترسون الأسرة في عرض الأحداث في فصول لا يزيد عدد صفحاتها على ٣ أو ٤ صفحات ستجعلك تظل تقرأ حتى ساعة متأخرة من الليل... كما أن الرواية تحوي تحولاً عظيماً في الأحداث".

- فورت وورث ستار - تلجرام

London Bridges

"مثيرة... مليئة بالتشويق ومشحونة بالعواطف والشخصيات... هذه رواية تشويق رائعة... وكل مؤلفي روايات التشويق والإثارة، أو من يرغبون في أن يكونوا كذلك، يجب أن يدرسوا هذه الرواية بتأن".

- بابليشرز ويكلي

"كما هي الحال مع أعمال باترسون المميزة، من المستحيل أن تتمكن من التوقف عن قراءتها بمجرد أن تبدأ".

- موقع BookReporter.com

The Big Bad Wolf

"أقوى وأعنف روايات أليكس كروس منذ سنوات".

- ليبراري جورنال

"ممتعة للغاية... أفضل روايات كروس منذ سنوات".

- بابليشرز ويكلي (مراجعة نقدية)

"قوية... ستجعل ضربات قلبك تتسارع كثيراً".

- أورلاندو سنتينل

Four Blind Mice

"سريعة الأحداث... مليئة بالحركة".

- مجلة بيبول

"مثيرة".

- نيويورك تايمز

"سريعة... ممتعة".

- سان فرانسيسكو كرونكل

Violets Are Blue

"ممتعة بشدة... ومخيفة بإمتاع... الخلاصة: رواية مرعبة ورائعة".

- مجلة بيبول

"تخطف العقول مثل جميع أعمال باترسون... لن يكون أمامك خيار سوى قراءتها".

- دنفر روكي ماونتين نيوز

Roses Are Red

"مثيرة... سريعة... تجعلك تواصل القراءة".

- مجلة بيبول

"لا توجد روايات يمكن قراءتها بسرعة أكبر من روايات باترسون التي يكون أليكس كروس بطلها. لا أستطيع الانتظار حتى صدور الرواية التالية".

- دنفر روكي ماونتين نيوز

Pop Goes The Weasel

"سريعة وشائقة... من بين الشخصيات الشريرة التي ابتكرها باترسون، أرى أن شافر هو الأسوأ".

- شيكاغو تريبيون

"لقد تفوق باترسون على نفسه مجدداً. إن هذا الرجل هو الأبرع على الإطلاق في هذا النوع من الروايات. إننا كجمهور نتمنى منه شيئاً واحداً: اكتب بسرعة أكبر".

- لاري كينج، يوايس إيه توداي

Cat & Mouse

"النموذج الأساسي لروايات التشويق والإثارة العصرية".

- سان دييجو يونيون-تريبيون

"جولة في أرجوحة أفعوانية تعطلت مكابحها".

- شيكاغو تريبيون

Jack & Jill

"لحسن الحظ، أعاد باترسون محقق جرائم القتل أليكس كروس لمسرح الأحداث... إنه من نوعية الشخصيات المعقدة التي تجعل أية تحولات في الأحداث قابلة للتصديق".

- مجلة بيبول

"كروس من أفضل الشخصيات وأكثرها قبولاً في روايات التشويق والإثارة المعاصرة".

- سان فرانسيسكو إيكسامينر

Kiss The Girls

"من الصعب التوقف عن قراءتها... إنها تدق مثل القنبلة الموقوتة، ولا تخلو صفحة منها من الخطر والتوتر".

- لوس أنجلوس تايمز

"أفضل ما يمكن العثور عليه في رواية إثارة وتشويق".

- سان فرانسيسكو إيكسامينر

Along Came A Spider

"لقد فعل بنا جيمس باترسون كل شيء عدا جعلنا نضع أصابعنا في القابس الكهربائي لنُصعق".

- نيويورك تايمز

"عندما يتعلق الأمر بصنع حبكة روائية محكمة، ليس هناك من هو أبرع من جيمس باترسون... إن جيمس باترسون بالنسبة لروايات التشويق مثل دانييل ستيل بالنسبة للروايات الرومانسية".

- نيويورك ديلي نيوز

المحتويات

تمهيد

ليلة صيف حارة

13

الجزء الأول

البلاتين يدمر المخ

23

الجزء الثاني

ابن القاتل

57

الجزء الثالث

محاكمة أليكس كروس

153

الجزء الرابع

دفاعًا عن أليكس كروس

259

الجزء الخامس

جميع الشقراوات يجب أن يمتمن

349

نبذة عن المؤلف

407

تمهيد

ليلة صيف حارة

أولاً

من داخل منزل أبيض اللون يعمه الضجيج، مبني على الطراز الاستعماري، ويقع بشارع ظليل تفوح فيه رائحة الزهور البرية المفتحة، تصاعد صوت امرأة تنادي بلهجة جنوية لطيفة: "توتو؟ أين أنت؟ ماما تريد منك أن تذهب إلى المتجر في الحال".

خيم الصمت لفترة قبل أن تنادي مرة أخرى: "توتو؟ ديوس؟".

كان تيمي ووكرا الابن، المعروف باسم توتو أو ديوس، صبيًا في الثانية عشرة من عمره، وكان يقف داخل غابة الشجيرات المحاذية لباحة منزله الخلفية. قال ديوس في نفسه: "أذهب إلى المتجر؟ كانت لديه أمور ليفعلها أفضل من ركوب دراجته إلى المتجر ثم العودة إلى والدته. في واقع الأمر، كانت لديه أمور أفضل بكثير ليفعلها".

انفتح باب الشرفة الخلفية مصدرًا صريرًا مزعجًا. ونادته والدته قائلة: "ديوس، تعال إلي الآن. سأصحبك لتناول الثلجات في وقت لاحق!".

كان العرض مغريًا، إلا أن ديوس التزم بخطته؛ فسلك طريقًا يعرفه جيدًا يقود إلى منحدر ومنه إلى طريق قديم للحطابين، مرورًا بجدول متعرج يشق طريقه عبر الغابة. كان النهار على وشك الزوال، وكان النور خافتًا ونحاسي اللون، وكان الهواء حارًا ولزجًا.

كان ديوس يمسك بمنظار قديم أعطاه إياه جده، وفكر: الهواء حار ولزج. هذا جيد. يبدو أن هناك الكثير من الأنشطة عندما يكون الهواء حارًا ولزجًا في هذا الوقت من اليوم، مع اقتراب الليل.

نظر ديوس إلى قميصه القطني وسرواله القصير المموهين وفكر: إنني أرتدي الملابس المناسبة. سيمكثني الاقتراب كثيرًا، كما أنني أحمل المعدات المناسبة.

أخذ البعوض يصدر طنينًا حول رأسه، فضرب واحدة قرصت أذنه، وبدأ يسمع أصوات حشرات الأشجار وهي ترتفع، وشم رائحة الدخان الآتية من نار موقدة على مسافة بعيدة، فوضع يده في جيبه وأخرج سيجارة كان قد أخذها من علبة سجائر والدته السرية.

أشعل السيجارة، وأخذ منها نفسًا، ثم نفث دخانها نحو البعوض، فهرب بعضه بعيدًا.

كان ديوس لا يزال يدخن السيجارة عندما عبر الجدول وحافظ على مساره على طريق الحطابين القديم الذي كان يحاذي مجرى الماء على طول كيلومتر ونصف قبل أن يفترقا، فانحرف نحو اليسار، وبدأ يصعد التل، وكان يتوقف كل بضع لحظات ليسترقق السمع. لا شيء.

ورغم ذلك، كان الصبي واثقًا بأنه سيرى أمرًا مثيرًا الليلة؛ فهذه الساعة المتأخرة من ظهيرة يوم الجمعة هي ساعة الاستماع المثالية، والوقت هو نهاية الصيف، وهو وقت الاستماع المثالي أيضًا. لقد تعلم هذا الأمر بنفسه، أليس كذلك؟

عندما اقترب ديوس من قمة التل، وضع على رأسه شبكة مموهة تكاد تضاهي قميصه القطني وسرواله القصير، ثم تسلق ببطء قمة التل، ممعناً النظر عبر فروع وأوراق الأشجار المتشابكة بينما كانت أشعة الشمس الذهبية تلقي خيوطها الأخيرة لهذا اليوم. لا شيء.

خطا خطوة. لا شيء. خطوة أخرى.

هناك!

ابتسم ديوس، وانحنى، ثم بدأ يهبط منحدرًا يقود إلى بقعة خالية من الأشجار في نهاية طريق ترابي تظهر فيه آثار إطارات سيارة عبرته. كانت هناك زجاجات مشروبات وأغلفة أطعمة متناثرة في كل مكان، وكومة من

الخطب، وعلى الجانب الآخر من البقعة الخالية من الأشجار، كانت تقف سيارة تويوتا كامري زرقاء اللون.

كان محرك السيارة مطفأ، وكانت النوافذ مغلقة، ولم يكن هناك صوت موسيقى قادم من داخل السيارة. كان ديوس واثقاً بسبب وجود هذه السيارة هنا. رفع المنظار إلى عينيه ونظر عبر البقعة الخالية من الأشجار إلى المقعد الخلفي من السيارة، حيث كان هناك جسدان يتحركان.

رأى ديوس جزءاً من أحد الجسدين، وكانت فتاة!

رائع!

فتاة شقراء تحديداً. أكثر من رائع!

جلست الفتاة فجأة؛ كانت في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة، وكانت جميلة! ثم ظهرت بجوارها فتاة شقراء أخرى، أصغر سنًا وأكثر جمالاً من الأولى.

مكتبة | 719
سُرَّ مَنْ قَرَأَ

ثانياً

اعتقد الصبي البالغ من عمره ١٢ عاماً أنه سيُصاب بأزمة قلبية؛ فقد كان المشهد كفيلاً بجعل أنفاسه تنقطع. أزاح ديوس المنظار المقرب من فوق عينيه وهو يرتجف، ثم وضعه في جيبه، وأخرج هاتفه الآي فون 4 الذي اشتراه مستعملاً عبر شبكة الإنترنت، ويحث عن أيقونة الكاميرا وضغط عليها.

فكر ديوس: سوف يكون مشهداً ملحمياً، ولكن ينسأه أحد.

خطا خطوة صغيرة، ثم خطوة أخرى أدخلته مباشرة إلى المنطقة الخالية من الأشجار. ركز لدقيقة على الفتاتين الجالستين في المقعد الخلفي للسيارة، ولكنه لم يرفع منظاره المقرب ليلقي نظرة أخرى عن قرب. لقد صارت لديه مهمة الآن. غير ديوس وضعية الكاميرا إلى تصوير الفيديو وضغط على زر التسجيل.

ظل ديوس محتمياً بالأشجار، مختبئاً بين ظلالها، ودار حول المنطقة الخالية من الأشجار، ومر بكومة الحطب متجهاً نحو السيارة الكامري، واقترب من نهايتها واستدار نحو جانبها الأيمن. تخيل نفسه نمراً وبدأ يتحرك ببطء وحذر حتى أصبحت السيارة والفتاتان في مجال بصره وأسفل منه بقليل، لا تبعدان عنه أكثر من مترين.

من هذه الزاوية، رأى أن الفتاتين قد أصبحتا واضحتين تماماً، وحينها شعر بالارتباك والانبهار، وكان جزءاً منه يرغب في أن يقترب أكثر، وأن يذهب إلى المقعد الخلفي إن استطاع، ولكن هذا لن يفيد به شيء، أليس كذلك؟

ركز عدسة الهاتف على الفتاتين جيداً، ولم تكن الإضاءة سيئة. كان على يقين بأن هذا المشهد سيكون سبقاً بالنسبة له، وقال لنفسه: شقراوان؟ سأصبح بطلاً.

كادت ضحكة عالية تفلت من بين شفتي ديوس، ولكنه تسمّر في مكانه عندما مدت إحدى الفتاتين يدها اليسرى وأمسكت بكتف الفتاة الأخرى، ثم سحبتهما نحو الأسفل...

سمع الصبي صوت هدير محرك، فتلفت حوله. كان الصوت يبدو كأن هناك سيارة تقترب بسرعة من المنطقة الخالية من الأشجار. سمعت الفتاتان صوت السيارة أيضاً.

زمجر ديوس قائلاً: هل تمزحون معي؟

سمع ديوس صرخة مكتومة، فنظر نحو السيارة ووجد إحدى الفتاتين تنظر إليه من وراء زجاج النافذة.

صاحت الفتاة: "هناك صبي منحرف يرتدي ملابس مموهة يقف بالخارج. إنه يصورنا".

شعر ديوس بالذعر وفر هارباً. ظل يجري إلى داخل الغابة ثم انحرف نحو الطريق الذي أتى منه، وظل يعدو قافزاً من فوق جذوع الأشجار ومنحنياً من تحت أفرعها، وارتسمت على وجهه ابتسامة ظافرة كما لو أنه فر للتو من قصر أحد الملوك حاملاً جوهرة التاج في جيبه.

وبطريقة ما، ألقي نظرة خاطفة على الهاتف الذي يمسكه بقوة في يده بينما كان يعدو بأقصى سرعته عائداً من حيث أتى. لم يكن مقطع الفيديو ملحمياً مثلما كان يأمل، ولكنه كان لا يزال...

وفجأة سمع صوت محرك سيارة داخل البقعة الخالية، ثم صوت مكابح، ثم سمع صراخ إحدى الفتاتين.

توقف ديوس ونظر خلفه. كان العرق يفرق وجهه، ثم انحنى لينظر نحو البقعة الخالية من خلف الأشجار الكثيفة.

كان الصبي يريد أن يرحل، وأن يعود لبيته بسرعة، وأن يرفع مقطع الفيديو على حاسبه، ويقضي الليل سعيداً بانتصاره قبل أن يحاول معرفة أي من المواقع الإلكترونية قد يرغب في شرائه، ولكن، تغلب عليه فضوله، فعاد أدراجه نحو حافة البقعة الخالية من الأشجار.

كانت الشمس في طريقها إلى المغيب، وكانت الظلال تزحف على البقعة الخالية في وسط الغابة. كانت هناك شاحنة فورد صغيرة تقف بجوار السيارة الكامري، حاجبة عن ديوس رؤية الفتاتين.

رفع ديوس المنظار المقرب إلى عينيه، ورأى أن نوافذ الشاحنة الصغيرة داكنة اللون، وكانت هناك لافتة مغناطيسية على جانب الشاحنة المواجه له مكتوب عليها "شركة دش نتورك لأطباق الاستقبال".

طبق استقبال؟ هنا؟ ألا يبدو هذا مثل...

صرخت إحدى الفتاتين من الجانب الآخر من الشاحنة: "لا، أرجوك لا تفعل هذا. النجدة! أيها الصبي، ساعدنا! أيها الصبي، ساعدنا!".

أدرك ديوس أنها تصرخ مستجدة به، ولم يدر ما عليه فعله. بعد ذلك سمع صرخة أخرى، أشد وأكثر رعباً. وكانت إحدى الفتاتين تبكي وتنتحب وتطلب الرحمة.

بدأ ديوس يرتجف من فرط الخوف، وسمع صوتاً داخل عقله يصرخ فيه: اهرب.

سمع صوت انغلاق باب السيارة، وصوت انزلاق باب الشاحنة ليُغلق أيضاً، حاجباً صرخات الفتاتين.

فكر ديوس: ربما أخطأت بتصوير هذا الفيديو، ولكن الأمر برمته صار خطيراً للغاية. يجب أن أفعل شيئاً.

بحث في جيبه بسرعة، وأخرج عدسة تقريب صغيرة وثبتها على عدسة كاميرا هاتفه، وغيّر وضعية الكاميرا للتصوير الفوتوغرافي من أجل دقة تصوير أعلى، وقرب الصورة مركزاً على لوحة أرقام الشاحنة الخلفية، والتي أضاءتها الأنوار، والتي كانت تقف على بعد حوالي ٥٥ متراً.

أضيت أنوار الشاحنة العلوية، وأدير المحرك. كانت الشاحنة على وشك الرحيل.

ضغط ديوس زر الصوت العلوي لهاتفه الآي فون ليصور من دون فلاش أو تركيز تلقائي. *كليك، كليك، كليك*. تمكن من التقاط ٥ صور قبل أن تتحرك الشاحنة وتزداد سرعتها وتغادر البقعة الخالية من الأشجار.

راقب الصبي الشاحنة وهي ترحل، ثم رفع المنظار المقرب إلى عينيه وألقى نظرة على السيارة الكامري التي كانت تبدو خالية تحت آخر ضوء لشمس النهار، ولا تصدر منها أية حركة. لقد اختفت الفتاتان.

بدأ جسد الصبي يرتجف، وشعر بالغيثان. لقد كانت هاتان الفتاتان تصرخان.

قرر ديوس أنه يجدر به أن يفعل شيئاً. كان بحاجة لأن يمحو مقطع الفيديو، وأن يخلق قصة مقنعة عن سبب رؤيته لكل ما حدث، ومن ثم يخبر الشرطة، التي ستذهب للعثور على السيارة الكامري، ومن ثم تكتشف مكان تواجد الفتاتين، وتعثر على صاحب شاحنة أطباق الاستقبال هذه. ويجب أن يفعل هذا في أسرع وقت ممكن.

نظر إلى هاتفه، وطلب رقم النجدة (٩١١). ولكن لم تكن هناك تغطية في هذا الجزء من الغابة، وظهرت على الشاشة عبارة "لا توجد خدمة". كان عليه أن يذهب إلى الجانب الآخر من الجدول حتى يحصل على تغطية من شبكة الهواتف المحمولة.

نظر ديوس حوله، وحدد اتجاهاته، وتوجه نحو طريق الحطابين. كان الظلام يخيم بسرعة كبيرة، ولكنه كان يتجول في الغابة منذ كان في الرابعة من عمره.

عندما وصل الصبي إلى طريق الحطابين، كان القمر شبه الكامل يسطع من خلفه. بدأ الصبي يعدو وصعد منحدرًا أوصله إلى قمة التل.

عندما وصل ديوس إلى المكان الذي ينحدر عنده طريق الحطابين نحو الأسفل مرة أخرى، لمح شيئاً داكناً وثقيلاً وطويلاً يتجه نحوه.

حاول أن ينحني، ولكن كان الأوان قد فات!

ارتطم ساعد بعنق الصبي ودفعه نحو الخلف. انزلقت قدما ديوس من تحته، وارتج الجزء العلوي من جسده وذراعاها ورأسه قبل أن يصطدم بأرض طريق الحطابين.

شعر الصبي بأن عظامه قد تكسرت بفعل الاصطدام، واصطدم رأسه بالأرض بقوة، وانفتحت ذراعه وقدمه المخدرتان على اتساعهما، وطار هاتفه الآي فون داخل الغابة، ومعه كل الهواء الذي كان في رئتيه.

غاب ديوس عن الوعي لثانية أو ثانيتين ولم يكن يرى إلا ظلالاً وظلاماً، ولم يكن يسمع شيئاً عدا صوت الحشرة الخارجة من حلقة، ولم يكن يشعر بشيء سوى الألم الذي بدا كأنه يشمل جسده بالكامل.

ثم سمع الصبي صوت رجل يقف بجواره تماماً يقول: "ها أنت ذا. أين كنت تحسب نفسك ذاهباً، أيها الشاب الصغير؟".

الجزء الأول

البلاطين يدمر
المخ

الفصل

I

نظرت إلى مرآة غرفة نومي وحاولت أن أعقد ربطة عنقي بطريقة مثالية. كان هذا أمرًا بسيطًا، طقسًا أؤديه كل يوم قبل ذهابي إلى العمل، ولكنني لم أتمكن قط من أدائه بالشكل الصحيح.

قالت بري وهي تنسل إلى جانبي: "انتظر يا أليكس، دعني أساعدك". تركت ربطة العنق معلقة حول رقبتني وقلت: "إنني فقط متوتر بعض الشيء". قالت بري وهي تتحرك لتقف أمامي لتعدل طول طرفي ربطة العنق: "هذا أمر مفهوم".

كنت أطول من زوجتي بحوالي ١٥ سم، فحدقت نحو الأسفل متعجبًا من مدى السهولة التي عقدت بها ربطة العنق.

قلت: "لا يستطيع الرجال فعل هذا. إننا نقف دائمًا من الخلف لنعقد ربطة العنق بالشكل الصحيح".

قالت بري: "إنه مجرد منظور مختلف"، ثم أحكمت ربط العقدة حول تفاعحة آدم في عنقي وعدلت من وضع الياقة المنشأة. ترددت قليلًا، ثم نظرت نحو يبعينها الواسعتين المليئتين بالخوف وقالت: "أنت جاهز الآن".

شعرت بالغثيان في معدتي وقلت: "هل تعتقدين هذا؟". قالت بري وهي تقف على أصابع قدميها وتميل رأسها نحو الخلف: "إنني أثق بك. جميعنا يثق بك".

قبلتها وأحطت خصرها بذراعيّ.

وقلت لها: "أحبك".

قالت بري: "دائمًا وإلى الأبد".

عندما أبعدت ذراعي عنها، كانت الدموع تترقرق في عينيها.

قلت لها وأنا ألمس وجنتها: "يجب أن تتحلي بالقوة الآن. تذكرني ما أخبرتنا

به مارلي وناعومي".

أخرجت منديلًا ورقياً ومسحت دموعها بينما كنت أرتمي معظفي.

سألت بري: "هل هذا أفضل؟".

قلت وأنا أفتح باب غرفة نومنا: "رائع".

كانت غرف النوم الثلاث الأخرى التي تطل على رواق الطابق الثاني مفتوحة

الأبواب ومطفأة الأنوار، فهبطنا إلى الطابق الأرضي؛ حيث كانت عائلتي

متجمعة في المطبخ: نانا ماما جدتي ذات التسعين عامًا؛ ابني الأكبر دايمون،

الذي يدرس في جامعة جونز هوبكنز؛ ابنتي جيني، التي تدرس في السنة الأولى

من المدرسة الثانوية والعداءة البارعة؛ وابني الأصغر علي، في التاسعة من

عمره. كانوا جميعًا يرتدون ملابسهم الرسمية كما لو كنا ذاهبين إلى جنازة.

نظر إليّ علي وبدأ يبكي، ثم جرى نحوي وعانقني.

قلت وأنا أربت رأسه: "اهدأ، اهدأ".

بكى علي قائلاً: "هذا ليس عدلاً. إن ما يقولونه عنك ليس صحيحاً".

قالت نانا ماما: "بالطبع ليس صحيحاً. كل ما سنفعله هو أن نتجاهل الجميع

بدون استثناءات".

قالت جيني: "يمكن للكلمات أن تجرح يا نانا. إنني أشعر بما يشعر به. يجدر

بك رؤية ما يُقال على شبكات التواصل الاجتماعي".

قالت بري: "تجاهلي كل هذا. سوف نقف بجوار والدك؛ فالعائلة تأتي أولاً".

ثم ضغطت بيدها على يدي.

قلت: "دعونا ن فعل ذلك إذن. ارفعوا رءوسكم عاليًا، ولا تشتبكوا مع أحد".

أمسكت نانا ماما كتابها الصغير وقالت: "ولكنني أريد أن أشتبك مع أحدهم.

أريد أن أضع مقلاة في حقيبة يدي هذه ثم أضرب بها أحدهم".

توقف علي عن النحيب وبدأ يضحك قائلاً: "هل تريد أن أحضر لك

واحدة يا نانا؟".

قالت الجدة: "في المرة المقبلة، ولن أستخدمها إلا إن استفزني أحدهم".
قال دايمون: "ليرحمهم الله إذن يا نانا"، وضحكنا جميعاً.
بعدما شعرت بأنني في حال أفضل قليلاً، نظرت إلى ساعتني. كانت تشير
إلى الثامنة إلا الربع.

قلت: "هيا بنا"، ثم توجهت نحو باب المنزل الأمامي.
توقفت على عتبة الباب منصتاً لصوت خطوات عائلتي وهي تصطف خلفي.
أخذت نفساً عميقاً، وأرجعت كتفي للخلف كما يفعل جندي مشاة البحرية
في وضع الانتباه، ثم أدت مقبض الباب، وفتحته، وخطوت خارجه إلى شرفة
منزلي.

سمعت صوت امرأة تصيح: "ها هو ذا".
سطعت أنوار فلاش الكاميرات وارتفع هدير الصيحات الصادرة من
الحشد الصغير المكون من المراسلين الصحفيين والكارهين المتجمعين على
الرصيف المواجه لمنزلنا بالشارع رقم ٥ بجنوب شرق العاصمة واشنطن.
كان هناك ١٥ أو ٢٠ شخصاً، كان بعضهم يحمل كاميرات، وبعضهم
يمسكون بميكروفونات، وآخرون يحملون لافتات تدينني، وكان الجميع إما يلقون
عليّ أسئلة أو يصبون عليّ اللعنات. كان هناك صخب شديد ولم أتمكن من
سماع ما يقوله أي منهم، ثم رفع رجل ذو صوت جهير صوته ليكون أعلى من
صوت الصخب.

وصاح قائلاً: "هل أنت مذنب يا دكتور كروس؟ هل أطلقت النار على هؤلاء
الناس بدم بارد؟".

الفصل

2

توقفت سيارة شيفروليه سوبربان سوداء ذات نوافذ معتمة أمام منزلي.
قلت متجاهلاً الأسئلة التي تنهال عليّ من كل جانب: "ابقوا قريبين مني"،
ثم أشرت إلى دايمون وقلت له: "ساعد نانا ماما من فضلك".
وقف ابني الأكبر إلى جوار الجدة وتحركنا جميعاً كوحدة واحدة هابطين
الدرج وبدأنا نسير على الممر في حديقة المنزل.
وضع أحد المراسلين الميكروفون أمام وجهي وسألني: "دكتور كروس، كم
عدد المرات التي استخدمت فيها مسدسك في أثناء خدمتك؟"
لم أكن أعلم الإجابة، فتجاهلته، ولكن صاحت نانا ماما قائلة: "كم عدد
مرات طرحك لأسئلة غبية خلال سعيك نحو المزيد من الغباء؟".
بعد هذا، بذلت قصارى جهدي لأتجاهل كل ما يحدث من حولي بينما كنا
نعبر الرصيف لنصل إلى السيارة التي تقف في انتظارنا. أدخلت بقية أفراد
عائلتي داخل السيارة العائلية متعددة الاستخدامات، وقفزت في المقعد
الأمامي وأغلقت الباب.
زفرت نانا ماما زفرة طويلة.
وقالت جيني بعدما انطلقت السيارة: "إنني أكرههم".
قال علي: "كأنهم يتغذون على أبي".
فقال سائق السيارة: "مصاصو دماء".

لم يمر وقت طويل حتى وصلنا إلى مبنى محكمة مقاطعة كولومبيا، رقم ٥٠٠ بشارع إنديانا أفينيو. كان المبنى مكوناً من جناحين، ومشيداً بالحجر الجيري الناعم، وكان سقف ردهته مبنياً من الصلب والزجاج، أما ساحة المبنى فكانت واسعة وفي مقدمتها حدائق مرتفعة قليلاً عن الأرض. لقد كان هناك ٢٠ مراسلاً يقفون أمام منزلي، أما في المحكمة، فكان هناك ٦٠ آخرون ينتظرون لقائي بالعدالة التي لا ترحم.

وكانت أنيتا مارلي، محاميتي، تنتظرنني هي الأخرى خلف الحاجز.

كانت مارلي طويلة القامة، رياضية القوام، ذات شعر كستنائي، وبشرة يتأثر بها النمش، وعينين حادتين بلون الزمرد الأخضر. كانت تمارس لعبة الكرة الطائرة وتدرس التمثيل بجامعة تكساس، بعد ذلك تخرجت في كلية الحقوق بجامعة رايس كواحدة من أوائل دفعتها. كانت امرأة أنيقة وجريئة ومرحة، كما أنها كانت محامية صعبة المراس في قاعات المحاكم؛ لهذا السبب عينتها للدفاع عني.

فتحت مارلي باب السيارة المجاور لي.

وقالت بلهجة آمرة: "سأتولى دفة الحديث من الآن فصاعداً، يا أليكس". كانت صيحات الاتهام والسخرية تهال عليّ أكثر مما حدث أمام منزلي. كنت قد رأيت هذا النوع من الأمور من قبل في الماضي - حشداً مجتمعاً من أجل محاكمة كبرى، ومراسلين لمحطات محلية وقومية يستعدون لتقديم الضحية على مدار الساعة لوحش محطات الكابل، ولكني لم أعب دور الضحية من قبل.

صاح المراسلون: "تحدث إلينا يا كروس! هل أنت سبب المشكلة؟ هل أصبحت أنت وطريقة رعاية البقر الخاصة بك نموذجاً لما أصبحت عليه الشرطة الأمريكية؟ هل أنتم فوق القانون؟".

لم أتحمل ما يُقال، فأجبت قائلاً: "لا أحد فوق القانون".

همست مارلي قائلة: "لا تقل شيئاً"، ثم جذبتني من مرفقي وسرنا عبر الساحة نحو البوابة الأمامية لمبنى المحكمة.

تبعنا الحشد نحو الواجهة نفسها، من دون أن يتوقفوا عن المهمة أو صب الاتهامات واللعنات.

ومن بين الحشد الذي يقف خلف المراسلين، تصاعد صوت رجل يصيح قائلاً: "لا تطلق النار عليّ يا كروس، لا تطلق النار".

وبدأ آخرون يهتفون معه ويرددون عبارته، وبنبرة الصوت نفسها: "لا تطلق النار عليّ يا كروس، لا تطلق النار".

وبالرغم من محاولتي الجاهدة، لم أتمكن من منع نفسي من الالتفات والنظر إليهم. كان بعضهم يحمل لافتات تحمل صورتي وقد رُسمت علامة X باللون الأحمر على وجهي، وكُتبت تحتها بعض العبارات، إحداها تقول "أنهوا عنف الشرطة"، وأخرى تقول "مذنب فيما نُسب إليه من تهم".

عندما وصلنا أمام بوابة مبنى المحكمة المضادة للرصاص، توقفت مارلي وأدارتني لأواجه الأضواء والميكروفونات والكاميرات، فشددت قامتي ورفعت ذقتي عاليًا.

رفعت محاميتي يدها وقالت بأعلى صوت وبنبرة حازمة: "الدكتور كروس بريء كإنسان وكضابط شرطة، ونحن سعداء لأنه سيتمكن، أخيرًا وبعد طول انتظار، من تبرئة ساحته".

الفصل

3

كان ضباط الشرطة الذين يحرسون نقطة التفتيش الأمني يحدقون إليّ بينما كنت أدخل مبنى المحكمة، وكان مراسلو وسائل الإعلام لا يزالون يصدرون صخباً من خلفي.

قال الرقيب دوج كيني، رئيس قوات الأمن في المحكمة وأحد أصدقائي القدامى: "كلنا معك يا أليكس. مما سمعته، لقد كان إطلاق نار مبرراً... إطلاق نار مبرراً جداً".

أوماً الضباط الثلاثة وابتموا لي في أثناء عبوري جهاز الكشف عن المعادن. وفي الخارج، تكالبت الحشود على عائلتي بينما كانوا يحاولون شق طريقهم بصعوبة نحو مدخل مبنى المحكمة.

تمكنت نانا ماما ودايمون وجيني من الدخول أولاً، وكانوا يرتجفون، ثم تبعهما علي وبيري بعد لحظات. وبعدها أغلقت الأبواب، استدار علي مواجهاً المراسلين الذين ينظرون إليه عبرها وأشار إليهم إشارة ازدراء.

صاحت نانا ماما وهي تجذبه من ياقته: "علي! هذا سلوك غير لائق". ولكن عندما رأى علي ضباط الأمن وهم يبتسمون له، وكذلك فعلت أنا، لم تبد عليه ذرة من الندم على فعلته.

قالت أنيتا وهي تقودني نحو المصعد: "إنه صبي شجاع".

قالت امرأة شابة من أصل إفريقي ظهرت إلى جواري فجأة: "إنه صبي ذكي، وكثيراً ما كان كذلك".

وضعت ذراعي على كتفها وعانقتها وقبّلت رأسها.

وقلت: "شكراً على وجودك هنا إلى جواري، يا ناعومي".

فقلت: "كثيراً ما ساندتني في حياتي، يا عمي أليكس".

ناعومي كروس، هي ابنة شقيقي الراحل آرون، والتي تعمل محامية جنائية بارعة، واغتتمت الفرصة لمساعدتي من خلال العمل مع المحامية الشهيرة أنيتا مارلي على قضيتي.

قلت بينما كانت أبواب المصعد تغلق: "ما فرص براءتي يا أنيتا؟"

قالت أنيتا في اقتضاب بينما كانت تعدل أساور بلوزتها البيضاء: "أنا لا

أمارس هذه اللعبة. سنطلع هيئة المحلفين على جميع الحقائق وندعهم يتخذون قرارهم".

"ولكنك رأيت أدلة ممثل الادعاء".

"كما أن لدي فكرة عن نظريته. أعتقد أن قصتنا ستكون أكثر إقناعاً، وأنوي

أن أحكيها بصورة رائعة".

صدقتها. فعلى مدار الأعوام الستة الماضية فقط، فازت مارلي بثماني

قضايا قتل كبرى. وبعدها تم اتهامي بجريمة قتل مزدوجة، تواصلت معها

متوقفاً أن ترفض طلبي أو تعتذر بأنها "مشغولة للغاية"، ولكنها ركبت الطائرة

من دالاس إلى واشنطن العاصمة في اليوم التالي مباشرة، وظلت إلى جواري

خلال جميع الإجراءات القانونية منذ تلك اللحظة.

كانت أنيتا تروقني؛ فلم يكن هناك أي هراء بشأنها. كانت تملك عقلاً

يعمل بسرعة البرق، ولم تكن تمنع استخدام جاذبيتها وجمالها، بل مهاراتها

في التمثيل أيضاً من أجل مساعدة موكلها. كنت قد رأيتها تستخدم جميع

مواهبها هذه مع القاضي الذي كان يشرف على التماسات ما قبل المحاكمة،

تلك الالتماسات التي فازت بها باكتساح، فيما عدا بعض الاستثناءات القليلة

المزعجة.

ولكنها قالت إن محاكمتي من أكثر المحاكمات التي رأتها في حياتها تعقيداً،

وبها خيوط تمتد عميقاً في الماضي.

منذ حوالي ١٥ عامًا، بدأ رجل مضطرب عقلياً يُدعى جاري سونجي حالة جنونية من الاختطاف والقتل، وقد تمكنت من وضعه خلف القضبان، ولكنه هرب من السجن بعد بضعة أعوام وتحول إلى تفجير المباني.

فجر سونجي عدة مبان وقتل العديد من الأشخاص قبل أن نحاصره في شبكة أنفاق ضخمة مهجورة تحت ضاحية مانهاتن، وكاد يتمكن من قتلي، ولكنني كنت أسرع منه وأطلقت النار عليه أولاً، ثم هرب مترنحاً وابتلعه الظلام قبل أن تتفجر القنبلة التي كان يرتديها حول جسده.

بعد هذا الحادث بعشر سنوات، كنت وشريكي في قسم شرطة العاصمة، جون سامبسون، نعمل متطوعين في مطبخ دار العبادة، حين اقتحم شخص يشبه سونجي المكان وأطلق النار على الطاهي وواحدة من العاملات بالدار، وأصاب سامبسون بطلقة في رأسه.

وبمعجزة، نجا الثلاثة بأعمارهم، ولكن لم يتمكن أحد من العثور على شبيه سونجي.

ثم تبين أن هناك طائفة تابعة لسونجي، نشأت وانتشرت على صفحات الإنترنت السوداء. قادني التحقيق في أمر هذه الطائفة، بعد الكثير من البحث المضني، إلى مصنع مهجور في جنوب شرق العاصمة، حيث واجهني ثلاثة رجال يرتدون أقتعة لسونجي، فأطلقت النار على الثلاثة، وقتلت اثنين منهم. ولكن، عندما لبي ضباط الشرطة ندائي من أجل الدعم، لم يتمكنوا من العثور على أية أسلحة مع القتيلين، وتم اتهامي بجريمتي قتل وجريمة الشروع في قتل.

انفتحت أبواب المصعد عند الطابق الثالث في مبنى المحكمة، وتوجهنا مباشرة نحو قاعة المحاكمة رقم ٩ب، وتخطينا طابور الأشخاص الذين يحاولون العثور على مقعد للجلوس، متجاهلين الهمسات الغاضبة من خلفنا، ودخلنا.

كانت القاعة ممتلئة عن آخرها تقريباً، واحتل مراسلو وسائل الإعلام أربعة صفوف كاملة في أقصى الجانب الأيسر من القاعة، وكان الصف الأمامي الذي يقع خلف مكتب ممثل الادعاء، والذي كان يخص الضحايا وعائلاتهم، خالياً، وكذلك كان الصف المخصص لعائلتي، على اليمين.

تمتت مارلي بعدما عبرنا الحاجز ووصلنا إلى طاولة الدفاع: "ابق واقفاً. أريد أن يراك الجميع. أظهر لهم مدى ثقتك ومدى فخرك بكونك ضابط شرطة".

همست قائلاً: "أحاول ذلك".

قالت ناعومي: "ها قد وصل ممثلو الادعاء".

قالت مارلي: "لا تنظر إليهم. دعهم لي أنا".

لم أنظر ناحيتهم، لكني رأيت بطرف عيني اثنين من مساعدي المدعي العام يدسان حقيبتيهما تحت طاولة الادعاء. كان ناثنان ويلز، ممثل الادعاء الرئيسي، والذي بدا كأنه لم يتمتع يوماً عن تناول أي طعام أمامه، في منتصف الثلاثينيات من عمره، ذا وجه ممتلئ، ويزيد وزنه على الوزن المناسب لطوله بحوالي ٤٠ كيلوجراماً، وكان العرق يتصبب منه، بشدة.

ولكن حذرتني كل من أنيتا وناعومي من التقليل من شأن هذا الرجل؛ فقد تخرج الأول على دفعته في كلية بولت هول بجامعة يوسي بيركلي، وعمل في محكمة الاستئناف بالدائرة التاسعة قبل أن يلتحق بوزارة العدل.

لم تكن خلفية مساعدته، أثينا كارلايل، بأقل من خلفية رئيسها؛ فقد كانت كارلايل سليلة عائلة من المزارعين، ونشأت في فقر مدقع بولاية ميسيسيبي، وكانت أول فرد من عائلتها يتخرج في المدرسة الثانوية، ثم حصلت على منحة كاملة للدراسة بكلية مورهاوس، وتخرجت الأولى على دفعتها، ثم التحقت بكلية الحقوق في جامعة جورج تاون؛ حيث عملت محررة في دورية لوريفيو.

طبقاً للمحة مختصرة عن ممثلي الادعاء، نُشرت في جريدة واشنطن بوست قبل أسبوع من بدء المحاكمة، كان كل من ويلز وكارلايل طموحين لأبعد الحدود، وكانا يتوقان لتولي الادعاء في قضية الحكومة الفيدرالية ضدي.

لماذا حكومة الولايات المتحدة الأمريكية؟ لماذا مكتب المدعي العام الأمريكي بنفسه؟ كانت هذه هي الحال في العاصمة واشنطن منذ حقبة السبعينيات. إن اتهمت بجريمة قتل في عاصمة البلاد، فستراعي الدولة أن تلقى ما تستحقه من عقاب.

سمعت ضجعة وأصواتاً آتية من خلفي، فاستدرت ورأيت أفراد عائلتي يجلسون في مقاعدهم. ابتسمت بري نحوي في شجاعة، وحركت شفثتها بكلمة "أحبك".

كنت على وشك أن أقول لها مثل قولها، ولكنني صمتُ مشدوهُماً عندما رأيت صبيًا مراهقًا متجهم الوجه يرتدي سروالاً كاكي اللون وقميصًا أزرق ذا أكمام قصيرة. كان اسمه ديLAN وينسلو، وكان والده هو جاري سونجي، أما والدته فكانت واحدة من ضحايا إطلاق النار. توجه ديLAN نحو الحاجز، ولم يكن يبعد عن مكان وقوفي إلا بثلاثة أمتار، ودفع شعره الدهني الأسود نحو الخلف وهدق إلى وجهي.

قال وينسلو وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة وخبيثة: "إن الجحيم ينتظرك في جلسة المحاكمة هذه يا كروس. أصدقك القول، لا يمكنني أن أطيق صبرًا حتى أراك وأنت تحترق".

قفز علي من مقعده وقال: "مثلما احترق والدك؟". تخيلت أن وينسلو سيتهور ويهاجم ابني الأصغر، واعتقد دايمون ذلك أيضًا، فوقف خلف علي.

وبدلاً من أن يحاول ضرب علي، ارتسمت على شفتي الفتى المراهق ابتسامة أكثر خبثًا.

وقال بيروود: "نعم أيها الصبي، مثلما احترق والدي بالضبط". وهنا صاح حاجب المحكمة: "فلينهض الجميع! جلسة المحكمة العليا بمقاطعة كولومبيا منعقدة الآن برئاسة القاضية بريسيلا لارش". ثم ظهرت امرأة في منتصف الخمسينيات من عمرها، ترتدي نظارات سميقة، وكان شعرها الأسود المصبوغ مشدودًا للخلف بقوة، ولا يزيد طولها على ١٢٥ سم. لقد كانت القاضية لارش قصيرة لدرجة أن شكلها كان مضحكًا وهي تتسلق مقعد القاضي.

ولكنني لم أضحك؛ فقد كانت تشتهر بميلها لإصدار أحكام الإعدام. وبعدما دقت بمطرقتها على سطح مكتبها مرتين، نظرت القاضية لارش عبر نظارتها السميقة، ثم قالت بصوت متحشرج كصوت المدخنين: "محاكمة أليكس كروس. ليلتزم الجميع الصمت، فالمحاكمة ستبدأ الآن".

الفصل 4

قبل ٦ أسابيع...

حاول جون سامبسون أن يبقى هادئاً، وأن يخبر نفسه بأن الأمور ستكون على ما يرام بغض النظر عن القرار الذي ينتظره على الجانب الآخر من الباب الخشبي المزدوج في الطابق الخامس من مبنى دالي، مقر إدارة شرطة العاصمة، في وسط المدينة.

ولكن لم يستطع سامبسون أن يبقى هادئاً، فقد بدأ يشم رائحة عرقه الغزير وكاد القلق يملكه.

اضطربت معدته عندما أومأت له السكرتيرة أخيراً، في حوالي الساعة الخامسة مساءً، وقالت: "سوف يقابلك الآن يا سيد سامبسون".

قال سامبسون: "شكراً لك". فنهض واقفاً على قدميه، وكما علمه معالجه، باعد بين قدميه حتى يتغلب على نوبات الدوار العارضة التي تلازمه منذ أصيب بطلق ناري في رأسه.

سار سامبسون نحو الباب، وحاول أن يبدو واثقاً. فتح الباب، وعبره، ورأى بريان مايكلز يجلس خلف مكتبه، يوقع بعض الأوراق. كان شعره فضياً، وفي حالة بدنية مذهلة مقارنة بعمره الذي وصل إلى منتصف الخمسينيات. رفع رئيس شرطة العاصمة بصره، وابتسم ابتسامة روتينية، وأشار إلى سامبسون بالجلوس.

قال سامبسون: "إذا كان لا بأس يا سيدي، فإنني أفضل أن أظل واقفًا".
 اختفت ابتسامة رئيس الشرطة مايكلز من فوق وجهه وترك قلمه على
 المكتب، بينما اقترب سامبسون من المكتب ووقف أمامه في وضع مريح. مال
 رئيس الشرطة بظهره إلى الخلف وظل يتأمل الرجل الضخم الواقف أمامه
 للحظات طويلة مزعجة، وهدق أكثر من مرة إلى الندبة الظاهرة على الجانب
 الأيسر من جبهة المحقق.

قال رئيس الشرطة أخيرًا: "أرى أن إصابتك تتحسن بشكل جيد".
 "لم أعد كما كنت، ولكنني نجوت يا سيدي".

قال مايكلز: "لقد نجوت بالفعل، بل حققت نتائج في اختبارات اللياقة تكاد
 تقارب أفضل نتائجك السابقة".
 "لقد بذلت قصارى جهدي لأكون هنا أيها الرئيس".

لاحظ سامبسون أن مايكلز يهدق مرة أخرى إلى الندبة على جبهته.
 قال مايكلز بنبرة أقلقت سامبسون على الفور، وجعلته يشعر بأنه ضائع، بل
 إنه قد يطرد من عمله: "لقد بذلت قصارى جهديك يا جون".
 وأردف رئيس الشرطة قائلًا: "ولكن يجب عليّ أيضًا أن أستخدم حكمي
 الصائب عندما أقرر إذا كان يجب أن أعيد أحد ضباطي إلى العمل الميداني
 بعد تلك الصدمة العنيفة التي تلقاها. وعليّ أن أسأل نفسي إذا ما كانت ستصبح
 عبئًا على الضباط الآخرين في أوقات الأزمات".

كان سامبسون يطرح على نفسه السؤال نفسه، لكنه لم يقل شيئًا، بل ظل
 ينظر إلى رئيس الشرطة دون أن تظهر على وجهه أية تعبيرات. ومرت لحظة،
 تلتها أخرى.

ثم ارتسمت ابتسامة على شفتي رئيس الشرطة مايكلز، ونهض من مقعده،
 ومد يده نحو سامبسون مصافحًا وقال: "مرحبًا بك مجددًا أيها المحقق
 سامبسون. لقد افتقدناك كثيرًا".

ابتسم سامبسون فرحًا وأمسك بيد رئيس الشرطة وصافحه بقوة وهو يقول:
 "شكرًا لك يا سيدي. لن تندم على قرارك هذا".

قال مايكلز: "أعرف أنني لن أندم. إنك مصدر لإلهام الكثيرين من زملائك
 الضباط. أريدك أن تعرف هذا".

قال سامبسون: "نعم يا سيدي، شكرًا جزيلاً لك".

قال رئيس الشرطة وقد اكتسى وجهه بالقليل من الأسى: "ستكون بحاجة إلى شريك جديد".

مرت لحظة من الصمت قبل أن يقول سامبسون: "أنا مستعد لهذا".

نظر إليه رئيس الشرطة مايكلز للحظة ثم قال: "أكره أن تكون هناك مشكلة كبيرة تؤرقنا مثل تلك".

قال سامبسون: "معك كل الحق يا سيدي، ولكنني واثق بأن كل شيء سيكون على ما يرام في النهاية".

لان صوت مايكلز وهو يقول: "أتمنى هذا. كيف حاله؟".

قال سامبسون: "لقد افتتح عيادة خاصة ليسلي نفسه حتى موعد المحاكمة".

قال مايكلز: "بلغ أليكس خالص تمنياتي، من كل قلبي".

تصاعد صوت طرقات قوية على باب المكتب، وخطت إلى الداخل امرأة نحيلة، حمراء الشعر، شديدة العصبية، تضع شارة المحققين حول عنقها.

قال مايكلز منزعًا: "ما الأمر يا فوكس؟ لم أسمح لك بالدخول بعد".

نظرت فوكس نحو سامبسون، ثم عادت لتتنظر إلى رئيس الشرطة وقالت:

"معذرة يا سيدي، ولكنني والمحقق سامبسون لدينا استدعاء عاجل. حادث اختطاف وإطلاق نار في مدرسة واشنطن لاتين".

قال سامبسون: "لاتين؟ إنها المدرسة التي يذهب إليها علي كروس".

الفصل

5

كان علي في حالة صدمة شديدة ولكنه لم يُصب بسوء عندما عثر عليه سامبسون جالسًا على درجات سلم مدرسة واشنطن لاتين الحكومية، وكان يضع حقيبة ظهره بين ساقيه، ويمسح دموعه. قال أحد ضباط الشرطة الدورية إن عليًا رأى الحادث الوحشي بالكامل. وكذلك فعل خمسة آخرون من الطلبة المشاركين في برنامج مناظرات يعقد بعد اليوم الدراسي بالمدرسة.

قال سامبسون: "هل أنت بخير يا صديقي؟" ثم جلس بجسده الضخم إلى جوار علي وأحاط كتفي الصبي بذراعه. كان الوقت في منتصف شهر أكتوبر، وكان الجو باردًا مع اقتراب الليل، وكان الصبي يرتجف.

قال علي بنبرة هادئة: "أبي قادم، وكذلك بري".

قال سامبسون: "أخبرني بما حدث".

وقبل أن يجيبه الصبي، قالت المحققة إنسلي فوكس: "أيها المحقق سامبسون، هل يمكن أن أحادثك على انفراد؟".

قال سامبسون لـ علي: "ابق مكانك"، ثم ربت ظهره ونهض، وصعد درجات السلم نحو فوكس.

وبنبرة هامسة موبخة، قالت فوكس: "أعتقد أنك نسيت خلال فترة علاجك أن هناك قواعد تتعلق بالتلامس الجسدي مع القاصرين".

حدق سامبسون إلى وجهها وقال: "إن هذا الصبي مثل ابني يا فوكس".

قالت فوكس: "ولكنه ليس ابنك فعلياً، والقواعد هي القواعد. وسواء أصبت بطلق ناري في رأسك أم لا، يجب عليك أن تلتزم بالقواعد أو ستعاني العواقب نفسها التي يواجهها شريكك السابق الآن".

جز سامبسون على أسنانه وقال: "فوكس، هناك خمسة أطفال آخرين لتتحدثي معهم طبقاً للقواعد. وهم هناك".

ترددت فوكس، وحاولت الرد، ولكنها رفعت رأسها عاليًا وتوجهت نحو مجموعة من الأطفال المنزعجين. عاد سامبسون إلى علي، وفي اللحظة نفسها رأى أليكس كروس وبري ستون يعبران الشريط المحيط بمسرح الجريمة. أمسك أليكس بذراع علي ورفعه إليه ليعانقه بقوة. عانق علي والده بقوة أيضاً وبدأ يبكي.

وعندما هدا كلاهما، طلب سامبسون من علي مرة أخرى أن يصف له ما رآه.

قال علي إن الظلام كان قد خيم عندما خرج من المدرسة خلف مجموعة من أصدقائه في فريق المناظرات. كان علي أصغرهم سنًا وأقصرهم قامة؛ لذا لم يتمكن من رؤية أي شيء عندما بدأ الصراخ، ثم بدأ الجميع يركضون في جميع الاتجاهات، ولكن علياً لم يتبعهم، بل وقف في مكانه وأخرج هاتفه المحمول.

سألته بري: "هل اتصلت بالنجدة؟"

قال علي: "لا، بل صورت المجرمين".

قال سامبسون منبهراً: "صورتهم؟"

قال علي: "لم أكن قادرًا على قتالهم"، ثم أخرج هاتفه من جيبيه وبدأ عرض مقطع الفيديو.

كانت الصورة مهتزة في البداية، ثم أصبحت ثابتة بعد ذلك، وظهر فيها ثلاثة رجال يرتدون ملابس العمال ويضعون أقنعة على وجوههم يجروُن فتاة مراهقة شقراء عبر الشرفة الأمامية للمدرسة ويتجهون نحو الشارع الثاني.

قال علي: "هذه جريتش ليندل يا أبي. إنها فتاة بالصف الأول".

وعلى الشاشة، كاد المختطفون يأخذون جريتش ليندل إلى الرصيف، حين دخلت المشهد امرأة بدينة من اليسار، وكان يبدو عليها الغضب الشديد وتوجهت مباشرة نحو الرجال المقنعين.

قال علي بهدوء: "هذه هي الأنسة بيتراسيك، إنها مدربة المناظرات". وعلى الشاشة، ظهر أحد الرجال وهو يترك جريتشن ليندل، ثم استدار نحو الأنسة بيتراسيك، ودون تردد، أطلق النار على وجهها مباشرة من مسافة قصيرة. شعر سامبسون بالاشمئزاز من قسوة المشهد.

لقيت معلمة اللغة الإنجليزية والخطابة بمدرسة واشنطن لاتين مصرعها على الفور، وسقط جسدها بقوة على الأرض، ثم التفت مطلق النار نحو جريتشن، التي كانت محتجزة بالقوة بين سيارتين مصفوفتين في المرآب. قال علي: "هذا أسوأ جزء في الأمر برمته".

انطلق صوت بوق سيارات الشرطة وظهرت الأضواء الزرقاء، ثم اقتربت واحدة من سيارات دورية شرطة مترو بسرعة وتوقفت أمام المختطفين. فتح الرجال أبواب سيارة الدورية، ودفعوا جريتشن إلى المقعد الخلفي وقفزوا هم أيضًا بداخلها، ثم انطلقت سيارة الدورية مسرعة وعجلاتها تصدر صريرًا عاليًا، ومن دون أن يتوقف صوت البوق.

الفصل 6

بعد فترة قصيرة من انتقالي للإقامة معها بعد موت والدتي في الجنوب، وجدتي نانا ماما أجلس حزينا في شرفة منزلها الأمامية ولا أرغب في فعل أي شيء.

كنت في العاشرة من عمري. سألتني نانا عما أفعل، وأخبرتها بالحقيقة. قلت: "أنا أتنفس".

قالت نانا ماما: "ليس بما يكفي. أعلم أنك لا تحب المكان هنا يا أليكس، ولكن امنح نفسك بعض الوقت، وسوف تحبه. وحتى يحين ذلك الوقت، أريد منك أن تشغل نفسك. وإذا وجدت نفسك لا تفعل شيئاً غير التنفس، فتعال لتراني، وسوف أعطيك شيئاً لتفعله".

قلت: "ماذا لو لم أكن أحب فعل أي شيء؟".

قالت جدتي وقد رفعت حاجبيها ووضعت يديها على فخذيها: "في منزلي، هذا الخيار غير مطروح. أتعلم؟ عندما تكبر وتغادر هذا المنزل، لن يكون هذا الخيار مطروحاً لك أيضاً، إلا إن تزوجت فتاة ثرية أو فزت باليانصيب".

من المفارقات الطريفة أن جدتي، بعد ٤ عقود من الزمان، وعندما أصبحت في التسعينيات من عمرها، فازت بالجائزة الكبرى لليانصيب، واختارت أن تحصل على مبلغ الجائزة دفعة واحدة؛ وسددت ما عليها من ضرائب، وأسست على الفور مؤسسة خيرية تهدف للترويج للثقافة ومساعدة الفقراء وتقديم وجبات الإفطار الساخنة في دور العبادة المحلية.

كما تأكدت من حصول أبنائي على التعليم الذي يطمحون إليه، وحتى بعد كل هذا، كانت نانا ماما لا تزال تملك من المال ما يكفي لكي يجلس أفراد عائلة كروس بأكملها في شرفات منازلهم الأمامية من دون أن يفعلوا شيئاً حتى يواريهم الثرى.

ولكن لم تكن جدتي تهتم بأي من هذا؛ فكل ما كانت تؤمن به هو أن يكون لديها هدف في الحياة يحسن من حياة الآخرين ويفيدهم. فبعد شهر من إيقافني عن العمل انتظاراً لمحاكمتي، ورغم أنني كنت أساعد أنيئا وناعومي على إعداد حجة دفاعي، كانت نانا ماما تشعر بأنه يجب عليّ أن أفعل أكثر من مجرد التوصل إلى طرق تجنبني السجن، وكانت محقة. لقد ضبطت نفسي "أتنفس فحسب" أكثر من مرة، ما أقلقني كثيراً.

وقررت أنني إن لم أستطع أن أكون ضابط شرطة في الوقت الحالي، فيجب أن أمتلك سبباً يدفعني لمغادرة فراشي في الصباح، وأن أجد طريقة لكي أكون مفيداً لشخص آخر غير نفسي. وهكذا عدت إلى مهنتي الأولى، الاستشارات النفسية.

أسست لنفسي عيادة خاصة في قبو منزلي، وجعلت لها مدخلاً خاصاً، وعلقت شهادات الماجستير والدكتوراه التي حصلت عليها من جامعة جونز هوبكنز، وبدأت عملي الخاص بعد عقدين من العمل مع قوات تنفيذ القانون.

اتصلت بجميع وكالات الخدمات الاجتماعية في منطقة مترو، عارضاً مهاراتي وطالباً منهم تزكيتي لدى عملائهم. ولحسن الحظ، حصلت على بعض العملاء، ثم زاد عددهم قليلاً، وبدأت عيادتي الخاصة تكبر ببطء.

بعد يومين، كان علي شاهداً على جريمة اختطاف وقتل في مدرسة واشنطن لاتين، وكنت في عيادتي عندما سمعت طرقاً خفيفاً على الباب الخارجي.

نظرت إلى سجل المواعيد وقرأت: بول فيوري. زيارة أولى. لقد حضر في مواعده تماماً.

توجهت إلى الباب وفتحته قائلاً: "مرحباً بك يا سيد فيو..."

كان الرجل البدين الواقف أمامي يبلغ طوله حوالي ١٥٥ سم، ويزيد وزنه على ٩٠ كجم، ذا شعر أسود مجعد، وعينين بنييتين وبشرة سمراء، ووجه طفولي. لم أتمكن من تحديد عمره، ولكن من ملبسه أمكنني أن أعرف طبيعة عمله.

قلت: "معدرة أيها السيد فيوري. تفضل بالدخول".

7

بدا رجل الدين مهمومًا وهو يدخل عيادتي.

وقال: "كان يجدر بي أن أتصل بك هاتفيًا يا دكتور كروس، ولكنني لم أكن أعلم فيم ستفكر".

قلت وأنا أغلق الباب من خلفه: "كنت سأفكر في أنني سأسعد بمقابلتك. كيف يمكنني مساعدتك؟".

ابتسم فيوري ابتسامة متوترة.

فقلت وأنا أشير إلى مقعد مريح في عيادتي: "تفضل يا سيدي".

قال وهو يجلس ويتلفت حوله: "إن الوضع غريب".

"كيف ذلك؟".

"عادة أنا من يستمع إلى الناس".

ابتسمت وجلست على مقعدي وقلت: "إن لم تمانع سؤالي، ألا توفر دار

العبادة مستشارين نفسيين؟".

زفر فيوري وقال: "إنها تفعل، ولكنني أخشى أن الموضوع حساس للغاية

يا دكتور كروس، موضوع ربما لا يتمكنون من استيعابه حتى في هذا العصر

المستتير".

قلت وأنا ألتقط مفكرتي القانونية الصفراء: "حسنًا إذن. لمَ لا نعود إلى

البداية؟".

فأخبرني بأنه قرر أن يصبح رجل دين عندما كان في الرابعة عشرة من عمره، وتم ترسيمه عندما أصبح في الثانية والعشرين، وعمل في بعض الأحياء الفقيرة بمدينة شيكاغو، وحظي بسمعة جيدة هناك أهلته لأن تنقله دار العبادة إلى العاصمة واشنطن؛ حيث قسم وقته بين العمل في دار عبادة سانت أنتوني ومكتب الإدارة، والعمل على تمويل برامج مساعدة الفقراء.

قلت: "إن مؤسسة جدتي الخيرية تقدم منحًا لمثل هذه البرامج".
ارتسمت ابتسامة صادقة على شفتي فيوري وقال: "كيف تظن أنني حصلت على اسمك؟".

لم أتمكن من منع ضحكتي: فمن غير نانا ماما يمكنها أن تجلب لي رجل دين ليكون أحد عملائي.

قال فيوري: "إن جدتك امرأة رائعة، ولا تقبل أبدًا بالرفض كإجابة، ولكنها ذات روح سخية للغاية".

"لقد وصفتها بدقة، ولكن دعنا نعد إلى سبب زيارتك لي".
امتع قليلاً في أثناء استمراره في قص حكايته. قال إنه في وقت سابق من هذا العام، حضر حفلاً لجمع التبرعات بأحد الفنادق في جورج تاون، ووجد امرأة شابة تدعى بيني ماكسويل تجلس وحدها وتبكي في أحد الأروقة الخلفية، فتوقف ليهدي من روعها.

كانت السيدة ماكسويل أرملة، وكانت هذه الذكرى الثانية لوفاة زوجها في أفغانستان، وكانت قد حاولت حاهدة أن تكت مشاعرها ولكنها فشلت.

قال فيوري: "كانت تتأمل حزنًا كبيرًا...".
يفعله؛ استمعت لها وتحدثت معها ودعوت لها".

وبعد انتهاء الحفل، سار معها على طول قناة جورج تاون وقضى ٢ ساعات كاملة في الاستماع لها وهي تتحدث عن التحديات التي تواجهها في حياتها كأرملة أحد جراحي الجيش الموهوبين، وأم لصبيين رائعين.

كان فيوري منبهراً وملهماً بمدى شجاعة بيني، وإصرارها على تنشئة ابنها تنشئة صالحة، رغبتها في تكريم ذكرى زوجها الراحل من خلالهما. وما أثار دهشة فيوري أن بيني كانت تذهب إلى دار سانت أنتوني من وقت لآخر لحضور طقوس العبادة.

قال فيوري: "بدأت بيني تحضر ابنيها إلى هنا؛ حيث تعرفت عليهما، وبدأنا نمارس بعض الأنشطة معاً، من نزاهات ورحلات إلى الشاطئ، وبدأ الأمر كأنني أتعرف على جانب من الحياة كنت أظن أنني أعرفه، ولكن تبين أنني لم أكن أعرفه حق المعرفة".

سألته: "وما هذا الجانب؟"

قال فيوري وقد مال برأسه وجسده إلى الأمام وأخذ يفرك كفيه في عصبية: "الحب. أنا لم أقع في حب بيني فقط يا دكتور كروس، بل أصبحت أقرب أصدقائي، وأصبحت ملكاً لها. وهذان الصبيان... إنني كلما تركتهما، يا دكتور كروس، أشعر كأنه أصبح هناك فراغ في قلبي".

سألته: "وهل تعلم بيني بمشاعرك نحوها؟"

أوما برأسه إيجاباً وقال: "كلانا يشعر بالمشاعر نفسها".

"وهل مارستما العلاقة الحميمة معاً؟"

قال بحزم: "كلا. كلانا يؤمن بقدسية الزواج".

قلت: "ولكن دار العبادة لا تسمح لرجال الدين بالزواج".

أوما برأسه في تعاسة وقال: "ماذا عليّ أن أفعل يا دكتور كروس؟ هل أترك الرسالة التي لا أملك غيرها، أم أترك المرأة التي لم أحب سواها؟".

مكتبة | 719
سُر من قرأ

الفصل

8

وقفت امرأة مذهولة وشاحبة الوجه خلف عدد كبير من الميكروفونات.

قالت إليزابيث ليندل بصوت مرتجف: "من فضلكم، أتوسل إليكم، كأم انفطر قلبها، إن كنتم تعلمون أي شيء عن اختطاف ابنتي، تحدثوا، اتصلوا بالشرطة أو بالمباحث الفيدرالية، وامنحوني الأمل. إن جريشن فتاة لطيفة وبريئة. أرجوكم، ساعدونا على العثور عليها قبل فوات الأوان".

تحول البث إلى نشرة الأخبار المحلية؛ حيث بدأ مذيع يتحدث عن جريمة الاختطاف التي حدثت.

كانت بري تجلس في مكتبها في وسط المدينة عندما ضغطت على زر كتم الصوت في جهاز التحكم عن بعد. لم تكن ترغب في سماع تلك الأحاديث التي تحاول تلخيص الحادث؛ فقد كانت تعلم كل ما حدث بالفعل.

كانت الساعات الثماني والأربعون الأولى الحرجة من التحقيق قد انقضت دون إحراز تقدم. ويرجع جزء من هذا إلى أن مكتب المباحث الفيدرالية تدخل لتولي القضية لأنها كانت جريمة اختطاف ومن المحتمل أن يكون المختطفون قد عبروا بجريشن حدود الولاية، ولهذا السبب تم منع بري وشرطة العاصمة من المشاركة في التحقيق، خاصة بعدما راجعت المباحث الفيدرالية مقطع الفيديو الخاص بحادثة الاختطاف وشاهدوا مشاركة سيارة شرطة فيها. وعلى قدر علم بري، لم تكن هناك رسالة طلب فدية أو أية محاولة من المختطفين للتواصل مع أي أحد.

قال سامبسون وهو يطرق الباب: "أيتها الرئيسة، لقد توصلنا إلى شيء ما".

وقبل أن ترد بري، اعترضت المحققة فوكس طريق سامبسون وقالت: "أعتقد أنه يجب علينا أن نبذل المباحث الفيدرالية. إنهم السلطة العليا في هذه القضية الآن".

ظهر الامتعاض على وجه بري. فلم تكن إينسلي فوكس ترى تشريعاً أو قاعدة إلا اعتبرتها كتاباً مقدساً.

قالت بري: "أيتها المحققة فوكس، عندما نظرت نحوك المرة الأخيرة وجدت أن شاركتك تقول (قسم شرطة العاصمة)، وأنتك مرءوستي. إن كان هناك ما تعرفينه، أريد معرفته أنا أيضاً".

قال سامبسون عندما ترددت المحققة: "بحق الله يا فوكس، سأخبرها بما لدي إن لم تخبرها أنت".

سحب سامبسون أحد المقاعد وفتح ملفاً، وتحدث مشيراً إلى أن جميع سيارات الدورية بقسم شرطة العاصمة تحتوي على جهاز لتحديد المواقع عبر الأقمار الصناعية والذي يثبت باستمرار إشارة تحدد موقع السيارة بدقة طبقاً لقواعد البيانات، وأظهر الفحص الدقيق لقواعد البيانات تلك أنه لم تكن هناك أية سيارات دورية تابعة لقسم شرطة العاصمة متواجدة في محيط مدرسة واشنطن لاتين وقت وقوع جريمتي الاختطاف والقتل.

ثم قال سامبسون: "ولكن الفيديو الذي صورته علي كروس أظهر بوضوح مشاركة سيارة دورية تظهر عليها جميع العلامات والكتابات التي تؤكد تبعيتها لقسم شرطة العاصمة. هناك من وضع تلك التفاصيل على السيارة بصورة دقيقة للغاية، حتى إنه عدل صوت النفير والأضواء الزرقاء مثلما نفضل تماماً".

سألته بري: "إلى أين يقودنا هذا الاستنتاج؟ إلى ورش تعديل هياكل السيارات؟ أم إلى الأماكن التي تؤجر سيارات المشاهد الخطرة لمنتجات الأفلام؟".

نظر سامبسون نحو شريكته الجديدة وقال بنبرة متذمرة: "ربما كان الأمر كذلك في البداية، إلا أن المحققة فوكس توصلت إلى خيط يحمل معلومات أكثر".

ارتسم شبح ابتسامة على شفتي فوكس، وأرجعت شعرها القصير خلف رأسها، وأخرجت حاسبها المحمول، وكتبت شيئاً على لوحة المفاتيح، ثم أدارته لتواجه شاشته الجميع. رأيت بري صورة امرأة شقراء، في أواخر العشرينيات أو أوائل الثلاثينيات من عمرها، من نوعية النساء غير المبهجات؛ فلم تكن تضع أية مساحيق تجميل ولكنها كانت جذابة بشكل كبير، وكان شكلها مألوفاً بصورة غامضة.

قالت فوكس: "هذه كاثيري دوبريس، وقد اختفت من داخل منزلها في مدينة صغيرة تقع جنوبي ولاية بنسلفانيا منذ ١٠ أسابيع".

تذكرت بري الحادثة، فقالت: "ادعى جيرانها أن سيارة إسعاف وصلت، ثم خرج منها رجال يرتدون ملابس المسعفين وأسرعوا إلى داخل المنزل وخرجوا حاملين إياها على محفة، ولكن لم يكن هناك أي تسجيل لاتصال بالطوارئ أو طلب لسيارة إسعاف خاصة".

قالت فوكس وهي تومئ برأسها: "ولم تكن هناك رسالة فدية".

سألته بري: "وما العلاقة بين الحادثتين؟"

عرضت فوكس صورة لشقراء جميلة أخرى، دليلة فرانكس، موظفة مصرف من مدينة ريتشموند بولاية فيرجينيا، اختفت منذ ٦ أشهر.

تساءلت بري: "ألم يعتقدوا في هذه الحادثة أن صديقها هو المسئول عن اختفائها؟"

قالت فوكس: "لقد كانت تميل لشخص آخر دون علمه، ولكن ربما كانت هذه مجرد مصادفة. ربما تم اختطاف دليلة لسبب آخر".

قالت بري: "هل تعتقدين أنك تعرفين السبب؟"

كتبت فوكس على لوحة مفاتيح حاسبها للمرة الثالثة، وظهرت على شاشته صورة مدرسية مزدوجة لفتاتين مراهقتين، كلتاها شقراء وجميلة.

قالت فوكس: "هاتان هما جيني كراوس، ١٧ عاماً إلى اليسار، وأليسون داين، ١٦ عاماً، إلى اليمين، وقد اختفت هاتان الفتاتان منذ ٧ أشهر من منطقة

ريفية في هيلز جروف بولاية بنسلفانيا".

قطبت بري حاجبها وقالت: "لم أسمع بهذه الحادثة من قبل".

قالت فوكس: "لأن عائلتي الفتاتين والشرطة هناك حافظوا على سرية الحادثة. إن عائلتي الفتاتين متدينتان بشدة، وأدت تحقيقات مأمور الشرطة هناك إلى الاعتقاد بأن الفتاتين ربما فرتا بسبب آراء الأسرتين المتشددة".

قالت بري: "وما شأن الفتاتين؟".

قالت فوكس: "كانت تربط بينهما علاقة كما يبدو"، ثم ضغطت أزرار حاسبها مرة أخرى.

ظهرت على شاشة الحاسب صورة لسيارة زرقاء من نوع تويوتا كامري وسط منطقة طينية خالية من الأشجار في غابة. كانت نوافذ السيارة الأمامية والخلفية محطمة، والباب المجاور للسائق مواربًا كاشفًا عن قطع من الزجاج المكسور متناثرة على المقعد.

قالت فوكس وهي تضغط أزرار حاسبها من جديد: "في اليوم التالي لتغيب الفتاتين عن العودة لمنزلهما، توصل المحققون إلى وجود سيارة أليسون في مكان يشتهر بإقامة الحفلات الماجنة في منطقة خالية من الأشجار في غابة الولاية. هنا نجد تغيرًا في نمط الحوادث".

انحنى بري نحو الأمام عندما رأت صورة صبي صغير وسيم على الشاشة. قالت فوكس: "تيمي ووكر، ١٢ عامًا، ويناديه أهله ديوس. في يوم اختفاء الفتاتين، اختفى ديوس أيضًا من داخل الحي الذي يسكن به، والذي لا يبعد أكثر من كيلومتر عن مكان العثور على السيارة. بعد شهر من اختفائه، عثر أحد الجواله على بقايا جثة ديوس داخل الغابة على بعد حوالي ٩ كيلومترات من المكان الذي وجدت به سيارة الفتاتين".

تساءلت بري: "هل تعتقد أن جميع تلك الحوادث مرتبطة ببعضها؟".

قالت فوكس وهي تضغط على أزرار حاسبها: "أنا لا أؤمن بالمصادفات".

ظهرت على الشاشة فجأة صفحة موقع إلكتروني ظهرت عليها صور النساء المختفيات موضوعة على خلفيات تظهر نماذج مرسومة لأجسام على الأرض، وعلى رأس الصفحة كانت توجد صورة لشعر مستعار بلاتيني اللون يشبه تصفيفة شعر مارلين مونرو عندما غنت أغنية "يوم ميلاد سعيد".

وتحت الشعر المستعار، كانت هناك حروف تبدو كأنها شمع أحمر ذائب تحمل اسم الموقع: قتل الفتيات الشقراوات من أجل المتعة دوت أورج دوت كوم.

الفصل 9

تفرست في ملامح فيوري ورأيت مدى الألم الذي يعانیه. أخذت نفسًا عميقًا، ثم أخرجته، وقلت بتعاطف صادق: "إنها معضلة صعبة أيها السيد فيوري". قال فيوري والدموع تتساقط من عينيه: "إنني أتمزق من داخلي؛ لأنني أتوق لما لا يمكنني امتلاكه".

لم أكن أعلم ما يجدر بي قوله، ليس في البداية على أية حال. ثم سألته: "ألا تعتقد أن الله قد أعد لكل منا مسارًا محددًا في هذا العالم؟" قال دون تردد: "بلى، بالطبع".

قلت: "هل تعتقد إذن أنه كان من المفترض أن تلتقي بيني وابناها؟". قال: "أعتقد أن هذا صحيح. ولكن لماذا؟ هل هو اختبار لمدى إيماني؟". قلت: "لا أعتقد أن أحدًا يمكنه التشكيك في إيمانك، ولا أعتقد أن الموقف يتعلق باختيار أخف الشرين، بل يتعلق أكثر باختيار أعظم الخيرين". قال فيوري: "لم أفهم ما تعنيه".

وضعت مفكرتي جانبًا وقلت: "إن بقيت كما أنت، فستضحى بسعادتك الشخصية لتواصل مساعدة الفقراء. ولكن إن تخليت عن مهمتك هنا، فبإمكانك أن تعثر على عمل مشابه لا يقل إفادة للناس، وأن تتزوج بيني وتربي ابنيها بأكبر قدر تمتلكه من حب، وهو فعل نبيل أيضًا".

فكر في كلماتي قليلًا عندما سمع طرقًا قويًا على الباب الخارجي لعيادتي. قال فيوري ناظرًا إلى ساعته: "يجب أن أنصرف الآن".

قلت: "يمكن للطارق أن ينتظر".

قال وقد نهض واقفًا: "لا. لقد منحنتي الكثير لأفكر فيه يا دكتور كروس. وأنا ممتن لك على ذلك حقًا".

صافحته قائلاً: "ستخبرني بقرارك، أليس كذلك؟".

قال: "بلى، بالطبع. أبلغ جدتك تحياتي".

تبعته إلى الردهة ومنها إلى الباب، وعندما فتحت الباب، وجدت جون سامبسون يقف على عتبة. أوماً الرجلان كل منهما للآخر تحية، ثم هبط فيوري الدرج وانصرف، ودخل جون العيادة.

سألت سامبسون وأنا أغلق الباب من خلفه: "هل أتيت من أجل استشارة نفسية؟".

قال وهو يدخل مكنتي ويجلس على مقعدي: "لديّ مستشار نفسي بالفعل. أنا هنا بصورة غير رسمية، غير رسمية على الإطلاق. ليس من المفترض بي أن أتحدث معك عن أي من القضايا من الأساس، بموجب أوامر من زوجتك ومن الرئيس مايكلز، ولكن شريكتي الجديدة ستقودني إلى الجنون، وأحتاج إلى رأيك بشدة".

"ويشرفني أن أمنحك إياه"، هكذا رددت وأنا ألقى نظرة خاطفة على الندبة الظاهرة على جبهة سامبسون، وتذكرت كيف بدت ملامحه خلال اللحظات التي تلت إطلاق النار عليه من ذلك التابع للراحل جاري سونجي. إنها لمعجزة أني جالس أتحدث إليه الآن.

أطلعني جون على الجرائم المتعددة التي يبدو أنها تتصل باختفاء جريتشن ليندل، ثم ربط حاسبه المحمول بشبكة الإنترنت اللاسلكية في مكنتي وقال: "كانت شريكتي إينسلي فوكس مشاركة في غرفة دردشة حيث كان الناس يتحدثون عن جرائم الاختطاف والقتل، وعثرت على هذا الرابط الإلكتروني".

ثم أدار الشاشة نحوي حيث كان الرابط ظاهرًا: شقراوات تحت أشعة إكس دوت بيز.

ضغط على الرابط، فنقله إلى موقع إلكتروني عنوانه: قتل الفتيات الشقراوات من أجل المتعة دوت أوج دوت كوم. نظرت إلى الشاشة بضع لحظات قبل أن أسأله: "هل هذا حقيقي؟ لقد قرأت أن تلك المواقع الزائفة تستخدم امتدادات مزدوجة مثل: دوت أوج ثم دوت كوم".

قال سامبسون: "احتفظ بهذه الفكرة".

عرض عليّ بضع صفحات من الموقع تتحدث عن الاختطاف والقتل. كانت الموضوعات شنيعة، ومليئة بالحقائق المغلوطة، إلا أن كل صفحة كانت تحتوي على روابط إلكترونية لمقالات إخبارية حقيقية عن الحوادث، ومقاطع فيديو من القنوات المحلية.

سألته: "لماذا يختلف الرابط الإلكتروني الأصلي عن اسم الموقع الفعلي؟". ابتسم سامبسون وقال: "لقد لاحظت ذلك. هناك المزيد. عندما تبحث في محرك البحث جوجل، أو أي محرك بحث آخر، عن أي من الموقعين، لا تحصل على نتائج".

فكرت في الأمر لوهلة ثم قلت: "إنه إذن جزءٌ من الشبكة السوداء؟". الشبكة السوداء جزء سري من شبكة الإنترنت لا يمكن لأحد ولوجه إلا عبر البرامج المشفرة.

قال سامبسون: "احتفظ بهذه الفكرة أيضاً"، ثم ضغط على زر إعادة العرض، انتقلت الشاشة إلى صفحة تحتوي على صور مصغرة. ضغط على إحدى الصور التي كُتِبَ تحتها "سقوط دليلة"، فظهرت صورة دليلة فرانكس، موظفة البنك من ريتشموند، وكانت الصورة التي رأيتها على صفحة الإنترنت الخاصة باختفائها.

تحولت الصورة إلى مقطع فيديو سيئ الإضاءة، مهزوز الصورة، لفتاة شقراء تتعرض للمطاردة داخل إحدى الغابات، وكان الفيديو من تصوير كاميرا مثبتة على صدر المطارِد أو رأسه. كان يمكنك أن تسمع صوت خطوات أقدام متوافقة تماماً مع الحركات الاهتزازية للكاميرا، والتي سرعان ما اقتربت كثيراً من المرأة ليظهر ظهر ثوبها المتسخ الممزق ويُظْهَر أنها كانت تعدو حافية القدمين وكانت تنزف.

بدا كأنها قد شعرت باقتراب مَنْ يطاردها، فنظرت خلفها وأطلقت صرخة رعب هستيرية قبل أن تقفز على حافة جرف منحدر؛ فانزلقت وتعثرت ثم سقطت في القاع.

كانت الفتاة تبكي وهي تزحف على أطرافها الأربعة في الطين وتهز رأسها يميناً ويساراً وتقول: "لا تفعل. أرجوك، لا تفعل. ألم أعان بما يكفي؟".

ركزت الكاميرا على الفتاة، وسمعنا صوتاً تم تغييره باستخدام الحاسب يقول: "ليس كافياً، يا دليلة. مرة واحدة لا تكفي أبداً".

مكتبة | 719

سُرَّ مَنْ قَرَأَ

الفصل

10

ظهر نصل سكين في المشهد الذي صورته الكاميرا، وكان نصلاً سميكاً، أسود اللون، ومنحنياً بشدة عند نهايته، حيث يتصل بمقبض مزين بالنقوش، تمسك به يد المصور اليمنى الموضوعة داخل قفاز. بدأ نصل السكين المرعب يتراقص ببطء وقوة أمام الكاميرا. وبدأت الكاميرا المثبتة على صدر المصور تهتز مع اقترابها أكثر من المرأة المرتجفة.

نظرت المرأة نحو المصور، ورأت السكين، فارتجفت في رعب، وحاولت الهرب. بدأت الكاميرا ترتج في قوة، والمصور يعدو خلفها، واهتز المشهد بشدة لعدة لحظات.

وعندما عادت الصورة، كانت هناك يد يسرى ترتدي قفازاً تمسك بشعر المرأة الأشقر، بينما كانت اليد اليمنى تمسك بالسكين بحيث يلامس الجزء المنحني من النصل الحاد قمة رأس الفتاة.

قال الصوت المعدل بواسطة الحاسب: "هل تمرح الشقراوات أكثر من غيرهن يا دليلة؟"

وقبل أن تجيب المرأة، توقف المشهد على صورة تُظهر يدين وسكيناً والجزء الخلفي من رأس الفتاة الشقراء. وفوق الصورة ظهرت أيقونة قفل.

قال سامبسون: "الشبكة السوداء. لقد تم تشفير مقطع الفيديو، ولن يمكننا فعل أي شيء".

سألته: "هل جميع مقاطع الفيديو كذلك؟ هل تُشفر عند لحظة وقوع الكارثة؟".

قال سامبسون: "نعم".

قلت: "هل تعتقد أنه قتلها؟".

قال سامبسون: "هذه هي النقطة المحيرة. لقد رأينا شخصًا يحمل كاميرا جوبرو عالية الدقة مثبتة على صدره، ويرتدي قفازات، ويحمل هذه السكين، ثم يُطلق سراح المرأة التي تصرخ، ثم يطارد لها، ويخيفها حتى تصل إلى درجة كبيرة من الرعب التام قبل أن يغلق الفيديو المصور تاركًا إياك لينتابك الفضول عما سيحدث في النهاية".

قلت: "وكيف يمكن فعل هذا؟".

قال سامبسون: "لا أعرف. لا توجد أية عروض ترويجية في أي مكان على الموقع، إلا أن فوكس اكتشفت إشارات إلى الموقع وتعليقات على لوحة منشورات مفتوحة خاصة بالمخترقين وكتاب الشفرات. وهي تعليقات كثيرة ومقلقة".

فتح سامبسون موقع مخترقي الحاسب، وسرعان ما رأيت قسمًا كبيرًا مكرسًا لموقع "قتل الشقراوات من أجل المتعة".

دخلت الموقع، وقرأت تعليقًا من أحد المشاركين يُسمى نفسه "الموت للشقراوات المغرورات" يقول: "أريد الاشتراك في هذا الموقع. يمكنني المشاركة، والمساعدة، أو حتى تحطيم بعض الرءوس".

ثم قرأت منشورًا من مستخدم يُسمى نفسه "محب السمراوات" يقول: "الموت لجميع الشقراوات، اللون البلاتيني يُدمر المخ".

ومنشور آخر لـ "١٨٨٩ بي ١" يقول: "اسلخ فروة رأس كل فاسدة منهن".

كان هناك، كما قال لي سامبسون، أكثر من ٢٠٠ منشور على موقع المخترقين على تلك الصفحة التي تحتوي على تلك الصور التسعين، وجميعها تعليقات قاسية وكريهة. لماذا؟ هل كل هذا بسبب لون شعر هؤلاء النسوة؟ ما سبب كل هذا؟

قلت: "هل لديك فكرة عمن أنشأ هذا الموقع؟ أو من يملكه؟".

قال سامبسون: "على الإطلاق! ولكن ألا تعرف خبيرًا سيبرانيًا من المباحث الفيدرالية؟".

قلت: "أعرف خبيرة سيبرانية من المباحث الفيدرالية، يمكنني أن أتصل بها إن كنت..."

سمعت صوت الباب المؤدي إلى القبو يُفتح.

ونادت بري قائلة: "أليكس؟ هل أنت هنا؟"

أغلق سامبسون حاسبه المحمول، ونهضت مسرعًا وأنا أصيح: "معني أحد العملاء يا عزيزتي، سأصعد بعد قليل".

قالت: "حسنًا، معذرة. ظننت أنك انتهيت".

انفلق الباب. لم أكن أحب أن أكذب على بري، ولكنني لم أكن أرغب في أن أوقع جون في المشكلات في اليوم الثالث لعودته للعمل، وكنت أشعر بالسعادة لعودتي للعمل معه على إحدى القضايا مرة أخرى.

همس سامبسون وهو ينهض: "سأتسلل خارجًا من هنا".

قلت: "لقد خيم الظلام في الخارج، وسأطفئ المصباح الخارجي فوق الدرج".

قال سامبسون: "سيبدو الأمر كما لو أنني لم أحضر إلى هنا من الأساس"، ثم وقف على عتبة الباب ونظر لي ثم قال: "لقد سعدت بالقدوم إلى هنا. أتعلم؟ كأن الأمور قد عادت لطبيعتها".

ابتسمت قائلاً: "لقد كان شعورًا رائعًا بالفعل".

قال سامبسون: "ستغلب على الأمر يا أليكس. وسنعود للعمل معًا مرة أخرى".

قلت: "سنعود لطبيعتنا"، ولكمت قبضته بتبصتي، ثم فتحت الباب وتناولت إلى الخارج أعز صديق حظيت به في حياتي، وذاب وسط ظلام الليل.

الجزء الثاني

ابن القاتل

الفصل

11

في عصر اليوم التالي، وقفتُ في مدرجات الصالة المغطاة بجامعة ماريلاند أشاهد جيني، ابنتي ذات الستة عشر عامًا، وهي تعدو ببطء وتمارس تمارين الإحماء على المضمار، وبدأت أصفق عندما حان دورها للمشاركة. أشارت لي بإصبعها الإبهام بعلامة التميز وابتسمت، ولكنني لاحظت من ملامحها أن هناك ما يؤرقها، ورأيت أيضًا تعبيرًا لم أره يومًا على وجهها قبل أي سباق: الخوف من المجهول.

لم يكن هذا جيدًا. ربما كان هذا الشعور مفهومًا لأنها كانت تشارك في سباقها الأول بعد فترة طويلة قضتها في العلاج من إصابة أمت بها، ولكنه لم يكن شعورًا جيدًا. في الماضي، كانت جيني تصل دائمًا إلى خط البداية واثقة ومسترخية ومستعدة للقتال.

كانت جيني قد كُسر لها اثنتان من العظام السمسمانية في قدمها اليمنى خلال أحد السباقات، وشُفيت إصابتها خلال فترة طويلة ومؤلمة. والعظام السمسمانية بمثابة عظمة الرضفة للقدم، ولكنها أصغر بكثير؛ وهي تحمي الأوتار والأربطة الكبيرة التي تخرج من أصبع القدم الأكبر. ومن دون هذه العظام، لن يمكنك العدو دون أن تشعر بالآلام مبرحة.

وقد حذر المدربون والأطباء جيني من العودة للركض قبل أن تُشفى عظامها تمامًا، لكن الأمر كان يُشبه أن تطلب من الفهد ألا يجري في الغابة، ما سبب لها

الكثير من الاكتئاب والإحباط، لكنها تحملت واستعادت قوتها، وأظهر الفحص بالأشعة السينية أن العظام السمسمانية التحمت بشكل رائع. كان هذا منذ ١٠ أسابيع. ومنذ شفائها، بدأ مدربوها يزيدون من أحمال تدريبها بالتدريج حتى تستعيد مستواها قبل...
"أليكس؟"

نظرت نحو اليمين فرأيت رجلاً قوي البنية، في الخمسينيات من العمر، ذا شعر زحف عليه الشيب، يتجه نحوي مرتدياً سروال إحماء فضي اللون، وسترة زرقاء ذات قلنسوة، وهداءً أبيض من أحذية أسيكس الرياضية، وكان هناك منظار مقرب صغير وساعة توقيت معلقان حول عنقه.

قلت وأنا أمد يدي مصافحاً تيد ماكدونالد: "تسعدني رؤيتك أيها المدرب". قال ماكدونالد: "لا يمكن أن أفوت عودة فاتنا الخارقة. كيف حالها؟". قلت: "أصدقك القول إنها خائفة بعض الشيء وأعصابها مشدودة". ظهر الانزعاج على وجه المدرب وقال: "هذا ليس جيداً". قلت: "أعلم هذا، ولكن دعنا نر ما سيحدث".

قال المدرب: "هذا كل ما يمكننا فعله؛ ففي نهاية المطاف، الأمر يعود لها". كان ماكدونالد مدرباً خاصاً من تكساس، بدأ العمل في تدريب جيني قبل عام من إصابتها. في ذلك الوقت، كان يتحدث عن قدراتها في سباقات المضمار والميدان، ولكن على مستوى المشاركة في الأولمبياد. بدأت أساءل عما إذا كانت هذه الآمال ستتجدد بعد ساعة من الآن، أو لن تتجدد على الإطلاق. قال ماكدونالد كما لو كان يقرأ أفكاري: "سيكون هذا اختباراً جيداً لها. أرضية جيدة، مضمار قصير وانحناءات ضيقة. بغض النظر عن أسلوب جيني في العدو، سوف تضغط على عظامها السمسمانية". قلت: "وكيف يكون هذا جيداً؟".

كثيراً ما كان ماكدونالد صريحاً معي؛ لذا توقعت الصراحة منه، وحصلت عليها.

قال المدرب: "سرعان ما سنعرف إذا كنا قد عبرنا هذه الأزمة أم لا. وإن كنا قد عبرناها بالفعل، سنحول اهتمامنا بعيداً عن قدمها". حدثت نفسي أنه لا عجب في أن جيني كانت تبدو فاقدة الثقة، ولا عجب في أنها كانت خائفة؛ إذ كان الأمر يبدو كأنها تنتظر أن يتم الحكم عليها.

حاولت ألا أترك ذهني يشرد في محاكمتي الوشيكة، وبدأت محادثة عفوية مع ماكدونالد قبل أن يتم استدعاء المتنافسين في سباق العدو لأربعمائة متر ليقيموا عند خط الانطلاق. وقفت جيني عند الحارة الثالثة من اليمين، وكانت مستعدة، مثل حالها دائماً، لتعدو دورتين حول مضمار الصالة المغطاة.

كانت قد اكتسبت ما يقرب من ٥ كيلوجرامات من العضلات منذ آخر سباق شاركت به، ولكن كانت لا تزال تشبه الغزال، بساقين وذراعين طويلتين وقويتين، وكانت لا تزال نحيلة مقارنة بالمتسابقات الأخريات الأكبر سناً واللاتي كن يتحركن نحو نقاط انطلاقهن.

أشار ماكدونالد إلى الفتاة التي تقف عند الحارة الخامسة وقال: "هذه كلير مايسون، حاملة الرقم القياسي لمدرسة ماريلاند الثانوية لسباق مضمار الصالات المغطاة، لقد وقعت بالفعل خطأً حددت فيه رغبتها في الالتحاق بفريق ألعاب القوى التابع لجامعة ستانفورد كعداءة".

قلت: "هل تعرف ابنتي هذا؟"

قال: "لا. إنها لا تهتم إلا بتنفيذ خطتها".

طلب الحكم من العداءات الوقوف عند علامتهن. كنت أشعر بتقلص في معدتي. خلال السباق الماضي، سقطت جيني بمجرد انطلاقها، الأمر الذي تسبب في كسر عظامها.

قال الحكم وقد رفع مسدسه نحو الأعلى: "استعداد".

أحنت جيني ظهرها بشكل متكور.

وعندما انطلقت الرصاصة من مسدس الحكم، انطلقت جيني بنجاح، وشهقت في راحة عندما رأيتها تتطلق بأقصى سرعتها، وكانت ساقها تعدوان بكل ما أوتيت من قوة، وكان جذعها يجاهد من أجل الحفاظ على انتصاب قامتها، وكانت ذراعها تدفعان جسدها نحو الدوران الأول والاختبار الأول الحقيقي لعظامها المصابة.

انطلقت جيني عبر المنحنى الأول بسهولة ومن دون أن يبدو عليها الألم، وانطلقت بأقصى سرعة على المضمار. بدأ ازدحام العداءات حول بعضهم يخف عندما وصلن إلى المنحنى الثاني، وكانت جيني في المرتبة الرابعة.

قال ماكدونالد وهو ينظر إلى ساعة التوقيت في يده: "حافظي على

انضباطك الآن".

واصلت جيني العدو على المضمار وتخطت الفتاة التي في المرتبة الثالثة، ثم الفتاة التي في المرتبة الثانية، ولم يكن أمامها إلا كليير مايسون في المقدمة ولم تتبق إلا دورة واحدة.

قال ماكدونالد: "اللجنة يا جيني. ليس هذا ما..."

انطلقت ابنتي بأقصى سرعتها خلف بطلة مدرسة ماريلاند الثانوية، إلا أن مايسون سبقتها عند المنحنى الثالث. طبقاً لما رأيته من أداء ابنتي في السابق، تبينت أن المسار المستقيم الثاني سيكون فرصتها لتصدر السباق؛ فقد تعثر على طاقة احتياطية في داخلها لم يتوقعها أحد، وتتخطى تلك الفتاة التي تحتل المقدمة.

ولكن زادت المسافة بين مايسون وجيني، ثم تخطت الفتاة التي في المرتبة الثالثة جيني. كانت جيني تجز على أسنانها وتبذل قصارى جهدها، ولكن قبل ٤٠ متراً من خط النهاية، تخطتها الفتاة التي في المرتبة الرابعة، ولحقت بها الفتاة التي في المرتبة الخامسة قبل نصف متر من خط النهاية.

أبطأت جيني من سرعتها حتى توقفت، ونظرت حولها في حيرة، ثم نظرت نحو المدرب ماكدونالد ونحوي.

ثم رفعت يديها لأعلى في يأس وانفجرت باكية.

الفصل 12

ركضت على طول البركة اللامعة التي تمتد بين النصب التذكاري لمدينة واشنطن والنصب التذكاري للنكولن. كان الجو في الفجر بارداً والنسيم عليلًا، وكان شعورًا رائعًا أن يتحرك المرء ويتنفس هذا الهواء المنعش.

خلال جولات الركض الصباحية التي اعتدتها، كنت أحاول دومًا أن أتجنب التفكير في أي شيء عدا خطوات عدوي. ولكن، في ذلك اليوم لم أتمكن من إبعاد تفكيري عن جيني.

كان المدرب ماكدونالد قد أخبرها قبل السباق بأن هدفها ليس مهاجمة العداءات المتفوقات والفوز بالسباق، بل كان يريد منها أن تبدأ السباق بداية جيدة والبقاء قريبة من متصدري السباق، والمواصلة حتى النهاية. كان يرغب في أن يكون هذا السباق مجرد جلسة تدريبية واختبارًا لقدمها.

ولكن، بذلت جيني قصارى جهدها، وسعت لتحقيق ما تريده هي بدلًا من الالتزام بالخطوة التي وضعها لها ماكدونالد، الأمر الذي سبب خلافًا بينهما، وأخبرني المدرب بأنه يعيد التفكير في الوقت الذي يجب أن يخصصه لها. بغض النظر عما حدث، تخطت قدمها الاختبار؛ فلم يكن هناك أي ألم أو شعور بعدم الراحة.

نظرت إلى ساعتني وزدت من سرعتي حتى قاربت العدو السريع صاعدًا الدرج الرخامي الذي يؤدي إلى التمثال الجالس لإبراهام لنكولن، الرئيس

السادس عشر والأعظم في تاريخ البلاد. لقد دخلت القاعة المستديرة التي يتوسطها تمثال لنكولن من قبل، وقرأت مقولاته عشرات المرات، ولكنني كنت أصاب برجفة في جسدي كلما قرأتها.

لم أحظ بفرصة قراءة مقولاته اليوم بسبب ظهور امرأة هندية أمريكية، ضئيلة الحجم، عصبية المزاج، ترتدي بذلة رسمية زرقاء، ومعطفًا واقياً من الأمطار، من خلف أحد الأعمدة الحجرية. كانت المرأة تحمل حقيبة أوراق وكوب قهوة كبيراً من مقهى ستاربكس، وقد أشارت برأسها نحوي دلالة على أنه يجب علينا أن ننصرف معاً.

قالت العميلة الخاصة للمباحث الفيدرالية، هينا باترا، هامسة: "يجب ألا أكون هنا من الأساس. كان يجب أن أتحدث مع سامبسون أو مع زوجتك". قلت لها ونحن نهبط درج النصب التذكاري: "ولكنك هنا بالفعل. هل أقيت نظرة على رابط الموقع الإلكتروني الذي أرسلته لك؟". لم تجبني باترا، بل هزت رأسها بطريقة بدت كأنها تقول إنني أحمق لأنني طرحته هذا السؤال من الأساس.

سوف يخبرك الرجال والنساء الأكثر مني ذكاءً بأننا على أعتاب حدث فريد؛ لحظة من الزمن سوف تتمكن بعدها كل العقول البشرية من الوصول إلى كل المعلومات الممكنة على الإنترنت. وعلى قدر علمي، فقد كانت باترا بالفعل بارعة في استخدام الإنترنت، فبمجرد اتصالها به، يمكنها أن تتصفح قدرًا كبيراً من المعلومات الرقمية، وأن تفتح جميع الأبواب تقريباً، وأن تلقي نظرة خاطفة على أكثر الأماكن السرية والمظلمة على شبكة الإنترنت.

كما أنها كانت واحدة من أذكى الشخصيات التي عرفتها في حياتي؛ فقبل أن تتخرج في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، كانت باترا قد تلقت ٨ عروض لوظائف مرتفعة الأجر في مجال محركات البحث وشبكات التواصل الاجتماعي، وبدلاً من قبول أي من هذه العروض، التحقت بالمباحث الفيدرالية، وتحديدًا بوحدة الجرائم السيبرانية التي تتوسع يوماً بعد يوم. التقيتها خلال التحقيق الذي كنت أقوده، والذي أدى إلى تهمة القتل الموجهة ضدي.

كان هذا هو السبب الرئيسي لتردد باترا في لقائي بمكان عام؛ فقد كانت فخورة بعملها في المباحث الفيدرالية، وتتحلى بنزاهة شخصية عالية، وتهتم

بسمعتها بدرجة كبيرة، لكنها أتت، ما يعني أنها رأت أن الأمر يستحق المخاطرة،
وأنها ألفت نظرة على موقع "قتل الشقراوات من أجل المتعة".

قلت: "أخبريني يا باترا، هل حالفك الحظ في فتح أي من مقاطع الفيديو
المشفرة؟".

قالت باترا وهي تتجه نحو نصب فيتنام التذكاري: "وهل استعصى عليّ مثل
هذا الأمر من قبل؟".

قلت: "وماذا وجدت؟".

قالت: "لا شيء. جميع مقاطع الفيديو تنتهي بعد ثانية أو ثانيتين من لحظة
الإغلاق. وأعتقد أنه لو كان المستخدم يمتلك رمز الدخول الصحيح، فسوف
يتمكن من مشاهدة هاتين الثانيتين الإضافيتين، ثم يتم إرسال رسالة سرية
بالتشفير البصلي إلى صاحب الموقع. عند هذه النقطة، يرسل صاحب الموقع
رسالة أخرى مشفرة بالتشفير البصلي ملحقًا بها الفيلم المشفر كاملاً".

قلت: "انتظري قليلاً. لقد أخبرتني بأمور تتخطى فهمي. ابدئي بموضوع
البصلة هذا".

أخذت خبيرة الجرائم السيرانية رشفة من قهوتها وقالت إن التشفير
البصلي عبارة عن رسالة رقمية أو أمر يرسل من أحد الحواسيب وهو مفلج
بطبقات متعددة من الشفرات، تمامًا مثل البصلة. وأضافت: "عندما ترسل
رسالة إلكترونية أو تتصفح الإنترنت عبر ما يسمونه الشبكة الظاهرة، تترك
خلفك آثارًا رقمية في كل مكان، ولكن عند إرسال رسالة أو أمر مشفر بالتشفير
البصلي، فإن الطبقات المشفرة التي تحيط بتلك الرسالة توجهها عبر
العشرات من المسارات على الشبكة العميقة أو غير المنظمة، ويعمل كل مسار
على إزالة طبقة من طبقات التشفير والبيانات الوصفية التي يمكن أن تحدد
المرسل الأصلي".

أردفت باترا: "رسائل التشفير البصلي تضمن إخفاء هوية المرسل، ولا
يمكننا الاطلاع عليها. ولا يمكن حتى لوكالة الأمن القومي الاطلاع عليها. لماذا؟
لأننا لا نعلم أنها موجودة من الأساس. فإذا تم التشفير بطريقة صحيحة، فإن
تلك الرسائل لن تترك وراءها أية آثار رقمية على الإطلاق".

قلت بخيبة أمل: "لا بد أنك تمزحين".

قالت باترا، وقد انقلب وجهها بينما كنا ندخل نصب فينتام التذكاري: "كلا، أنا لا أمزح. هذه الأمور من الأعمال الخطرة للشبكة السوداء، وقد ورطت نفسك فيها يا كروس. إن كل شيء يتعلق بهذا الموقع الإلكتروني تقريباً يتم بأسلوب التشفير البصلي، ومن ثم لا يمكنني أن أعرف من أنشأه أو من يقوم بأعمال صيانتة".

قلت: "ألا يمكنك اختراقه؟"

قالت باترا: "وماذا أخترق؟ إن الموقع مبني بشكل مجهول، ويدير نفسه ذاتياً. يمكنني أن أغلق رابط الموقع المستضيف، ولكني واثقة بأن هناك عشرات من المواقع البديلة التي تحمل المحتوى نفسه".

فكرت في الأمر قليلاً ثم قلت: "لقد قلت إن كل شيء يتعلق بهذا الموقع الإلكتروني تقريباً يتم بأسلوب التشفير البصلي".

رفعت باترا حاجبيها وقالت: "إنك أكثر ذكاءً مما تبدو يا كروس".

قلت: "إنها واحدة من مميزاتي. ما الجوانب التي لا تتم باستخدام التشفير البصلي؟"

قالت باترا: "تلك التعليقات على لوحة إعلانات موقع المخترقين... يمكنني تتبعها، وقد تتبعتها بالفعل".

قلت منبهراً: "هل تتبعت كل المعلقين؟"

قالت باترا: "فقط أولئك الذين لهم عدد كبير من التعليقات، حتى الآن".

قلت: "وما الذي نعرفه عنهم؟"

قالت عميلة مكتب التحقيقات الفيدرالي وهي ترشف رشفة من قهوتها: "مخبولون غريبو الأطوار".

كنت قد بدأت أشعر بالبرد، ففككت السترة ذات القلنسوة التي كانت مربوطة حول خصري وارتديتها، بينما واصلت باترا حديثها.

قالت باترا: "على الشبكة الظاهرة، هم يتصيدون الأفلام الإباحية، أما على مواقع الشبكة السوداء التي تمكنت من تتبعهم عبرها، فإنهم يتصيدون أموراً أخرى أكثر بشاعة. لقد دونت كل شيء".

قلت: "وأين هم؟"

قالت: "هل تعني أماكن تواجدهم الحقيقية؟ في جميع أنحاء العالم، رغم أن واحداً من هؤلاء المخبولين الذين يُعلقون بانتظام هو شخص محلي بالتأكيد". قاطعتها قائلاً: "ماذا تقصدين بـ محلي؟".

قالت ملوحة بكوب القهوة الذي تمسكه في يدها: "إنه يقيم هنا، في العاصمة".

قلت: "هل لديك اسم أو عنوان له؟".

تقرست باتراً في وجهي للحظات، وكأنها تقرر ما يجدر بها أن تخبرني به، ثم قالت: "شيء قريب من هذا".

الفصل

13

بينما كنت أغادر محطة مترو بروكلاند - كوا في وقت لاحق من ذلك اليوم، أدركت جيداً أنه لم يكن يجدر بي أن أسير في شارع جون ماكورماك درايف. كنت أتخيل بري في ذهني وهي تقول إنني لم أعد أملك سلطة قانونية هنا، وأنه من الأفضل لي أن أقضي وقتي في تجهيز دفاعي استعداداً للمحاكمة. ولكنني عدت للمشاركة في اللعبة، ومن ذا الذي سيخبر بري أو أي شخص آخر؟

المخبولون غريبو الأطوار؟

محال! إن أي مخبول غريب الأطوار سيحاول أن يتجنب أية تعاملات مع جهات إنفاذ القانون الرسمية. وربما أتوصل إلى شيء مفيد بشأن جريشن ليندل والفتيات الشقراوات المخفتيات، وهكذا يمكن تبرير أفعالي بأنني مواطن مهتم بصالح المجتمع.

مع اقتناعي بهذه الفكرة، توجهت نحو حارس أمن الجامعة الدينية الأمريكية وسألت عن كيفية الوصول إلى مكتب شؤون الطلبة. أعطاني الحارس خريطة، فشكرته وسرت في اتجاه المكتب ثم استدرت عند ناصية أحد المباني وتواريت عن الأنظار.

بعد ذلك توجهت إلى فلاذر هول، استراحة طلاب السنة الأولى الذكور ذات الواجهة الحجرية. كانت المحاضرات قد انتهت في يوم الجمعة ذاك، وكانت

موسيقى الراب والهيبي ميتال تنساب وتختلط من داخل غرف الاستراحة المفتوحة. لمحت بعض الفتية الصغار يتناولون الكحوليات، وشممت رائحة الحشيش المحترق بينما كنت أشق طريقي نحو الطابق الثاني، ثم أسير بطول رواق طويل يعج بغرف العديد من الفتية الذين يعيشون وحدهم للمرة الأولى في حياتهم.

كان باب الغرفة رقم ٢٧٨، التي أبحث عنها، مواربًا. وقفت خارج الغرفة أسترق السمع، ولكني لم أسمع شيئاً، فطرقت الباب، ولم أتلق ردًا. دفعت الباب فانفتح، ورأيت سريرًا مزدوجًا عن يميني وسريراً مفردًا بجوار الحائط المواجه لي، وشاهدت شابين في سنوات المراهقة المتأخرة يجلسان على مقعد يستقر بين السرير المفرد ويني، وكانا يضعان سماعتي أذن ويمسكان بذراعي تحكم جهاز ألعاب الفيديو، وكانا مستغرقين تمامًا في لعبة عنيفة تدور على الشاشة المعلقة على الحائط أمامهما، لدرجة أنهما لم ينتبها لوجودي.

ومن خلفهما، أمام مكتب في ركن الغرفة، كان يجلس شاب ثالث أبيض البشرة، نحيل وضئيل الحجم، ذو شعر بني، وينتشر على بشرته الكثير من النمش. كانت هناك ٣ شاشات حاسب تحتل كامل مساحة المكتب الصغير أمامه، وكان يضع سماعات أذن أيضًا، وكان يحدق تمامًا إلى الشاشات. مددت يدي وأطفأت أنوار الغرفة ثم أضأتها، وكررت ذلك مرتين. بدا الأمر كأن خبيرًا في التنويم المغناطيسي قد فرقع بأصابعه؛ فاستيقظ الشبان الثلاثة من غفوتهم ونظروا حولهم بأعين زائغة. كان أقربهم مني شابًا بدينًا، أشقر الشعر، يُدعى فريد فيرتز، وكان أول من رأني، فأرجع ذقنه العريض إلى الخلف ونزع سماعات أذنه.

قال فريد: "من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟".

انتظرت حتى نزع الشبان الآخرين سماعات آذانهما قبل أن أغلق الباب من خلفي وأدير مفتاحه بشكل درامي، فشعر الشبان بالخطر من تصرفي بهذه الطريقة الباردة.

قال فيرتز مرة أخرى: "من أنت؟"

قلت: "لا يهم من أكون".

قال خوان سير، الشاب الآخر الذي كان يلعب لعبة الفيديو: "بل بهم بالطبع". كان سير قوي البنية كأنه ظهير ربعي في فريق كرة قدم أمريكية، ونهض من مقعده ليريني أنه ليس من الجيد أن أحاول استفزازه.

قال بريان ستيتسون، الشاب ذو النمش، الذي كان جالساً أمام شاشات الحاسب الثلاث: "لا تفعل أي شيء أيها الغبي خوان. سأطلب أمن الحرم الجامعي".

قلت: "افعل هذا وسأخبر أمن الحرم الجامعي بما أعرفه عما يحدث في هذه الغرفة".

تبادلوا النظرات فيما بينهم في تشكك.

قال فيرتز، الذي كان بحاجة ماسة إلى الاستحمام: "لا نعلم ما الذي تتحدث عنه يا رجل".

قلت: "حسناً، دعونا ندخل في صلب الموضوع مباشرة، قبل أن أبلغ وكالة الأمن القومي، والمباحث الفيدرالية، وست وكالات إنفاذ قانون أخرى. أياكم أيها السادة من يسمي نفسه (الموت للشقراوات المغرورات)؟".

الفصل 14

تهدل جفنا فيرتز حتى كادت عيناه تنغلقتان، وقطب ستيتسون جبينه، كما لو أنه سمع عبارة بلفة أجنبية من مسافة بعيدة، أما سير فتصرف كأنني لکمته في معدته.

ثم تحولت تعبيرات الشاب المراهق من الدهشة إلى الغضب؛ فأحنى كتفيه وقال لـ ستيتسون وهو يجز على أسنانه: "لقد أخبرتك بأن العبث في هذا النوع من الهراء هو سم للعقول".

قال ستيتسون: "اصمت يا خوان"، ثم نظر نحوي متفحصًا وقال: "من أنت؟".

قلت بعدما تمكنت من تحديد قائد هذه المجموعة: "أسوأ مشكلاتك على الإطلاق، إلا إن تحدثت معي بصراحة. كم عمرك يا بريان؟".

قال: "١٨ عامًا. كيف تعرف اسمي؟".

قلت: "إنني أعرف أسماءكم جميعًا، وأعلم أنكم تجدون متعتكم في استكشاف الشبكة السوداء، وأنكم تتخطون الحدود، ودخلتم مواقع شديدة القذارة".

قال ستيتسون: "إننا نعيش في عالم حر".

قلت: "مصارعة كلاب؟ مقاطع فيديو حربية شديدة العنف؟ مواقع إباحية تحتوي على مشاهد تعذيب؟".

قال ستيتسون: "هل هناك قوانين لا أعرفها تحرم المشاهدة؟".

قلت: "لا، ولكن هناك الكثير من القوانين التي تمنع التحريض على اختطاف وقتل ٥ نساء".

بدا الشاب كأنه اهتز، وبدا أقل ثقة وهو يقول: "أعرف معنى كلمة تحريض، ولا أحد في هذه الغرفة يحرض على أي شيء".

قلت: "ألم تنشر تعليماً على لوحة إعلانات تتحدث عن موقع قتل الشقراوات؟ حيث قلت: أريد الاشتراك في هذا الموقع. يمكنني المشاركة، والمساعدة، وحتى تكسير بعض الرؤوس".

نظر لي في ذهول، ثم نظر نحو حاسبه وقال: "هل اخترقت حاسبي؟". قلت: "لقد اخترقت المباحث الفيدرالية حاسبك يا ستيتسون. لقد أخفقت، ونسيت أن تستخدم التشفير البصلي، وهذا يعني أنه يجدر بي الذهاب إلى مكتب العميد، وإخباره بأفعالك، ما يعني أنه من المؤكد أن تُطرد من الجامعة، ويعني أيضاً أنه سيتم استدعاء والديك، ويعني أنك ستخرج من هنا في مهانة وذل كاملين".

تركته يستوعب كلماتي للحظات قبل أن أستطرد: "أو يمكنك أن تتحدث معي".

وبعد لحظات بطيئة، قال فيرتز: "أنا سأحدث".

قال ستيتسون: "فريد، لا تفعل".

قال فيرتز بحدة: "بريان، سيسلخني والدي حياً إن طُردت من الجامعة".

قال سير: "وأنا أيضاً سأحدث".

احمر وجه ستيتسون بشدة، وهدق إلى وجهي، وبدا كأنه يعاني صراعاً داخلياً عنيفاً، ثم قال أخيراً بغضب: "ماذا تريد أن تعرف؟".

وعلى مدار الدقائق العشرين التالية أو نحوها، سمعت القصة كاملة.

كان ستيتسون طالباً عبقرياً في الرياضيات والحاسب، وكان بصدد الانتقال للدراسة في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، إلا أن والده كان أحد أوصياء الجامعة الدينية ومناصرًا متحمسًا لها. وفي ليلتهم الأولى في الحرم الجامعي، عرّف ستيتسون كلا من سير وفيرتز على الشبكة السوداء، وعثروا على موقع قتل الشقراوات، وبدأوا يضعون تعليقاتهم عليه من أجل المرح.

قلت: "مرح؟".

قال ستيتسون: "بالله عليك، لا أحد يعتقد أن مقاطع الفيديو هذه حقيقية". قلت: "هل تمكنت من فتح أي من هذه المقاطع؟"

قال: "لا أحد يستطيع ذلك. لقد حاولت. إن العالم المغلق المجهول جزء لا ينفصل من خيال الواقع الافتراضي يا رجل - مكان يمكنك فيه أن تمر بتجارب آمنة، وتنفس عن إحباطاتك دون أن تتحمل أية عواقب".

أعدت تقييم الشاب ذي الثمانية عشر عاماً، وأصبحت على قناعة بأن ذكاه سيؤدي به إلى كارثة، ثم قلت: "هل تعانون إحباطاً في تعاملكم مع الشقراوات؟" قال فيرتز: "ألا يعاني كل رجل على وجه الأرض من ذلك؟".

انفجر كل من سير وستيتسون ضاحكين. وكان عليّ أن أقر بأنها كانت دعابة جيدة، وجاهدت حتى أمنع نفسي من الابتسام.

قلت أخيراً: "إذا نظرت إلى ماضي كل منكم، فهل سأجد فتاة شقراء كرهتموها لدرجة أنها إما اختُطف أو قُتلت؟".

قال سير: "كانت صديقتي الأولى شقراء، وضبطتها وهي تراسل الشقيق الأكبر لأعز أصدقائي، وقد تزوجا الآن. لم تُختطف أو تُقتل، ولكنها تعيسة في حياتها".

قال فيرتز: "إن كراهيتي للشقراوات نابعة من معلمة لغة ألمانية في صفري. كانت قاسية للغاية، ولم تكن تعرف شيئاً عن حس الدعابة. كنت أفكر في إيذائها، لكنني عدلت عن هذا - على الأقل، حتى حصلت على درجة امتياز". ضحك ستيتسون وسير مرة أخرى. ولم أتمالك نفسي وابتسمت. قلت ناظراً نحو ستيتسون: "وماذا عنك يا بريان؟".

التفت ستيتسون نحوي وقال: "إن قصتي مع الشقراوات تشبه قصص الجميع مع الشقراوات. إنها تدور بالكامل حول عقدة الأميرة التي يحاول الجميع إرضاءها كل يوم".

الفصل 15

بعد العشاء، وبمجرد صعود جيني إلى غرفتها لأداء واجباتها المدرسية، وجلوس علي لمشاهدة فيلم ميرو، ذلك الفيلم الوثائقي الرائع عن متسلكي الجبال الخطرة. أخبرت بري ونانا ماما عن بريان ستيتسون، وقلت عنه إنه أحد عملائي ولم أكتشف اسمه.

قالت بري: "عقدة الأميرة؟ وعلى أي نحو حدد هذه العقدة؟".

قلت: "إنه يقول إنها تبدأ منذ ميلاد الفتيات الشقراوات، حيث تلبسهن أمهاتهن ملابس الأميرات وهن في المهد، ثم يتم ملء رءوسهن بقصص الأميرات، في الأفلام والإعلانات وفي كل مكان من حولهن، حتى يقتنعن بأنهن إن كن جميلات بما يكفي، فسيتمكن من خطف قلب الأمير الجذاب والعيش في سعادة إلى الأبد".

قالت نانا ماما: "هل أخبرك بهذا شاب في الثامنة عشرة من عمره؟".

"إنه شاب حاد الذكاء؛ لقد تمكن من اكتشاف النظرية التي قامت عليها جميع قصص الشقراوات".

قالت بري: "أعرف فتاة شقراء تنطبق عليها هذه النظرية تماماً؛ حيث كانت تُعامل كأميرة طوال فترة طفولتها. ليان لونج. إنها امرأة رائعة، وأصبحت ممرضة وتزوجت من رجل رائع؛ لذا لا تسير الأمور عادة على النحو الذي توقعه هذا الشاب".

قالت جدتي وهي تمسك بعكازها وتنهض: "إن المرأة العجوز تحتاج إلى النوم".

وعدها قائلاً: "سنصعد للنوم بعدك مباشرة، ولكننا سننظف المكان جيداً من أجلك حتى تجديه نظيفاً تماماً في الصباح".

قالت الجدة وهي تقبل جبهتي: "ليحفظك الله يا بني".
عندما ابتعدت نانا ماما ولم يعد بإمكانها سماعنا، ظهرت الجدية على وجه بري وقالت: "أليكس، كم من الوقت ظننت أنك ستخترط في تحقيقات اختفاء جريتش ليندل من دون أن أعرف؟".

قلت: "ألم تنطل عليك حكاية العميل الذي زارني؟".
قالت: "نعم، بالطبع".

أخبرتها بالحقيقة كاملة، ودون أن أكذب في حرف واحد.
وعندما انتهيت، كان الغضب بادياً على وجه بري.

قالت: "هل جُنت لتذهب إلى الحرم الجامعي بهذه الطريقة؟ وتدخل غرفة طلبة دون إذن تفتيش؟ وتهدد شهوداً محتملين دون أن تمتلك أية سلطة قانونية، وفي أثناء إيقافك عن العمل انتظاركاً لمحاكمتك على ارتكاب جرائم قتل؟".
كنت أتوقع أن تقول هذه الكلمات، لكن هذا لا يمنع أنها آلمتني. لقد خذلتها دون شك.

قلت: "كنت أريد المساعدة يا بري. شعرت كأنني عدت للمشاركة في اللعبة من جديد".

قالت بري: "إن عيادتك وعملاءك هم عملك الآن. ألا يوجد ما تفعله؟
اعمل على تجهيز دفاعك. ساعد أنيتا وناعومي على الفوز بالقضية. وفي المرة المقبلة عندما تشعر بالحاجة إلى الكذب أو إخفاء شيء عني، حاول ألا تفعل يا أليكس".

شعرت بالفراغ في داخلي، فقلت: "أنت محقة. لقد كنت... أنت محقة. لن يتكرر هذا أبداً".

كنت أمل أن تسامحني. كنت أكره أن نذهب إلى النوم وأحدنا غاضب من الآخر.

وبعد بضع لحظات، زفرت بري وقالت: "أنت لا تعتقد إذن أن هؤلاء الطلبة متورطون في الأمر؟".

أرخيت كنفِيّ، وشعرت كأن الأمور تمت تسويتها بيننا.

قلت: "بعيداً عن التعليقات، لا، فما رأيته لا يوحي بذلك".

قالت: "ألا تعتقد أننا بحاجة إلى الحصول على إذن تفتيش لحواسيبهم؟".

قلت: "وتسببين في طردهم من الكلية لمجرد أنهم مراهبون أذكفاء، وفضوليون، ولديهم عقدة من الفتيات الشقراوات؟".

قالت بري وهي تنهض مائة يدها لي: "حسناً، ما دمت قد فسرت الأمر بهذه الطريقة".

أمسكتُ بيدها وقبلتها، وقلت: "أميرتي الحسنة!".

فبدأت تضحك وقالت: "أميري الجذاب!".

نهضت مبتسماً وقلت: "هذا أنا بلا شك".

الفصل 16

لم يرجون سامبسون من قبل حزناً جماعياً مثل هذا؛ فقد كان البكاء والعيول يصدران من كل غرفة يمر بها.

فكر سامبسون في نفسه: لقد دمرت البراءة. حتى هذه اللحظة، كانت حياتهم عبارة عن نجاح براق تلو آخر، ولكن انتهى كل هذا الآن.

بدا وولي كريستيان، رئيس أمن جامعة جورج تاون، مصدوماً بينما كان يسير إلى جوار سامبسون والمحققة إنسلي فوكس في رواق الطابق الأول من مبنى فيلج سي ويست، مهجع الطلاب الجدد، وتنحى ضابط دورية من قسم شرطة العاصمة ليسمح لهم بالدخول عبر الباب المزدوج المؤدي إلى المنطقة المشتركة من المبنى.

توقف سامبسون بعد عبور الباب مباشرة ليحديق إلى المشهد بنظرة طويلة متفحصة.

كانت هناك فتاة سمراء، ترتدي قميصاً طويل الأكمام، ترقد على أريكة مصابة بطلق ناري في رقبته، وكانت هناك فتاة أخرى، ذات شعر بني قصير، مستلقية على السجادة وقد فارقت الحياة. هرع المسعفون خارجين من الغرفة حاملين محفة يرقد عليها رجل أمريكي، من جزر ساموا، ضخمة الجثة، مصاب بجرحين في صدره.

سأل سامبسون: "كم شخصاً رأى هذا المشهد؟"

قال وولي كريستيان: "سبعة أشخاص. لقد نقلناهم إلى الاستراحة الموجودة في الطابق العلوي، وبصحبتهم رجال الدين".
 سألت فوكس: "من الفتاة المفقودة؟ الشقراء؟".
 قال كريستيان: "باتسي مانسفيلد، في الصف الثاني، وكانت نجمة الجامعة".

قال سامبسون: "هل تقصد أن الجميع كانوا يعرفونها؟".
 قال كريستيان: "داخل الحرم الجامعي، بالطبع. كانت تمارس لعبة لأكروس، وكانت شابة أمريكية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وأعتقد أنك رأيت صورتها التي أرسلتها لكم مع بلاغ الاختطاف. إنها بارعة الجمال".

بينما كانوا يصعدون جميعاً الدرج إلى الطابق الثاني من المهجع، تذكر سامبسون ما أخبره به أليكس عبر الهاتف عن طلبة السنة الدراسية الثلاث من الجامعة الدينية الذين يكرهون الشقراوات. كان يتساءل عما إذا كانوا متورطين في هذه الجريمة، ونوى أن يسألهم عن أماكن وجودهم وقت الحادث. كانت روايات الشهود السبعة الذين رأوا جريمة قتل الفتاتين السمرالوين واختطاف باتسي مانسفيلد متشابهة إلى حد كبير. كان هناك ٧ طلبة يقضون وقتهم في غرفة الجلوس حوالي الساعة السابعة من مساء يوم السبت، عندما دخل عليهم رجلان من الخارج. كان الرجلان يرتديان قناعين يغطيان رأسيهما ووجهيهما وأكتافهما، وحلتي عمال زيتونية اللون تحملان شعار جامعة جورج تاون مرسوماً على الظهر. وأخرجنا مسدسين مزودين بكاتم صوت وأمرنا الجميع بأن يرقدوا على الأرض ما عدا باتسي مانسفيلد.

قالت المحققة فوكس: "مهلاً. هل كانا يعرفان اسمها؟".
 قالت تينا هول، الطالبة في السنة الأولى: "بالتأكيد. لقد كانا يعرفان من تكون".

قالت هول والطلبة الآخرون إن الرجلين أخبرا مانسفيلد بأن الأمور ستكون أسهل لو أنها ذهبت معهما، ولكن، حينها جذب كيوني لاتوبا، المدافع في فريق كرة القدم الجامعي وأحد أصدقاء باتسي المقربين، أحد المهاجمين وألقاه على الأرض بقوة جعلت المسدس يطير من يده، ثم قفز لاتوبا محاولاً الوصول إلى المسدس، إلا أن الرجل الثاني أطلق النار عليه قبل أن يصل إليه.

انزلق المسدس حتى اصطدم بقدم مايسي جونز، الفتاة السمراء التي ترتدي القميص ذا الأكمام الطويلة، فحاولت الإمساك به، ولكن الرجل الثاني أطلق الرصاص عليها أيضاً، ثم حاولت دينيس أوتول، زميلة غرفة جونز، مساعدة صديقتها، ولكنها تلقت طلقة في ساقها.

قالت تينا هول: "ثم نهض الرجل الأول واستعاد مسدسه، وتوجه نحو كيوني وأطلق النار عليه مرة أخرى، ثم توجه نحو دينيس، التي توسلت إليه ألا يطلق النار عليها، لقد توسلت إليه أن يختطفها، وألا يطلق النار عليها".

صمتت هول، وانسالت الدموع من عينيها بغزارة، ثم قالت: "هل تعلمون ماذا قال قبل أن يقتل دينيس؟ قال: لماذا نأخذك؟ لم يعد أحد يدفع المال مقابل السمراوات".

الفصل 17

أحال إليّ اتحاد ضباط شرطة العاصمة أحدث عملائي. فقد طرقت عميلتي الجديدة باب قبوي بعد التاسعة بقليل من صباح يوم الاثنين.

فتحت الباب فوجدت أمامي امرأة سوداء الشعر، في منتصف الثلاثينيات. كنت أعرفها، ولكنني كدت لا أميزها بسبب الإرهاق الشديد البادي على وجهها. قلت وقد مددت يدي نحوها: "تيس؟ من الرائع رؤيتك".

رفعت المحققة تيس ألياً رأسها، وكانت الدموع تغرق وجهها وقالت: "أنا أشعر بالحرج وعدم الراحة لوجودي هنا يا دكتور كروس، إلا أن ممثل اتحاد ضباط الشرطة قال إنك المستشار الوحيد المتوافر حالياً".

قلت: "تفضلني بالدخول، وأرجو ألا تشعري بأي إحراج أو عدم راحة. لم أعد محققاً ولست في موضع يؤهلني للحكم عليك بأي شكل من الأشكال. أنت بحاجة إلى الحديث، وكلّي أذان مصغية. وبالطبع، لن تخرج كلمة تقولينها خارج جدران هذه الغرفة".

ترددت المحققة قليلاً، ثم دخلت. تبعثها نحو مكتبي متذكراً تلك المرأة الواثقة الذكية الجذابة التي ساعدتني في العثور على عائلتي بعدما اختطفها رجل مجنون يدعى ماركوس سانداي.

كانت ألياً سليلة عائلة بوليسية، فقد كان والدها، بيرني، كبير المحققين في بالتيمور، وكانت تعيش في هذا العمل بكل جوارحها عندما كنا نعمل معاً. كنت

أعرف بأمر الصدمة التي ألمت بها مؤخرًا، وبينما كنت أغلق باب عيادتي، كنت أمل أن أكون مؤهلاً بما يكفي لأساعدها.

أحضرت لها قَدْحًا من القهوة وأشرت إلى أحد المقاعد. جلست على المقعد مطرقة برأسها نحو الأرض، مكورة كتفيها وجذعها نحو الأمام، كما لو كانت أسيرة مستسلمة.

سألتها: "كيف حالك؟"

قالت: "هل سمعت الأخبار؟ كيف من المفترض أن أشعر؟"

قلت: "انسي أمر الأخبار. ارفعي رأسك لأعلى، وأرجعي كتفيك نحو الخلف، وتحديثي معي عن شعورك تجاهها".

ظهر تعبير على وجه المحققة يدل على الصراع العنيف الذي يدور في داخلها بينما كانت تغير من جلستها قبل أن تقص عليّ القصة.

كانت المحققة قد ذهبت مع شريكها، كريس كوكس، إلى مبنى سكني في منطقة راقية بالقرب من ميدان جوديشياري من أجل تنفيذ أمر تفتيش والقبض على شخص يُدعى دراجو كوفاك. كان كوفاك مهاجرًا صربيًا حضر إلى أمريكا عندما كان في التاسعة من عمره، وحصل على الجنسية الأمريكية وهو في الخامسة عشرة من عمره، ولم يمر وقت طويل حتى أصبح لص سيارات. لم يكن بارعًا في المجال الذي اختاره في البداية؛ فقد قبض عليه بتهمة سرقة السيارات وحُكِمَ عليه بالسجن مرتين قبل أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره. بعد ذلك، امتلك المهارة وأصبح أكثر دقة وحرصًا في عمله؛ فكُون شبكة لسرقة السيارات تعمل في المنطقة الممتدة من ميامي وحتى بوسطن؛ حيث كان يسرق السيارات التي يرتفع عليها الطلب، ويفككها ثم يبيعهها كقطع غيار عبر الإنترنت. اليوم، أصبح كوفاك في السابعة والعشرين من عمره، ويدير عمله الإجرامي من شقته الفاخرة في الشارع الثالث بالعاصمة. كانت آليا تبحث عن قطع غيار لسيارتها من نوع فورد إكسبلورر عندما تصادف أن رأت أحد مواقع الإلكترونية، والذي كان يعرض قطع غيار "قليلة الاستعمال" بأسعار تبلغ ثلث الأسعار التي تطلبها المواقع الأخرى. عندما أدركت أن مقر الشركة، وموقع كوفاك، يقعان بالعاصمة، قادها هذا الخيط إلى خيوط أخرى، ثم إلى عام كامل من التحقيقات.

قالت آليا: "لقد أوقفنا به. أعني، لقد كانت هذه عملية إجرامية كبيرة بملايين الدولارات، وحصلنا على أدلة إدانته".

قلت محاولاً دفعها للتحدث عن الحقيقة المريرة: "إذن، فقد ذهبتكم إلى شقة كوفاك من أجل تنفيذ أمر التفتيش".

تنهدت آليا وقالت: "نعم. لقد اقتحمنا الشقة في اللحظة المتفق عليها، والتي كان من المفترض أن تجري فيها عمليات اعتقال أخرى لأشخاص متورطين معه على طول الساحل الشرقي بالكامل. اعتقالات متزامنة، كما تعلم؟".

ولكن، ما لم تكن آليا وشريكها يعرفانه، هو أن العديد من مذكرات التفتيش صدرت في وقت مبكر عن المتفق عليه. فعندما كان رجال شرطة نيو جيرسي يقتحمون البوابة الرئيسية لورشة كوفاك لتقطيع السيارات، أرسل أحد الرجال رسالة نصية إلى كوفاك يحذره فيها من هجوم رجال الشرطة.

قالت آليا: "قبل لحظات من وصولنا إلى الطابق العاشر من المبنى حيث توجد شقة كوفاك، كان قد غادرها مع رجاله، وعندما رأهم كوكس على الجانب الآخر من الرواق وأمرهم بالاستلقاء على الأرض، فروا هارين، وعندما طاردهم، أطلقوا النار عليه".

قلت: "هل من المؤكد أنهم هم من أطلقوا النار أولاً؟".

قالت آليا وقد لمعت عينها مثل الأيام الخوالي: "بلا شك. إن كاميرات المراقبة تدعم موقفنا".

قلت: "حسناً. أطلق رجال كوفاك النار أولاً، ثم ماذا حدث؟".

انطفأ البريق من عيني آليا، وتوترت عضلات رقبتها مثل أوتار البيانو، ثم قالت: "ثم تحول الأمر إلى كابوس".

بعدها تم جرهما إلى معركة بالأسلحة النارية، نفذت آليا وشريكها البروتوكول المتبع وردا بإطلاق النار على المجرمين. أصابت طلقة آليا الأولى فخذ كوفاك، إلا أن طلقتها الثانية والثالثة لم تصيبا لص السيارات، الذي كان يصرخ في ألم ويندفع صاعداً الدرج.

قالت آليا: "كنت أطارد المجرم عندما سمعت صراخاً آتياً من خلف أحد الأبواب عند نهاية الرواق". ثم انفجرت بالبكاء.

كنت أعلم بقية القصة. لقد تمكنت وكوكس من القبض على كوفاك واثنين من شركائه، ولكن، بثمان باهظ. لقد اخترقت الطلقتان اللتان لم تصيبا لص السيارات باب شقة عائلة فيلبس؛ المكونة من أوليفر، وهو محام شاب ناجح، وزوجته باتريشيا، طبيبة شابة ناجحة، وابنتيهما التوأمتين البالغتين ٤ سنوات من العمر، ميجان وأليس.

كانت أليس تلعب في ردهة المنزل الرئيسية، وهرعت المربية لتحضرها بمجرد سماع صوت الطلقة الأولى.

تساءلت آليا وهي لا تزال تبكي بمرارة: "ما احتمال أن يحدث هذا يا دكتور كروس؟ هل من الممكن أن تصيب طلقاتي المربية وتقتل الطفلة؟".

الفصل 18

بعدما أفرغت آليا معاناتها، وحزنها، وشعورها بالذنب، ويأسها، رفعت قدميها ووضعتهما أسفل جسدها على المقعد حيث تجلس، ولفت ذراعيها حول ركبتيها، وبدأت تحديق إلى الفراغ.

قالت في شرود: "في النهاية، سأظل دومًا الشرطية التي قتلت طفلًا. بغض النظر عما كنته سابقًا أو ما سأكون عليه لاحقًا، هذا ما سأظل عليه".

قلت: "بالنسبة لمن؟ لنفسك؟".

قالت: "أنا من ضغطت الزناد يا أليكس. هذا ما سيكتبونه عني بعد وفاتي".

قلت: "يمكنني الشعور بما تشعرين به من ألم وندم، ولكنك لا تعلمين ما يحمله لك المستقبل. لا أحد منا يعلم".

طرفت بعينيها ببطء وقالت: "هناك طريقة لمعرفة مستقبلك على نحو مؤكد".

استرعت هذه العبارة اهتمامي وانتباهي، فقلت: "هل فكرت في هذا يا تيس؟".

أخذت آليا شهيقة عميقًا ثم هزت رأسها نفيًا وقالت: "لا، لم أفعل".

قلت: "لم تفعل؟".

قالت: "على الإطلاق. إنني فقط أحاول العثور على طريقة لاستيعاب الأمر".

كان هناك القليل من الإقناع في نبرة المحققة، وبدا عليها الانشغال.
فسألتها: "هل تنامين جيداً؟".

"في بعض الأيام لا أفضل شيئاً سوى النوم".

"هل تتناولين أي نوع من العقاقير أو الكحوليات أو المخدرات؟"

"أصدقك القول إنني أتمنى لو أنها أفادتني، ولكنها لم تفعل؛ لذا فإنني لا
أتناول أيًا منها".

"متى ستحول الدعوى المدنية إلى المحكمة؟"

ظلت ألياً تحاول تجنب النظر لي وهي تقول: "لا أعلم ما يتوقعون الحصول
عليه مني. لقد كلفني هذا الأمر كل شيء".

أخذت أحدق إلى وجهها مفكرًا في التعبير الأجوف الذي بدا في صوتها
وعلى وجهها، والانهمازية التي تتصرف بها، وبعض العبارات التي قالتها،
خاصة التحدث عن نفسها بصيغة الماضي.

قلت: "تيس، أعتقد أنني سأشعر بالمزيد من الراحة إن أخذتك، من أجل
مصلحتك، إلى مكان ما بحيث يمكننا إجراء تقييم مناسب وأكثر تعمقًا عن
حالتك الحالية".

رفعت ألياً رأسها لتتظر نحوي للمرة الأولى منذ عدة دقائق، وحدقت إلى
وجهي في عدم فهم وقالت: "أنا لم أفقد عقلي بعد".

"طبقًا لما مررت به، فإنني أخشى أن تراودك أفكار انتحارية يا تيس. قد
تكون هذه حالة طبية تحتاج إلى..."

قالت ألياً وهي تنهض غاضبة: "لن يُدخلني أحد مصحة نفسية".
"تيس..."

قالت وهي تتجه نحو الباب: "آسفة. كنت أظن أن بوسعي أن أثق بك، ولكنني
كنت مخطئة. إلى اللقاء يا دكتور كروس".

بعد التفكير في الموقف مليًا، توصلت إلى قرار، فأمسكت معطفي، وخرجت
من العيادة وأوقفت سيارة أجرة.

الفصل 19

توقفت سيارة الأجرة أمام مبنى اتحاد ضباط شرطة العاصمة بعد ٢٠ دقيقة، ودفعت الأجرة للسائق، ثم دخلت المبنى، وطلبت مقابلة ويليام روث.

سألني موظف الاستقبال إن كان لديّ موعد مسبق مع السيد روث، فقلت كلا، ثم سألني إذا كنت قد حاولت الاتصال به، فقلت له إنني رأيت أن الأمر مهم ويتطلب الحضور للتحدث مع السيد روث بشكل شخصي، ومع ذلك لم يوافق الموظف على الاتصال بمكتب السيد روث في الطابق العلوي إلا بعد أن أخبرته بأنها مسألة حياة أو موت.

"إن السيد روث في اجتماع مهم"، هكذا أخبرني موظف الاستقبال بعد أن وضع سماعة الهاتف.

قلت لموظف الاستقبال: "إنك لم تشرح له مدى خطورة الأمر. اتصل به مرة أخرى".

قَلَبَ موظف الاستقبال عينيه، وأمسك سماعة الهاتف مرة أخرى، وطلب رقم المكتب، ثم تحدث مع شخص ما قائلاً: "إنه يخبرك بأن تقترح عليه الاجتماع؛ فالأمر مهم للغاية".

انتظر موظف الاستقبال على سماعة الهاتف، ثم وضع السماعة وقال لي: "اصعد إلى الطابق الثالث، الباب الثاني على اليمين. إن روث ليس سعيداً بما حدث".

قلت وأنا أصعد الدرج: "لا تهمني سعادته".

طرقت الباب ودلفت إلى غرفة استقبال تجلس فيها سكرتيرة يبدو عليها الكثير من الضيق قالت لي: "كان السيد روث يُعد لهذا الاجتماع منذ ٦ أشهر". قلت: "هل سيكون الأمر مهمًا لو كان شخص تهتمين بأمره معرضًا للخطر؟".

قالت في حيرة: "حسنًا، أعتقد هذا".

قلت: "أين روث؟".

"روث هنا"، هكذا قال رجل أحمر الوجه، أصلع الرأس، ظهر على عتبة الباب خلف السكرتيرة، ثم أردف: "من الأفضل أن يكون الأمر مهمًا بالفعل؛ فهناك أناس ينتظرونني في الاجتماع لم أكن أتوقع أن..."

قلت وأنا أمر من جوار السكرتيرة داخلًا مكتب روث: "إن الأمر يخص تيس أليا. أنت ممثها في الاتحاد، أليس كذلك؟".

قال روث ببعض الازدراء: "أليا؟ يا إلهي، ماذا فعلت؟".

قلت: "لقد أرسلتها إلى عيادتي هذا الصباح من أجل التقييم، وأعتقد أنها مكتئبة وقد تفكر في الانتحار".

قال روث وهو يجلس إلى مكتبه: "كلا، فقد التقيتها الأسبوع الماضي. لقد كانت مستاءة ولكنها مدركة أنه لم يكن خطأها أن تلك الفتاة الصغيرة كانت تلعب في ردهة منزلها قبل أن يبدأ إطلاق النار".

قلت: "لا أعتقد أن أليا تهتم بأي شيء، وأظن أنها تتناول العقاقير، ولهذا السبب أحتاج إلى مساعدتك على إدخالها مصحة نفسية لثلاثة أيام لتقييمها من قبل أطباء متخصصين".

قال روث في تردد: "هل تريد مني أن أضع أليا في مصحة؟ لا، لن أفعل. حتى لو كنت أملك هذه السلطة، وأنا لا أملكها، فالأمر مرفوض تمامًا".

قلت: "أليس من المفترض بك أن ترعاها، وأن تمثلها؟".

قال: "في حادثة إطلاق النار، نعم، ولكن في هذا؟ كلا".

قلت في حزم: "لقد نبع الاكتئاب والأفكار الانتحارية من حادث إطلاق النار. إنها بحاجة إلى المساعدة. مساعدة أكبر من تلك التي يمكنني تقديمها لها".

"هل أخبرتها بهذا؟".

"نعم".

"وماذا قالت؟"

"قالت إنها مستاءة ولكنها بخير، ولا تحتاج مطلقاً لدخول مصحة نفسية".
قال روث وهو ينهض من مقعده: "هذا كل شيء إذن. لديّ اجتماع لأحضره".
وقفت أمام الباب وقلت: "ألا تهتم بصالح آليا؟".

قال روث: "بل أهتم بصالحها، ولكن إن كنت تريد إدخالها مصحة نفسية،
فعليك إقناع طبيبها أو أحد أفراد عائلتها بذلك. أو أقتنع إدارة الشرطة بأن
تجعل ذلك شرطاً إلزامياً لإلغاء إيقافها عن العمل. وأياً كانت الخطوة التي
ستتخذها، فعليك أن تتوقع شيئاً".

قلت: "وماذا يكون؟".

قال: "إنها ستقاومك بشدة".

الفصل 20

بعد عدة محاولات فاشلة للوصول إليها، تمكنت أخيراً من التحدث مع إيستر دود، محامية إدارة الشرطة. بدا من عباراتها المقتضية أن الأنسة دود لم تكن سعيدة باتصالي، ربما بسبب تهمة القتل التي أحاكم بسببها؛ ولذلك استمعت لي في نفاذ صبر ورفضت طلبي بأن تخضع آليا للتقييم النفسي في أقرب وقت ممكن كشرط لعودتها إلى عملها.

قالت المحامية: "إنها موقوفة لأنها تواجه دعوى مدنية، وهذا يضعها في موقف صعب ولا يمنحنا الكثير من الخيارات، خاصة لأن تقييمك قد أُجري بناءً على توصية من اتحاد ضباط الشرطة. ومع فائق احترامي، لا يحمل هذا التقييم أية قيمة من الناحية القانونية. إلى اللقاء يا دكتور كروس".

حاولت بعد ذلك العثور على طبيب آليا وحالفني الحظ عندما طالع أحد أصدقائي في إدارة الموارد البشرية بعض السجلات القديمة وعثر على اسمه - الدكتور تيموثي كانتريل. بحثت في دليل الهاتف عن اسم كانتريل ووجدت أنه ليس طبيباً باطنياً فحسب، بل كان يعمل أيضاً في مركز جورج واشنطن الطبي وتحديداً بقسمه الشهير لطب المناطق الاستوائية. اتصلت برقم هاتف كانتريل، ولكنني اكتشفت أن الطبيب موجود خارج البلاد في الوقت الحالي، حيث توجه إلى البرازيل، بصفته عضواً في حركة أطباء بلا حدود، من أجل محاولة السيطرة على وباء الحمى الصفراء.

كنت محبطاً، ولكنني رفضت الاستسلام دون بذل كل ما أمتلك من قوة. في تمام الساعة ١٢:٢٠ مساءً، وبعد قيادة السيارة لمسافة طويلة، دخلت شارع فرانسيس في مدينة صغيرة تُدعى أربوتوس، إحدى ضواحي مدينة بالتيمور، وسرعان ما رأيت بيتاً صغيراً يحمل اللونين الأزرق والأبيض وأمامه حديقة أنيقة.

هبّت رياح شمالية شرقية جعلت جسدي يقشعر بينما كنت أصعد الدرج وأطرق باب المنزل. فتحت الباب امرأة طويلة، حمراء الشعر، تتمتع بلياقة بدنية جيدة، رغم سنوات عمرها التي قاربت الستين. عرفتها بنفسني، فلانت ملامحها. قالت المرأة: "لقد رأيت صورتك في الأخبار. إن تيس وبيبرني يقولان إنك بريء، وأنه قد تم اتهامك خطأ".

كان اسمها كريستين برينس، وكانت صديقة والد آليا، وكانت سعيدة بإخباري بأن بيبرني خرج ليمارس صيد الأسماك - الهواية التي استهوته منذ تقاعده. سألتها عن موعد عودته، فأخبرتني بأنه ذهب إلى مكان صيده المفضل في جزيرة أساتياج؛ لذا، فربما لن يعود قبل منتصف الليل. بعد أن ترددت لبضع لحظات، سألتها عما إذا كانت تعرف مكان تواجده على جزيرة أساتياج.

قالت بعدما أرّنتي مكانه على خريطة: "هل ستذهب كل هذه المسافة؟" قلت: "أنا بحاجة إلى نصيحتته، وأعتقد أنه سيرغب في إسدائي نصيحتته في أسرع وقت ممكن". قالت في هدوء: "بشأن تيس؟".

قلت: "أنت تقرئين الأفكار يا كريستين. شكراً على مساعدتك". بعد ساعتين، أوقفت سيارتي أمام متنزه جزيرة أساتياج العام. كانت محطة الجوال مغلقة، وعثرت على سيارة بيبرني آليا، وهي من نوع جيب واجونير واقفة في المكان نفسه الذي قالت صديقتته إنها ستكون فيه.

عندما خرجت من السيارة، صدمتني الرياح، وبدأت السماء تمطر بغزارة. بحثت في صندوق سيارتي وأخرجت معطف مطر قديماً وحذاء مطاطياً عالي الرقبة كنت أحفظ به من أجل العمل في مساح الجرائم. ارتديت المعطف

والحذاء، وشدت قلنسوة المعطف لأحجب الرياح عني، ثم سرت في الطريق بين الكثبان الرملية حتى وصلت إلى الشاطئ.

كان المحيط الأطلنطي ثائراً ورمادي اللون، ولكن عن يساري، كان هناك متزلجون على الأمواج العالية يرتدون ملابس من مادة النيوبرين تغطيهم بالكامل، وعن يميني، كان هناك ٦ أو ٧ صيادين يمارسون الصيد. وقفت في مكاني أحرق إلى الصيادين حتى وقع بصري على رجل مسن يعدو مسرعاً نحو الأمواج المتكسرة ثم استخدم كتفيه القويتين ليلقي خيط صنارة ثقيلة ينتهي بطعم كبير وردي اللون.

اعتقدت أن الرياح ستدفع الطعم وتعيده نحو من ألقاه، إلا أنه تم إلقاؤه بالزاوية الصحيحة، فاخترق الرياح ليسقط وسط المياه البعيدة عن الشاطئ. بينما كنت أسير نحوه، كان يجذب خيط الصنارة لأعلى وأسفل عدة مرات، ثم توقف، وأعاد الكرة من جديد. عندما عبرت بجوار مقعده وصندوق أدواته ومصباحيه اللذين لم يشتعلا بعد، كان يهز الصنارة للمرة الثالثة.

قلت: "بيرني آليا؟".

جفل الرجل المسن ونظر خلف ظهره نحوي وحدق إلى معطف المطر الذي ارتديه وقال: "هل أعرفك؟".

خلعت قلنسوة المعطف وقلت: "أنا أليكس كروس يا سيدي".

ارتسمت ابتسامة واسعة على وجه والد آليا وقال: "ها أنت ذا. لقد مر وقت طويل يا دكتور كروس. لقد كنت أتابع مسيرتك المهنية منذ أمد بعيد".

قلت: "لقد تتبعت أنا الآخر مسيرتك المهنية عندما كنت أدرس في جامعة جونز هوبكنز يا سيدي".

قال بيرني وهو يفرس مقبض صنارته في ماسورة بلاستيكية بيضاء مفروسة في الرمال: "انتظر، دعني أرحب بك كما يجب. ها أنا ذا".

استدار بصعوبة بسبب طلق ناري أصابه في منطقة الحوض وتسبب في إنهاء مسيرته المهنية الرائعة في التحقيق بجرائم القتل في بالتيمور، لكنه تمكن من الوصول إليّ ومصافحتي بقوة لا تناسب عمره.

سأل بيرني: "لمن أدين بالفضل في جعلك تقود سيارتك كل هذه المسافة الطويلة لكي تراني؟".

قلت: "إن الأمر يتعلق بـ تيس، وهو أمر خطير".

الفصل 21

بعدها عرضت مخاوفي والأدلة التي تدعمها، ظل بيرني آليا صامتًا لعدة لحظات، واقفًا في مكانه يحدق إلى الأمواج التي ترتطم بالشاطئ تحت ضوء أشعة الشمس الآفلة.

قال بيرني أخيرًا: "لقد رأيت ابنتي منذ ٢ أيام. كانت تيس لا تزال حزينة ونادمة، ولكني لا أعتقد أنها قد تفكر في الانتحار يا دكتور كروس. وأنا بالتأكيد لن ألجأ للمحكمة لأجبرها على شيء ضد رغبتها".

قلت: "أنا لا أقلل من قيمة ملاحظتك يا سيد آليا. وربما لا ترغب في أن تجبر تيس بموجب القانون على الخضوع لتقييم نفسي كامل، ولكن يمكنك أن تقنعها بأن تدخل نفسها المصحة. إن كنت مخطئًا، فسأتحمل المسؤولية، ولكني أفضل أن أقف أمامك هنا لأتلقى توبيخك على أن أقف بجوارك أمام قبرها".

قبل أن يجيبني والد آليا، تصاعد صوت طقطقة حادة. التفت كلانا نحو مصدر الصوت ورأينا صنارته منحنية، وخيطها مشدودًا ومهترًا.

صاح بيرني: "إنها سمكة كبيرة"، ثم توجه مباشرة نحو صنارة الصيد وأمسكها قبل أن تفلت من الماسورة البلاستيكية.

أمسك بيرني الصنارة بقوة بالقرب من قاعدتها، التي كانت لا تزال مثبتة في الماسورة، ثم انحنى إلى الخلف مختبرًا وزن السمكة ومدى قوتها.

قال بيرني: "يا إلهي، قد يكون وزنها ١٨ كجم، أو ربما ٢٥ كجم".

بدأت بكرة الخيط تدور، فمد يده معدلاً من وضع المزلقة ليسمح للسمة المخفية تحت سطح الماء بالفرار. تركها تفر لمسافة تقترب من ٩٠ متراً حتى ارتخى الخيط قبل أن يخرج الصنارة من الماسورة ويعيد وضع المزلقة كالسابق.

بدأت كلامي مجدداً: "بيرني..."

فصاح في وجهي: "لقد كنت أنتظر مثل هذه السمكة منذ عامين يا كروس. فإما أن ترحل أو تنتظر حتى أنتهي من صيدها".

رفعت يدي أمامي وقلت: "لا تدعني أعطلك إذن".

تراجعت إلى الخلف ووقفت أراقب محقق جرائم القتل المتقاعد المنخرط في معركة ملحمية على شاطئ المحيط. كلما كان بيرني يتمكن من سحب الخيط وتقريب السمكة من الشاطئ، كانت السمكة تفر مرة أخرى وتتركه يلهث.

قال والد ألياً بعد ٢٠ دقيقة من الصراع مع السمكة: "ربما كان وزنها ٣٠ كجم، إنها سمكة كبيرة".

بعد ٣٥ دقيقة من الصراع مع السمكة، قال: "ربما كان وزنها ٣٥ كجم، يا إلهي، يا لها من سمكة ضخمة!".

بعد ٥٢ دقيقة من الصراع مع السمكة، كان بيرني قد تمكن من سحب السمكة بالقرب من الشاطئ على بعد ٢٧ متراً أمامه. رأينا مقدمة السمكة وجزءاً من زعنفتها الظهرية قبل أن تلتف السمكة الهائلة حول نفسها وبدأت تضرب المياه محاولة التخلص من الخيط والخطاف.

بعد ذلك، حاولت السمكة الفرار، وقفزت في الهواء، وكان رأسها لا يزال يهتز، ثم اصطدمت بالمياه الضحلة أمامنا. صُعقت عندما رأيت حجمها الهائل، وكذلك فعل بيرني.

قال منبهراً: "يا إلهي، سأحطم الرقم القياسي العالمي..."

ضربت السمكة المياه مرة أخرى، وسمعنا صوت فرقعة عندما انقطع الخيط، ثم تعثر بيرني وسقط على ظهره وسط الرمال.

شعرت بالأسى وتوقعت أن يثور غضبه، أو يلعن حظه العسر، أو على الأقل يصرخ في يأس، لكن كل ما فعله والد ألياً هو أنه جلس في مكانه في الرمال ممسكاً بصنارته، محدقاً إلى الأمواج متخيلاً ما كان سيحققه من إنجاز.

بعد عدة دقائق، قال: "لا تواتيك الفرصة لتحقيق بعض الأمور إلا مرة واحدة في حياتك، وفي بعض الأحيان تفلت من بين أصابعك. سوف أسانئك يا دكتور كروس. وبطريقة أو بأخرى، سأجعل تيس تتلقى المساعدة التي ترى أنها تحتاج إليها".

الفصل 22

طرق جون سامبسون باب مكتب بري ستون.

وقال: "أيتها الرئيسة، لقد وضعناها في غرفة الاستجواب".

رفعت بري رأسها من بين كومة الأوراق التي تطالعها، ووضعت قلمها جانباً، ونهضت من مقعدها.

ثم توجهت بصحبة سامبسون إلى مقصورة بها مرآة ذات اتجاه واحد تطل على غرفة الاستجواب. كانت هناك امرأة شابة على ذراعيها وشوم كثيرة لللبغاوات، وتضع في وجهها العديد من الأقراط، وكان نصف شعرها الأسود مقصوصاً، وكانت تجلس على مقعد مواجه للطاولة الوحيدة بالغرفة وتحقق في المرآة.

قالت المرأة بلهجة دلت على أن أصولها من أبلاتشيا: "إن سالي سويت لن تنتظر طوال اليوم. فإما أنكم ترغبون في معرفة ما لديّ أو لا تريدون ذلك".

كانت المحققة إنسلي فوكس متواجدة أيضاً في مقصورة الملاحظة، وقالت: "دعيني أتحدث معها وحدي أيتها الرئيسة، وسوف أجعلها تتعاون معي".

تساءل سامبسون عما إذا كان هذا ممكناً، ذلك أن فوكس كانت واحدة من أكثر الناس الذين تعامل معهم وقاحة وشراسة.

كانت بري متشككة أيضًا، فهزت رأسها نفيًا وقالت: "سيقود المحقق سامبسون الاستجواب. فليده سنوات طويلة من الخبرة في التعامل مع مثل هذه الأمور".

عبست فوكس لكنها لم تجادل على الإطلاق بينما تبعت سامبسون إلى الرواق، حين توقف سامبسون وقال: "ستنصتين وتأملين وتتعلمين".

لم يرق الأمر لشريكته، لكنها أومأت برأسها على أية حال، ثم دخلت مع سامبسون غرفة الاستجواب وجلسا أمام المرأة.

قال سامبسون بعد أن عرّف المرأة بنفسه: "سالي سويت؟".
قالت المرأة مبتسمة: "هذا ما تقوله رخصة قيادتي، وحتى المحكمة أقرت بصحة هذا الاسم".

قالت فوكس: "أنت متهمة بتسهيل أعمال محظورة وحيازة المخدرات".
بالكاد منع سامبسون نفسه من أن يطلب من فوكس مغادرة الغرفة.

هزت سويت كتفيها وقالت: "مثلما أخبرت الشرطي السابق، إن المخدر الذي وجدتموه عندي قانوني بسبب الإصابة التي أعانيها في فقراتي القطنية. وعلى أية حال، أنا أمتلك بطاقة تؤهلني للخروج من السجن حرة وأنوي استخدامها".
قال سامبسون: "صفي لنا البطاقة".

قالت سويت: "بطاقة كبيرة".
انحنى فوكس على الطاولة لتتحدث، فوكز سامبسون ساق شريكته. فأرجعت

فوكس ظهرها إلى الخلف ونظرت إلى يده ثم إليه في غضب شديد.
وكز سامبسون ساقها بقوة أكبر، ثم تركها، ونظر نحو فوكس، ثم التفت نحو سويت التي لم تستوعب ما يحدث بينهما.

قال سامبسون، متجاهلاً تحول لون بشرته فوكس الشاحبة إلى اللون الأحمر: "لن أعذك بشيء قبل أن أسمع ما لديك. إن كان لديك دليل قوي، فسنخبر به المدعي العام الذي يتولى قضيتك. وفي مقابل شهادتك، قد تحصلين على صفقة ما".

زمت سويت شفيتها كما لو أنها اشتمت شيئاً كريهاً: "أنا لم أقل أي شيء عن الشهادة، وليس لديّ سوى معلومة. سوف أخبركم بالمعلومة التي لديّ، وتركوني أذهب لحالي".

كادت فوكس تفتح فمها لتحدث، إلا أن سامبسون دفع مقعده بعيداً عن الطاولة ونهض قائلاً: "أعتقد أن حوارنا قد انتهى. سيتم نقلك في الحال إلى السجن المركزي. أيتها المحققة فوكس؟".

لم تتحرك فوكس لبضع لحظات ثم نهضت في تكاسل. قالت سويت: "اللجنة، انتظر قليلاً، سوف أتحدث، ولكن سالي سويت تريد أن تحصل على شيء في مقابل المعلومة التي لديها".

قال سامبسون وهو يجلس، وكان لا يزال يتجاهل فوكس: "تحدثي إذن". أخبرته سويت بأنه يجدر به التواصل مع شرطة ولاية كانساس بشأن تقرير عن اختفاء فتاة شقراء، في السابعة عشرة من عمرها، تُدعى إميلي مكابي من ويتشيتا، والتي هربت من منزلها وجاءت إلى النصف الشرقي بعد مزاعم بأن عمها كان يؤذيها جسدياً.

ظلت مكابي تعيش في الشارع حتى التقت رجلاً يُدعى نيل باركس، جعلها تدمن الكوكايين والهيريون وحولها إلى فتاة ليل. كانت سالي سويت تعمل أيضاً لحساب باركس الذي كان يُجري اجتماعاته مع فتياته وفتيانه عبر الهاتف الذكي، وكأنه قواد سبيراني.

قالت سويت: "كانت إميلي فتاة جيدة. كنت أحبها، حتى بعدما أصبحت الفتاة المفضلة لدى نيل لبعض الوقت".

من الواضح أن باركس كان يولي اهتماماً كبيراً للفتيات الجديرات حتى يفعلن كل ما يطلبه منهن. وكانت سويت بدورها فتاته المفضلة في وقت ما. في واقع الأمر، إنها لا تزال تحمل مفتاح شقة باركس.

قالت سويت: "كان نيل يحتفظ ببعض المال الخاص بي، ولكنني كنت أعرف أين يحتفظ به. دعاني أرجع بالأحداث قليلاً للوراء. في ذلك الوقت، لم أعد أرى إميلي بانتظام مثلما اعتدت أن أفعل، وقال نيل إنها ذهبت إلى نيويورك لتعمل لحساب أحد أصدقائه لبضعة أسابيع. انتظرت حتى خرج نيل ليقضي ليلته ودخلت شقته".

قالت سويت إنها استرجعت صندوق أمانات كان مخفياً داخل شبكة التهوية التي تعلق منضدة الحاسب الخاص بباركس، وحصلت على مفتاح الصندوق من خزنة ملابسه، وفتحته وأخذت منه ١٥٠٠ دولار.

قالت: "أخذت فقط ما كان يدين لي به وأعدت الباقي".

قالت فوكس في نفاذ صبر: "وما علاقة هذا بـإميلي؟".

قالت سويت بنبرة متعجرفة: "عندما وقفت فوق المكتب لأعيد الصندوق إلى مكانه، اصطدمت قدمي مصادفة بفأرة الحاسب، فأضاءت الشاشة مظهرة أيقونات سطح المكتب، وكانت هناك صورة لـإميلي على الشاشة".

أدركت سويت أن الصورة جزء من مقطع فيديو، فضغطت على زر التشغيل. قالت: "كان الأمر يبدو كأن نيل قد صوره باستخدام كاميرا جوبرو المحمولة، ومن منظوره هو، كما تقولون".

تذكر سامبسون مقاطع الفيديو المصورة باستخدام كاميرات جوبرو المحمولة على موقع قتل الشقراوات من أجل المتعة، وأوماً برأسه وهو يفكر في أن قصة سويت قد تكون صحيحة بالفعل.

قالت فوكس: "وماذا رأيت؟".

قالت سويت وقد ارتعش صوتها: "كان نيل في وضع سيطرة تام؛ فقد كان يضرب إميلي، ويقول لها أشياء بشعة ويفعل بها أموراً شنيعة، وكانت إميلي مستسلمة له تماماً. ثم أمسك حبلاً في يده ولفه حول عنقها".

صمتت وشفتهاها ترتجفان عندما تذكرت ما حدث.

قالت سويت أخيراً: "بدأ نيل يخنقها، وقرب الكاميرا من وجهها، وكان يمكنك أن ترى مدى الرعب البادي على وجهها قبل أن تظلم الشاشة تماماً".

مكتبة | 719
سُرَّ مَنْ قَرَأَ

الفصل 23

في حوالي الساعة العاشرة والنصف من مساء ذلك اليوم، قالت بري إنها مرهقة وستخلد إلى النوم.

وسألته: "هل ستأتي للفراش؟".

قلت: "سأدون بعض الملاحظات في الطابق السفلي، وأشاهد أخبار الحادية عشرة، ثم سأصعد لأنام".

قالت وهي تقبلني: "لا تغف أمام التلفاز مجددًا".

قلت وأنا أقبلها: "سأحاول ألا أفعل".

قالت: "لا تنس أنك وعدت جيني وعلياً بأنك ستذهب معهما للركض في الصباح الباكر".

قلت: "أذكر هذا، أحبك".

قالت: "وأنا أيضاً أحبك"، ثم لوحت بيدها في إرهاق وهي تغادر الغرفة.

انتظرت حتى صعدت بري الدرج وأغلقت باب غرفتنا خلفها قبل أن أتوجه إلى عيادتي التي تقبع في قبو المنزل، وارتديت معطفاً داكن اللون وقبعة بيسبول،

ثم ضغطت على زر إرسال الرسالة النصية التي كتبتها قبل ساعة كاملة.

فتحت باب المكتب الخارجي محاولاً ألا أصدر أي صوت قدر الإمكان، وخرجت إلى ظلام الليل، وتوجهت إلى جانب منزلي، وتسلكت من تحت نافذة

غرفة نومي. انطفأ نور الغرفة، فسرت على الرصيف متجهًا إلى سيارة كانت في انتظاري.

صعدت إلى المقعد المجاور للسائق، الذي لم يكن سوى جون سامبسون. قال سامبسون: "أنا سعيد أنك تمكنت من الحضور"، ثم عدل وضعية ناقل الحركة، وانطلق بالسيارة.

قلت: "هل تنوي أن تفسر لي سبب تسللنا بهذه الطريقة؟". قال سامبسون: "سأفعل"، ثم قص علي قصة إميليا مكابي، وسالي سويت، وعن مقطع الفيديو الذي رآته سويت على حاسب نيل باركس، وكيف انتهى مقطع الفيديو قبل أن تكتمل عملية الخنق. قلت: "هل تصدق ما قالته؟". قال: "نحن هنا، أليس كذلك؟". قلت: "هل معك إذن تفتيش؟".

قال سامبسون: "سوف نعمل بصورة عكسية. فلن نستطيع الحصول على إذن تفتيش بناءً على شائعة قالتها شابة منحلة تحاول أن تنجو من السجن، ولكنني فكرت في أن حياة الشقراوات لها أهميتها، وأعتقد أنه يجدر بنا التحدث مع نيل باركس في أقرب وقت ممكن". سألته: "ولماذا أنا؟ ماذا عن فوكس؟".

هز سامبسون رأسه في عدم الاكتراث وقال: "إنها تهددني بأن تقدم شكوى ضدي لأنني وكزتها بقوة عندما رفضت أن تتبع توجيهاتي خلال التحقيق الذي أديره. إنها لا تحترم فارق الرتب على الإطلاق. حتى إنها تحدثت إلى بري بشكل غير لائق".

قلت: "هل الأمور بينكما رائحة إلى هذا الحد؟". قال: "أوه، نعم، غاية في الروعة! لهذا السبب أنت هنا". قلت: "من أجل الحديث؟".

قال: "أرى أن نهاجم عرين باركس، ونرى إن كنا سنصل إلى شيء مفيد". كنت أعلم أنه يجدر بي أن أطلب منه إيقاف السيارة ثم أستقل سيارة أخرى وأعود لمنزلي. سوف تغضب بري بشدة إن اكتشفت أنني خرجت بصحبة أحد محققها، وأنا خالفنا أوامرها المباشرة، لكنني كنت أشعر شعورًا رائعًا ومألوفًا

لأنني خرجت مع سامبسون تحت جناح الظلام لدرجة أنني قررت أن أخلف وعدي الذي قطعته لـ بري.

جبنا المدينة بالسيارة، متجهين نحو مقهى اعتاد نيل باركس أن يتردد عليه بعد الساعة ١١ مساءً. كان مقهى الببغاء مكاناً أنيقاً بمقاييس العاصمة، وكان يشغل الطابق الأرضي من مبنى كبير مكون من ٦ طوابق بالقرب من حدود ولاية مارييلاند، وكان باركس يقطن الطابق الرابع من المبنى.

قال سامبسون: "سكن مناسب إذا كنت مدمناً على الكحول".
قلت: "وهل هو كذلك؟".

قال: "لا أعلم"، ثم أوقف السيارة على جانب الطريق وقال: "تقول سالي إنه يجلس في مقصورة صغيرة يدير أعماله منها حتى يغلق المقهى أبوابه. إنه يدير أعماله بالكامل عبر هاتفه. إنه قواد سبيراني".

قلت: "كيف سنشاهد مقطع الفيديو الخاص بـ إميلي مكابي؟".

قال سامبسون وهو يخرج من سيارة الشرطة: "لقد فكرت في أن نصعد إلى الشقة لنشاهده بأنفسنا. ولكننا سنخاطر كثيرًا. إن كنا نريد الحصول على إذن تفتيش، فعلينا ألا نخاطر بأن يتم استبعاد مقطع الفيديو هذا من المحاكمة".
أخذت أفكر في كلمة محاكمة بينما كنت أخرج من السيارة: فقد كان موعد محاكمتي يقترب بسرعة، ويبدو أنني كنت أبذل قصارى جهدي لتجنب مواجهة المشكلة بشكل مباشر. ترى، ما السبب الذي يجعلني أفعل ذلك؟

قال سامبسون وهو يشير إلى اللافتة المضاءة بلون أزرق فوق مدخل المقهى: "هناك مخرج يطل على زقاق جانبي، وهناك المدخل الرئيسي".
قلت: "سوف أدخل من المدخل الخلفي، ولكنني لست مسلحاً".

توقف جون، وانحنى داخل السيارة وأخرج مسدسًا صغيرًا من طراز روجر عيار ٩ ملايين، ثم أعطاني إياه وقال: "سوف أدخل من الخلف، أما أنت فادخل من المدخل الرئيس، وحدد مكانه وانتظر".

نظرت إلى المسدس في يدي للحظة، مدركًا أن هذه هي أسوأ فكرة تخاطر لي منذ أسابيع، ولكنني وضعته في حزامي عند أسفل ظهري، وأخرجت قميصي خارج سروالي لكي أخفيه.

افترقنا، حيث عبرت الشارع ودخلت مقهى البيغاء. كان مقهى جيداً يحوي عددًا معقولاً من الزبائن، رغم الساعة المتأخرة من الليل. كان صوت ليني كرافيتز يصدح بأغنية "هل تسير في طريقي نفسه؟"، من صندوق الموسيقى خلف طاولتي البلياردو، وكان المقصف موجوداً على يساري، وكانت هناك عدة مقصورات صغيرة على الجدار الذي يواجهني.

كانت هناك صور ولوحات وملصقات للبيغاوات في كل مكان بالمقهى، كما كان هناك بيغاوان إفريقيان رماديان يصيحان ويرفرقان بأجنتهما في قفص كبير قريب من منتصف المقهى. تسلق أحد البيغاوين جدار القفص عبر مخالفته ومنقاره. عندما عبرت القفص في طريقي نحو المقصف، ثبت البيغاء رأسه وحدق إلى وجهي للحظات، ثم بدأ يصرخ: "الشرطة، الشرطة".

كيف علم الطائر أنني من رجال الشرطة؟ ما زال هذا الأمر يحيرني حتى يومنا هذا، ولكنه ظل يصيح: "الشرطة". بدأت أعين كثيرة تحديق إلى وجهي بينما كنت أتوجه نحو المقصف. تجاهلني النادل تماماً، فنظرت خلفي، ورأيت على الناحية الأخرى من القفص رجلاً طويلاً ونحيلًا، ذا شعر قصير برتقالي، وكان يخرج من باب المقصورة الثالثة من ناحية الباب الرئيسي للمقهى.

نظر نيل باركس نحوي.

والتقت أعيننا.

ثم لاذ بالفرار.

الفصل 24

في أقل من ثانية اعتقدت أن نيل باركس سيتوجه نحو الباب الخلفي للمقهى، المطل على الزقاق، والذي يراقبه سامبسون، ولكن القواد انحرف من أمامي مباشرة وقفز فوق بار المشروبات قبل أن أتمكن من الإمساك به.

افتحم جون المكان شاهراً مسدسه ومظهرًا شارته.

صاح سامبسون: "باركس! توقف! نحن رجال الشرطة!".

اختفى باركس خلف الستائر في خلفية المقهى، وبدأ رواد المقهى يصرخون ويصيحون، واختبأ من كانوا يلعبون البلياردو خلف الطاولات طلباً للأمان. قفزت من فوق بار المشروبات ونظرت إلى الساقى الذي كان يتجاهلني. بدا كأنه يحاول اعتراض طريقي، لكنني صرخت في وجهه قائلاً: "شرطة!"، فتنحى جانباً.

دار سامبسون حول بار المشروبات ووصل إلى الستائر أولاً، وتذكرت يوم أصيب بالطلق الناري، فقلت له: "اهدأ يا أخي".

تردد سامبسون للحظة ثم مزق الستائر كاشفاً عن غرفة تحتوي على براميل فارغة، وثلاجة كبيرة، ودرج يصعد إلى مكان مظلم. توجهنا نحو الدرج وسمعنا باركس يعدو من فوقنا.

ركض سامبسون خلفه، وركضت خلف سامبسون، وصعدنا سلمًا خلفيًا ذا درجات فولاذية وأبواب حريق فولاذية عند كل طابق. وعندما مررنا بالطابق الثالث، سمعنا صوت باب يُفتح من فوقنا ثم يُغلق.

همس سامبسون: "توقف".

توقفنا، ولكن لم نسمع شيئًا.

قال سامبسون في هدوء: "إنه يتوجه إلى شقته حيث يوجد الحاسب ومقطع الفيديو"، ثم بدأ يصعد الدرج مجددًا.

وصلنا إلى الطابق الرابع وفتحنا الباب المؤدي للسلم الخلفي، وألقينا عدة نظرات خاطفة، كشفت لنا أنه لا يوجد أحد في الرواق، فأمسكت بكم سامبسون وقلت له بصوت مرتفع: "شقته".

تركت الباب يُغلق ووضعت أصبعي فوق شفتي، فأوما سامبسون برأسه. وقفنا عند الدرج نسترق السمع. مرت ١٠ ثوانٍ، ثم ٢٠ ثانية. كدت أقر بأن باركس دخل شقته عندما سمعت صوت صرير خفيف من فوقي، ثم تبعه صوت آخر.

صاح سامبسون: "نيل باركس! نحن شرطة العاصمة. والمكان كله محاصر". كان بإمكاننا أن نسمعه وهو يصعد الدرج مجددًا، فصعدنا خلفه، ورأيناه يصعد سلمًا مثبتًا في الجدار يؤدي إلى كوة مفتوحة. عبر جون الكوة أولاً ليدخل سطح المبنى المغطى بالحصى، وكان الضوء الأزرق المنبعث من لافتة مقهى البيغاء المزودة بمصاييح النيون يجعل ظلالنا تبدو غريبة الشكل.

أشار لي سامبسون بأن أتجه نحو الجانب الأيسر بينما سيتجه هو نحو الجانب الأيمن. أشعلنا مصاييحنا اليدوية وبدأنا البحث تحت أنوارها. كانت هناك العديد من وحدات الضغط الخاصة بمكيفات الهواء منتشرة على السطح، وهي ثمانٍ بالتحديد. وربما كان باركس يختبئ خلف إحداها أو أنه توجه نحو مخرج الحريق.

تقدمنا ببطء إلى الأمام، في خطين متوازيين، تفصل بينهما مسافة لا تزيد على ٢٥ مترًا، واستخدمنا مصاييحنا اليدوية لتبديد الظلام أمامنا. كنا قد وصلنا إلى وحدة الضغط الخامسة أو السادسة عندما أجبره سامبسون على الخروج من مخبئه.

قفز باركس من خلف واحدة من آخر وحدتي ضغط متبقيتين، وركض بشكل قطري عبر السطح، فأطفاً ضوء مصباحي وحاولت أن أقطع الطريق عليه. كانت مساحة السطح المتبقية تضيق عليه، وكان الوقت يمر بسرعة، عندما أدركت أنه ينوي القفز من فوق السطح إلى سطح المبنى المجاور. كان باركس على بعد ٣ خطوات من القفز من حافة السطح عندما تمكنت من الإمساك به من يافتي معطفه وقميصه. كنت أريد أن أجذبه إلى الخلف وأسقطه على ظهره، إلا أن اندفاعه جذبني معه خطوتين إلى الأمام. اصطدم الجزء السفلي من ساقِي بحافة السطح المرتفعة بقوة شديدة، لدرجة أنني فقدت توازني وبدأت أسقط، مع باركس، من ارتفاع الـ ٢١ متراً التي تفصلنا عن رصيف الزقاق من تحتنا.

الفصل 25

اندفع رأسي نحو الأمام واصطدم برأس باركس عندما انجذب جسدي إلى الخلف؛ فقد تمكن سامبسون من الإمساك بقميصي بكلتا يديه بأعجوبة، وجذبني وباركس نحو الأمان.

كان قلبي يدق بسرعة كبيرة، وانقلبت معدتي بشدة، وكنت ألهث طلباً للهواء. فقد كدت أسقط من ارتفاع ٦ طوابق لألقى حتفي المحتوم. كان باركس يرتجف أيضاً ولم تبد عليه أية رغبة في المقاومة عندما وضع سامبسون الأصفاد في يديه وبدأ يفتشه.

لم يكن مع باركس أية أسلحة أو هواتف خلوية، الأمر الذي بدا مثيراً للشكوك، حيث إن سالي سويت كانت قد أخبرت سامبسون بأن باركس كان يدير عمله في أعمال الفجور السيبرانية من خلال هاتفه.

سألته بعدما أضأت مصباحي في وجهه: "أين هاتفك؟"

قال باركس وهو يطرف بعينيه ويخفض رأسه: "لقد فقدته منذ بضعة أيام. كنت سأحصل على هاتف جديد غداً".

قال سامبسون: "لماذا فررت منا؟"

قال باركس: "أحب أن أدير رأسي للريح وأعدو".

قلت: "أتقصد أنك تحب أن تدير شبكات غير مشروعة؟"

قال باركس وقد بدأ يهدأ ويللم شتات نفسه: "بل أحب العدو لرفع لياقتي البدنية".

قال سامبسون: "بل تحب العمل مع الفتيات المنحلات. إن لديك كتيبة كاملة منهن".

قال باركس: "هذا ليس صحيحًا"، ثم بدأ يضحك وقال: "من يقول عني هذا؟".

قلت: "شرطة الآداب".

رفع باركس نظره لأعلى وضيق عينيه قائلاً: "أنتم لستم من شرطة الآداب".

قال سامبسون: "نحن من قسم جرائم القتل. هل تعرف إميلي مكابي؟".

بدت الحيرة على وجه باركس وقال: "لا، لا أعرف أية امرأة تُدعى إميلي

مكابي".

قلت: "لا تحاول خداعنا. يمكننا أن نثبت أنك تعرفها".

لم ينطق باركس بشيء.

قال سامبسون: "إننا نحقق في مقتلها".

قال باركس وقد بدا مندهشاً بحق: "مقتلها؟ هل قُلت؟".

قلت: "نعم قُلت، وأنت من قتلها. لقد خنقتها أمام الكاميرا".

بدا الارتباك على وجه باركس، وفغر فاه قليلاً وخفض عينيه ليحديق إلى

الأرض؛ فلا شك أنه كانت تدور في رأسه الكثير من الأسئلة: كيف تمكنا من

الحصول على مقطع الفيديو؟ وماذا سيقول لنا؟

قال سامبسون: "إننا نعلم أنك صورت فيلمًا عما حدث يا نيل، وسنحرص

على أن تتال عقابًا شديدًا على هذا".

قال: "مستحيل. أنا لم أقتل أحدًا".

قلت: "لقد لفتت حبالًا حول عنق إميلي بينما كنت تمارس معها الفجور

الممزوج بالتعذيب. ثم خنقتها حتى الموت".

قال: "لا، أنا...".

قال سامبسون: "قتلتها".

قال باركس محاولاً المقاومة: "لا"، ثم بدا كأنه قد استسلم للموقف فقال: "اسمعا. أنا أعرف إميلي بالفعل، ولكني لم أقتلها؛ لأنها لم تمت. لقد كان مقطع الفيديو هذا مجرد خدعة. لقد صنعتها من أجلي كهدية وداع".

قلت: "ما تقوله مجرد هراء".

قال باركس: "إنها الحقيقة"، ثم واصل حديثه مدعيًا أن إميلي مكابي أخبرته بأنها وفرت ما يكفي من مال لتترك هذا العمل المشين وتذهب للدراسة في مكان ما بولاية فلوريدا.

قال سامبسون: "مكان ما بولاية فلوريدا؟ هل هذا أفضل ما أمكنك اختلاقه؟".

هنا فقد باركس هدوءه وصاح قائلاً: "هذا كل ما أعرف. اسمع، لقد كنت معجباً بـ إميلي، كثيراً. ولم أكن لأقتلها أبداً".

قلت: "أخبرنا إذن كيف يمكننا الوصول إليها".

قال: "لا أعلم مكانها. لم تكن تريدني أن أعرف. كانت ترغب في بداية جديدة وحياة جديدة. وقد احترمت هذا".

سألته: "ألا تعرف رقم هاتف يخصها؟".

قال: "لقد فقدت هاتفي، أتذكر؟".

قال سامبسون وهو يدفعه نحو حافة الفتحة المؤدية إلى السطح: "لست مقتنعاً بما تقول. سوف نحتجزك وسنفتش شقتك، وسيودي بك الفيلم الذي صورته إلى السجن لما تبقى من حياتك".

قال باركس: "مهلاً، انتظر. أنا لا أكذب عليك. إميلي على قيد الحياة. في مكان ما".

قلت: "يا له من دفاع محكم!".

لم يقل باركس شيئاً هذه المرة. وبعدها هبطت من الفتحة، أزال سامبسون الأصفاد من معصميه، ثم صوب المسدس إليه وأمره أن يهبط السلم. هبط باركس السلم ولم تبد عليه أية مقاومة بينما كان سامبسون يعيد الأصفاد إلى معصميه.

عندما كنا نهبط به الدرج، قال باركس: "ماذا لو ساعد أحدنا الآخر؟".

صاح سامبسون: "كيف يمكنك مساعدتنا يا نيل؟".

لعق باركس شفثيه وقال: "أريد منكما أن تعلمنا أني قد أتعرض للقتل بسبب ما سأخبركما به، ولكن يمكنني أن أدلكما على أفلام عنف حقيقية وعلى الأوغاد المرضى المجانين الذين صنعوها".

سألته: "هكذا إذن، وبِمَ سيفيدنا هذا؟".

تردد باركس مرة أخرى ولكنه قال: "ربما ستمكنان من اكتشاف ما حل بالفتيات الشقراوات اللاتي اختفين".

قال سامبسون: "مثل إميلي مكابي؟".

قال باركس: "لا، بل مثل فتاتين شقراوين من ولاية بنسلفانيا".

الفصل 26

فتاتان تبكيان.

كانت هذه هي آخر كلمات واضحة سمعتها جريتشن ليندل، وكان هذا منذ عدة ساعات.

فكرت جريتشن: فتاتان تبكيان، ثم بدأت تصفي في محاولة لسماع المزيد. ولكن عبر الجدار الخشبي، لم تتمكن الفتاة التي تبلغ من العمر ١٧ عاماً من سماع أي شيء. لا أصوات بشرية، ولا صرير أرضيات، ولا صليل سلاسل، ولا حتى بكاء يائس.

هذا الصمت التام جعل جريتشن تفقد عقلها، فبدأت تركل بقدميها وتهز السلسلة التي تربط كاحلها الأيسر بالجدار، ثم حدثت إلى الكاميرا المثبتة على مكان عالٍ عند الركن البعيد من الصندوق، حيث لا يمكنها الوصول.

وصاحت جريتشن: "من أنتم؟ ولماذا أحضرتموني هنا؟ وماذا تريدون؟". انهارت جريتشن على الأرض وبدأت تبكي مثلما فعلت من قبل عدة مرات منذ أن استعادت وعيها ووجدت نفسها داخل صندوق خشبي يعادل حجم زنزانة سجن، وكانت ترتدي رداء نوم أبيض من قماش رخيص خفيف، وترقد على مرتبة جديدة لا تزال في غلافها، ومغطاة بإحدى بطانيات الجيش الصوفية الثقيلة.

كان هناك طعام؛ وعاء كبير من دجاج كنتاكي المقلي وزجاجات من الشراب، وكان هناك دلو معدني لتقضي فيه حاجتها، يستقر في ركن من الصندوق يسمح طول سلسلتها بالوصول إليه، وفوق رأسها كان يسطع مصباح وحيد ذو ضوء مبهر لم ينطفئ على الإطلاق.

ذلك الضوء المستمر جعل جريتشن تفقد إحساسها بالوقت. عندما توقفت عن البكاء ولفت البطانية حولها، أدركت أنها لا تعرف كم من الوقت قضت داخل الصندوق: ٣ أيام؟ ٥ أيام؟ أسبوع؟ أكثر من هذا؟ بدت لها حادثة الاختطاف نفسها ككابوس مخيف، كحلم مزعج استيقظت منه للتو، ولكن بغض النظر عن عدد مرات خلودها للنوم داخل الصندوق، أو مدى محاولتها النسيان، كانت ترى الرجال وهم يمسكون بها، ويقتلون السيدة بيتراسيك.

لقد أطلقوا النار عليها بدم بارد.

ماذا سيفعلون معي؟

بدأت جريتشن تشعر بالذعر، فحاولت أن تحول تفكيرها إلى أمر آخر. لقد سمعت والدها يقول عدة مرات إن هذه الطريقة تساعد على تخفيف الآلام. أخذت شهيقاً عميقاً، وحبسته في رثتها، ثم زفرته ببطء مستحضرة صورة والدها ووالدتها في مخيلتها، حين كانا متحابين، ولكنهما افترقا الآن.

بماذا يشعر أبي الآن؟ وأمي؟

شعرت جريتشن بالحزن عندما طرحت هذين السؤالين وشعرت بالحاجة للبكاء مرة أخرى.

إن أبي لا يستحق هذا، وكذلك أمي. ألم يعانينا بما يكفي، يا إلهي؟ ألم يعانينا بما يكفي؟

تذكرت أعز صديقاتها، سوزان، وصديقها شبه الحميم نيك. بماذا يفكران الآن؟ هل يحاولان العثور عليّ؟ هل يبحث عني أي شخص؟

تكورت جريتشن حول نفسها في وضع الجنين، محاولة العثور على مصدر للقوة في صلواتها وإيمانها بالله، إلا أن الأسئلة ظلت تدور في رأسها بلا توقف. لماذا أحضروني إلى هنا؟ لماذا يحدث لي هذا؟ ماذا فعلت، يا إلهي، لأستحق هذا؟ ماذا لو لم أر والدي ووالدتي مرة أخرى مطلقاً؟

أوقف أفكارها صوت احتكاك شئئين معدنيين، وجعلها تجلس في مكانها وتحديق في خوف إلى الباب المصمت ذي الرتاجين الكبيرين، والذي لم يُفتح من قبل.

انفتح الباب نحو الداخل.

وضعت الفتاة المراهقة يدها على فمها، كاتمة صرخة كادت تفلت منها. فقد كان الرجل الداخل ضخماً في حجم لاعبي كرة القدم الأمريكية، يرتدي ملابس سوداء، بداية من حذائه عالي الرقبة وحتى قبعته الصوفية، ويضع خوذة ذات قناع معتم. وكانت هناك كاميرا جوبرو ذات وميض متقطع مثبتة على حامل في صدره، ولكن جريتشن كانت تنظر في رعب إلى يده اليمنى الموضوعة داخل القفاز، والتي كانت تمسك بسكين مزخرفة ذات نصل منحني مرعب.

وسمعت جريتشن صوتاً إلكترونياً غريباً يقول: "مرحباً جريتشن. هل أنت مستعدة لكي تلعب لعبة من أجلنا؟".

الفصل 27

أويت إلى فراشي بعد الساعة الواحدة والنصف صباحًا بقليل، غير واثق بالقدر الذي أصدقه من قصة نيل باركس، وأنا مرهق جدًا لدرجة تمنعني من التفكير في الأمر أكثر من هذا.

كنت أشعر كأن دقائق معدودة مرت بين وضعي لرأسي على الوسادة وشعوري بمن يهز كتفي ليوقظني.

أفقت بصعوبة وفتحت عيني المرهقتين لأرى جيني وعليا واقفين بجوار فراشي، وقد ارتديا ملابسهما من أجل جولة الركض الصباحية التي وعدتهما بها. كنت أشعر بدفء جسد بري من خلفي، ولم أكن أرغب في إيقافها، فوضعت أصبعي على شفتي.

أومأ برأسيهما وتسللا إلى خارج الغرفة، فنهضت من الفراش وأنا أشعر بدوار خفيف؛ فقد كنت لا أزال بحاجة إلى ٣ أو ٤ ساعات أخرى من النوم، ولكن خلال هذه الأيام التي نمر بها، كنت أحاول جاهدًا الحفاظ على وعودي لأبنائي. ارتديت ملابسني داخل خزانة الملابس وتسللت خارجًا من الغرفة على أطراف أصابعي، حين شممت رائحة القهوة تُعد. توجهت نحو المطبخ ووجدت نانا ماما هناك مرتدية ملابس نومها الزرقاء والروب، وكانت تصب قديمًا صغيرًا من القهوة من أجلي، وكان كل من جيني وعلي يعقدان رباطي حذائيهما. قلت عندما ناولتني نانا ماما قديم القهوة: "بوركت يا جدتي".

سألتني نانا ماما: "هل غفوت أمام التلفزيون مجدداً؟".

أومأت برأسي إيجاباً ورشفت بضع رشفات منعشة من قهوتي.

قالت جدتي: "أعتقد أنه يجب أن تحتوي أجهزة التلفزيون على مؤقت آلي لإطفائها".

قال علي: "إنها تحتوي عليه بالفعل، وجهاز قنوات الكابل يحتوي عليه أيضاً".

قلت محاولاً إنهاء الحديث: "هيا بنا"، ثم وضعت القدر الفارغ على الطاولة وأردفت: "هناك عميل جديد سيحضر إلى عيادتي صباح اليوم، ولا أريد أن أتأخر عليه".

خرجنا معاً، وكان أول شعاع من شمس الصباح يلوح في الأفق، وكان الهواء بارداً عندما بدأنا نركض. سلكننا طريقاً يؤدي إلى حديقة لنكولن وعدنا منه، وكان إجمالي المسافة التي قطعناها حوالي ٦ كيلومترات.

عندما كنت أركض وحدي، نادراً ما كنت أفكر، ولكنني كنت أعود للمنزل دائماً واكتشف أنني توصلت إلى حل للمشكلة التي تواجهني. إنه عمل العقل الباطن أو شيء من هذا القبيل، ولكن كان من المستحيل أن أركض خالي الذهن بصحبة علي، خاصة بعدما زادت جيني من سرعتها بعد كيلومتر واحد وتركتنا خلفها.

قال علي وهو يركض بجوارني: "أبي، هل تعلم أن الركض لأكثر من ٣٠ دقيقة يساعد على تجديد خلايا المخ؟".

نظرت نحوه متعجباً من أن صبيّاً في التاسعة من عمره، أو بالأحرى ابني الذي في التاسعة من عمره، يعرف تجدد خلايا المخ.

قلت وأنا ألثث: "لم أكن أعلم هذا، ولكنني أعلم أن الركض مفيد للقلب".

قال: "ومفيد للمخ أيضاً. لقد قرأت شيئاً عن هذا الأمر على شبكة الإنترنت.

لهذا السبب أخبرت جيني بأنني أريد أن أركض معها".

قلت: "حتى تتمكن من تجديد خلايا مخك؟ مهلاً يا صاحبي، أنت لا تزال

في التاسعة من عمرك، وخلايا مخك لا تزال تنمو، وستظل كذلك لفترة طويلة".

نظر إليّ علي باستنكار خفيف وقال: "سأنمي المزيد منها عن طريق

الركض".

رفعت يدي مستسلمًا وقلت: "أنا واثق بأنك ستفعل".

ابتسم علي وقال: "لن أركض بإفراط والافسيصبح مخي كبيرًا للغاية وينفجر رأسي، أليس كذلك يا أبي؟".

كان هذا هو ابني ذا التاسعة الذي أعرفه.

"أبي؟".

"لا، لن ينفجر مخك بسبب إفراطك في الركض".

"هل أنت واثق بهذا؟".

"هل تعتقد أن رأس جيني على وشك الانفجار؟".

نظرت نحوه فرأيت أن الفكرة قد أربكته.

قلت بينما كنا نقترّب من المشتل: "لا ينفجر رأس أحد بسبب لياقته البدنية

العالية. لتغير الموضوع".

لم يقل علي أي شيء حتى وصلنا إلى المتنزه، ثم عكسنا اتجاهنا نحو

المنزل، وكنا نركض في شارع ساوث كارولينا أفينيو.

وعندها قال علي: "أبي، هل يوجد في بلادنا رجال شرطة يكرهون بعض

الناس بشدة لدرجة أنهم قد يطلقون عليهم النار من دون سبب؟".

الفصل 28

صعقني هذا السؤال، فأبطأت ركضي حتى توقفت، ووضعت يديّ على فخذيّ والعرق يتساقط من أنفي، وقلت: "لماذا تقول هذا يا بني؟".

سمع علي نبرة صوتي، فبدأ حائراً وقال: "لقد سمعت البعض يقولون على التليفزيون إن الأطفال السود يُطلق عليهم النار لمجرد أنهم سود البشرة، وإنك أطلقت النار على تابعي سونجي لأنك تكره الرجل الميت الذي يقدر سونه".

أحسست بخواء في معدتي، وشعرت بالحموضة تصعد إلى حلقي، وتحرق الجزء الخلفي من لساني.

وأخيراً قلت: "دعنا نبدأ بالجزء الأول. هل تخشى أن يُطلق عليك أحد ضباط الشرطة النار بسبب لون بشرتك؟".

قال علي وهو يعقد ذراعيه أمام صدره: "وهل يجب ألا أخاف من هذا؟ إنهم يقولون إن هذا يحدث طوال الوقت".

"أولاً، كون المرء شرطياً هو عمل شديد الصعوبة. أنت تدرك هذا، أليس كذلك؟".

"بلى، على ما أعتقد".

"ثانياً، هناك الكثير من السود يتعرضون لإطلاق النار. بعضهم على يد أشخاص عنصريين، ولكن في المجمل، أعتقد أن الأمر يتعلق أكثر بعدم تلقي

رجال الشرطة التدريب الصحيح، أو أنهم لا يلتزمون بالقواعد وبأحدث أساليب تطبيق القانون".

وبدلاً من أن يهدأ، ازداد علي انزعاجاً وبدا يعدو مبتعداً. عدوت خلفه، وأوقفته، فوجدته يبكي.

وقبل أن أسأله عن سبب انزعاجه، غمغم قائلاً: "أنت لم تلتزم بالقواعد يا أبي. هذا ما قاله هؤلاء الأشخاص على التلفزيون. قالوا إنك خارج عن السيطرة وإنك تمثل جميع مساوئ الشرطة الأمريكية في العصر الحالي".

شعرت كأن هناك من ركلني في رأسي، فقلت: "وهل تصدق هذا؟". قال علي وهو يمسخ دموعه: "ولكن، هذا ما يقوله الناس يا أبي، حتى في المدرسة".

وضعت واحدة من ركبتَيَّ على الأرض ونظرت إلى ابني الذي كان ينظر إلى وجهي منتظراً الإجابة.

قلت: "لم أكن فاقد السيطرة في هذه الليلة يا علي. لقد أطلقت النار على هؤلاء الرجال لأنهم كانوا يحاولون قتلي".

قال: "ولكنهم قالوا..."

قلت محاولاً أن أبقى صوتي هادئاً: "أعلم ما يُقال. كل ما يمكنني قوله لك يا بني هو أنهم مخطئون. إن والدك ليس قاتلاً بارد الدم. لقد كان الأمر دفاعاً عن النفس. يجب أن تصدقتي. أنت تصدقتي، أليس كذلك؟".

حدق علي إلى وجهي لبرهة لدرجة أنني اعتقدت أنه شرد بعيداً، ثم أوماً برأسه وعانقني بقوة لدرجة أنني بكيت واختنقت من فرط حبه لي.

قلت بصوت مبحوح: "شكراً لك يا صديقي الصغير. لا أعتقد أنني قادر على تخطي هذا الأمر دون دعمك لي".

الفصل 29

بعد ساعتين، وفي أثناء جلوسي في عيادتي بقبو منزلي، كنت أشعر بالاكئاب بعد حديثي مع علي. أعتقد أنه ليس هناك ما يثير الاكئاب أكثر من أن يشكك ابنك ذو السنوات التسع في نزاهتك الشخصية والمهنية.

حاولت أن أبعد تفكيري عن هذا الأمر بالتركيز على الأمور التي أخبرني بها نيل باركس في الليلة السابقة. قال باركس إنه شاهد مقطع فيديو كاملاً حمّله من...

سمعت صوت طرقات قوية على الباب الخارجي للقبو، فنظرت إلى ساعتني. لقد وصل عميلي الجديد مبكرًا خمس دقائق.

عندما فتحت الباب الخارجي رأيت رجلًا نحيلًا، أشقر الشعر، ذا عينين زرقاوين غائرتين يبدو عليهما الحزن، ولم يكن مظهره يدل على عمره. كان يرتدي سروال جينز مكوّيًا، وقميصًا أبيض، وخذاءً خفيفًا لامعًا من دون جوارب، وخاتم زواج ذهبيًا منقوشًا، وتزين معصمه ساعة رولكس، ويرتدي حول عنقه سلسلة تنتهي بقلادة ذهبية صغيرة.

قلت وأنا أمد له يدي: "سيد ليندل؟"

قال وهو يصافحني محددًا إليّ بعينيه الغائرتين: "ألدن ليندل. سعيد أنك وفرت بعض الوقت للقائني يا دكتور كروس".

فقلت: "يسرنني أنتي تمكنت من العثور على وقت فارغ في جدولتي"، رغم أنه كان العميل الوحيد لدي في هذا اليوم.

أشرت له بالدخول وقلت: "ليندل. إنه اسم غير معتاد".

قال ليندل: "ليس في النرويج".

قلت: "لا أعني هذا، ولكني سمعته مرتين مؤخرًا..."

قال ليندل بصوت مختنق: "جريتشن هي ابنتي يا دكتور كروس. إنها تذهب إلى المدرسة نفسها التي يرتادها ابنك علي، أليس كذلك؟"

قلت وأنا أتطلع إليه بنظرة جديدة تمامًا: "نعم، نعم، إنها كذلك. أنا وعلي وأسرتنا بكاملها ندعو الله أن تعود إليكم سالمة".

قال وقد احمرت عيناه وبدأ يحدق إلى الأرض: "شكرًا لك يا دكتور كروس. إننا بحاجة... أنا بحاجة..."

كنت أرى دومًا أن طرح الأسئلة المباشرة يمنحك الإجابات المباشرة، فقلت له: "كيف يمكنني مساعدتك يا سيد ليندل؟ لماذا حضرت للقائي؟"

تردد ليندل للحظات ثم نظر نحوي ورفع راحتي يديه نحو الأعلى وقال: "أصدقك القول، لقد أتيت للقاء الدكتور كروس، الطبيب النفسي، بسبب قلقي وشعوري بالذنب، والمحقق كروس بسبب شكّي في بقاء ابنتي على قيد الحياة".

جلست وقلت له: "ألا تعلم أنني موقوف عن العمل وأنتظر المحاكمة؟"

قال ليندل: "لقد قرأت عن هذا في الصحف، كما قرأت أنك، قبل مشكلتك الأخيرة، كنت أحد أفضل المحققين في البلاد".

قلت: "إن من كتب هذا كان كريمًا للغاية. أعرف أن عملاء المباحث الفيدرالية تولوا قضية ابنتك. إنهم الأفضل في هذا المجال".

قال ليندل: "عندما كانت أمي تخبز كعكة، كانت تقول إنه لن يضيرك أبدًا أن تزيد من طبقة الزينة. من فضلك، أخبرني بأنك ستساعدني في العثور على جريتشن قبل أن يفوت الأوان..."

ثم انسالت الدموع من عينيه على وجنتيه وقال: "إنها، ابنتنا، جريتشن، إنها كل حياتنا، والآن، إنهم يعذبونني بتلك الصور المريعة".

قلت: "أنا لا أفهم. من الذي يعذبك؟"

أخذ ليندل منديلًا ومسح دموعه قبل أن يضع يده في جيب سرواله ويخرج ذاكرة فلاشية صغيرة زرقاء اللون موضوعة في حافظة بلاستيكية.

قال ليندل: "لقد وجدت هذه الذاكرة الفلاشية في صندوق بريدي هذا الصباح قبل الإفطار. هيا، ضعها في حاسوبك وانظر لما فيها".

الفصل 30

أمسكت الحافظة ونظرت إلى الذاكرة الفلاشية، التي كان مكتوباً عليها أنها من تصنيع شركة توشيبا ومساحتها ١٢٨ جيجا بايت.

سألته وأنا أضع الحافظة على المكتب وأمسك بقفاز بلاستيكي: "إنك لم تسلم هذه الذاكرة إلى المباحث الفيدرالية؟"

"كنت في طريقي إلى هنا بالفعل، وأردت أن تراها أولاً. أنا... لا أعتقد أن المباحث الفيدرالية ستمكن من كشف هذا اللغز من دونك. هل يمكنك أن تأخذ نسخة منها وأن تعطيني النسخة الأصلية لأسلمها لهم؟ عليّ أن أتحقق بالطائرة المتجهة إلى نيويورك بعدما أنهى لقائي معك هنا، ففوق كل شيء آخر يحدث في حياتي حالياً، قد حجرت والدتي بالمستشفى".

أومأت برأسي متردداً، ولكن كان الفضول يقتلني لأرى ما تحتويه الذاكرة. ارتديت القفاز البلاستيكي وأمسكت بالذاكرة الفلاشية وأوصلتها بحاسبي المحمول، ومضت الشاشة بضوء مبهر قبل أن يظهر مقطع فيديو وجدته مألوفاً إلى حد كبير.

كانت هناك فتاة شقراء ترتدي ملابس نوم بيضاء تركض في غابة مظلمة ذات أشجار خالية من الأوراق، وكان حامل الكاميرا يطاردها. كان الوقت يقترب من المغيب، وعندما تمكن حامل الكاميرا من اللحاق بالفتاة وأسقطها على الأرض، لم يكن من الممكن تبين ملامح الفتاة من بين النباتات.

قالت الفتاة راجية عندما أوقفها حامل الكاميرا الذي يرتدي القفاز، على ركبتيها: "أرجوك لا تفعل".

قال الصوت المعدل عبر الحاسب: "كلا، أنت تريدين إذن أن تكون المرة الأخيرة؟ لا مزيد من المطاردات؟ لا مزيد من المرح؟".

هدرت الفتاة قائلة وقد بدت كظل غير واضح الملامح بين الظلام الذي ينتشر على شاشتي: "أريد لهذا أن ينتهي".

قال الصوت: "حسناً إذن. سوف أحقق لك أمنيتك".

ثم رأيت حركة قطع سريعة بطول عنقها، وسمعت صوت دماء تتدفق، وصوت حركة تنفس مؤلم، قبل أن تتوقف الشاشة وتظهر عليها أيقونة القفل مع رابط موقع (لقد انتهى الأمر أيتها الشقراء، دوت أورج، دوت كوم). قال ليندل وهو يبكي مجدداً: "أخبرني إن كان هذا الفيديو مزيماً أم حقيقياً. هذا هو كل ما أريد منك أن تفعله. أوقف هذا العذاب قبل أن أجن أنا وزوجتي".

لم أكن أحمل رخصة محقق خاص، وكنت موقوفاً عن العمل في انتظار محاكمتي، ولكن ربما كان يجدر بي أن أظهر له تعاطفي وأرفض طلبه. ولكنني كنت أباً أيضاً، وكنت أشعر بالعذاب الناتج عن اختطاف ابنة الرجل وعن ذلك الفيلم العنيف الذي شاهدته للتو.

سألته: "هل أنت واثق بأن هذه هي جريبتشن؟".

قال وهو ينظر لي كما لو كنت أمه الوحيد في الحياة: "إنني أميز صوتها من بين ألف صوت".

قلت: "سأفعل ما بوسعي".

ضم ليندل قبضتيه معاً، وابتسم من بين دموعه وقال: "باركك الله يا دكتور كروس. باركك الله".

الفصل 31

عقدت عميلة المباحث الفيدرالية هينا باترا ذراعها أمام صدرها وحدقت إلى وجهي في غضب من خلف نقطة الأمن الرئيسية في كوانتيكو. عندما أنهيت إجراءات الأمن، قلت: "آسف، ولكنك لم تجيبي عن هاتفك، وكنت بحاجة إلى التحدث معك".

لم ترد عليّ العميلة باترا، وإنما دارت للخلف مرتكزة على حذائها الأسود ذي الكعب العالي وبدأت تسير في الرواق. أسرعت الخطى لألحق بها، وعندما أصبحت بجوارها، همست قائلة: "كيف تأتي إلى هنا هكذا؟ هل تحاول أن تتسبب في طردي من عملي يا كروس؟".

"قلت لك إن الأمر مهم للغاية، ويبدو أنني لست تحت المراقبة. فقد سمحت لي سيدني بالدخول من البوابة الأمامية دون مشكلات".

قالت: "إن سيدني تعرفك منذ ١٨ عامًا".

قلت: "حسنًا، هذا صحيح. إننا في الفريق نفسه".

قالت: "إنك لم تستوعب الأمر بعد يا كروس. إنك تخضع للمحاكمة بسبب جريمتي قتل في العاصمة. وهذا يضع قضيتك ضمن اختصاصات المباحث الفيدرالية".

قلت: "صدقيني، أن أعني هذا جيداً. ولكن، ماذا لو مكّنا تحليل مقطع الفيديو هذا من إنقاذ حياة جريتشن ليندل؟ أو على الأقل التوصل إلى الحقائق التي تريخ والديها؟".

حدقت إلى وجهي وقالت: "أنا لا أفهم. لماذا لم يُعط ليندل هذه الذاكرة الفلاشية إلى العملاء الذين يحققون في قضية اختفاء ابنته؟".

"لقد كان في حالة سيئة للغاية، ولم يذق طعم النوم منذ أيام حين رأيته، وكان في طريقه إلى مدينة نيويورك لأن والدته دخلت المستشفى".

سارت باترا بضع خطوات دون أن تعلق، ثم توقفت، وعضت على شفتها، ثم نظرت إلى السقف للحظات.

وأخيراً قالت: "إن تحليل مقاطع الفيديو ليس اختصاصي؛ لهذا السبب، سيتوجب علينا التوجه إلى القبو. وهناك أمر آخر يا دكتور كروس!".

قلت: "وماذا يكون أيتها العميلة باترا؟".

نظرت نحوي بعينين خاليتين من التعبير وقالت: "قبل أن نهبط إلى أسفل، سيتوجب عليك أن تتعهد، كتابياً، وفي حضور شاهدين، بأنك لن تنبس بكلمة واحدة عما ستراه في الأسفل".

بعد ١٠ دقائق، كنت في مصعد مؤمن خارج وحدة الجرائم السيبرانية شاعراً بأنني قد وقعت على عقد تخليت بموجبه عن جزء من حياتي. ووقت العميلة باترا بجواري، ووضعت بطاقة إلكترونية في القفل، وضغطت على أزرار الطابق الثاني تحت الأرض".

قلت بينما تُغلق أبواب المصعد: "أشعر كأنني صرت مجرماً".

قالت باترا: "لست بعيداً عن هذا كثيراً هذه الأيام".

قلت: "ألن تخبريني عن سبب كل هذه السرية؟".

قالت باترا بعدما عبر المصعد الطابق الأول تحت الأرض وبدأ يبطئ من سرعته: "أنت رجل ذكي، ستعرف من تلقاء نفسك".

سمعت صوت اهتزاز ظل يزداد علواً كلما اقتربنا من الطابق الثاني تحت الأرض. انفتحت أبواب المصعد وسمعنا صوت موسيقى التكنو، وكانت عالية، وكان إيقاعها رائعاً. والغريب أنها جعلتني أرغب في الرقص.

يبدو أنه كان للموسيقى التأثير نفسه على الرجل ذي الشعر الأحمر الناري الذي قصه على طريقة مجموعة موهوك الذي كان يرقص داخل المعمل ذي الجدران الزجاجية أمامنا مباشرة. كان يرتدي سروالاً قطنياً قصيراً وسترة قطنية فوق قميص أسود بلا أكمام، ولا شيء آخر. كان حافي القدمين، وكان يهتز على أنغام الموسيقى، ويضرب قبضتيه ببعضهما ببعض، ويحرك رأسه في الهواء.

ابتسمت لكن باترا لم تفعل.

خرجت باترا من المصعد وعبرت الرواق متجهة نحو باب المعمل، تبعها قائلاً: "حسنًا، من هذا؟"

قالت في أسي: "كيث كارل رولينز. يُطلق على نفسه اسم كيه كيه أو كريزي كات، حسب الموقف".

الفصل 32

وقضت العميلة الخاصة باترا أمام باب المعمل ونظرت نحوي في انزعاج حقيقي.

قلت: "هل يعمل لصالح المكتب؟ هل لهذا السبب وقعت على تعهد السرية؟".
حدقت باترا إلى وجهي وقالت: "إن رولينز هو الأكثر عبقرية وبراعة فيما يتعلق بتحليل أي شيء رقمي. في الواقع، أنه أكثر براعة مني بكثير".
فاجأني هذا الأمر كثيراً. فطالما اعتقدت أن باترا هي أكثر من قابلتهم براعة في التعامل مع شبكة الإنترنت، ثم استوعبت فجأة سبب نفي رولينز إلى الطابق الثاني تحت الأرض.

قلت: "إنه لا يتناسب مع الصورة المحافظة لعملاء المباحث الفيدرالية، أليس كذلك؟".

قالت باترا وهي تدير مقبض الباب: "لا، كيه كيه لا يتناسب معها بالتأكيد".
كان صوت الموسيقى أكثر ارتفاعاً داخل المعمل، وكانت هناك مناظرة طويلة مكدسة بمعدات الاختبار الإلكترونية، وعلى الجانب الآخر من الغرفة، كان رولينز يرقص أمام ٨ شاشات حاسب كبيرة مرصوصة على شكل قوس.
كانت جميع الشاشات تعرض مقطع الفيديو نفسه: أشخاصاً يرقصون في شوارع مدينة، ويهزون أجسادهم طبقاً لإيقاع الموسيقى.

تحركت باترا لتقف أمام رولينز وتلوح بذراعها أمام وجهه في عصبية.

صنع رولينز بيديه شكل مسدسين ووجههما نحو باترا، ثم ضغط على زر في لوحة التحكم بدا كأنه أحد إزرار إستديوهات التسجيلات، ثم توقف صوت الموسيقى دفعة واحدة، وتوقف رولينز عن الرقص.

لوح بأصابعه نحو باترا، ثم قال بصوت هادئ تتم نبرته عن أن أصوله من نيو أورليانز: "سأسامحك هذه المرة على مقاطعة فترة استماعي الثابتة لموسيقى ديبلو. لقد كانت على وشك تجديد خلايا مخي على أية حال".

قلت قبل أن تتمكن باترا من الرد: "لقد أخبرني ابني بأمر مشابه لهذا. ممارسة الرياضة من أجل تجديد خلايا المخ".

رأني رولينز وتفحصني بعينيه ثم ابتسم. والتقط منشفة من فوق المقعد المجاور ثم توجه نحونا دون أن تختفي الابتسامة عن شفتيه. كان يلهث والعرق يُفرق رأسه العاري على جانبي رأسه، وكان يضع قرطاً ذهبياً في فتحة أنفه اليسرى، وكانت هناك أقراط في أذنيه، وعلى صدر قميصه، كانت هناك كلمات بحروف لامعة تقول: الجميع يرقصون.

قال رولينز بخجل: "أنت أضخم حجماً في الحقيقة. ويبدو أن ابنك قد قرأ المقال نفسه الذي قرأته. ما احتمالات حدوث ذلك يا دكتور كروس؟"

قلت: "لا أعلم".

قال رولينز: "أنا أعلم اثنين من بين ١,٦٤ مليار، إلا إن كنت تحب النظر إلى الأمر من وجهة نظر النظرية الخيطية، حيث تكون هناك فرصة لخروج الموجات العقلية من المخ وتعبّر إلى الآخرين وتزداد قوة بشكل كبير كلما قرأ أحد هذا المقال".

قلت: "لا أفهم شيئاً مما تقوله على الإطلاق".

قال رولينز ممتعضاً: "هذا أمر مؤسف! لهذا السبب أتمتع بعقل حاد الذكاء وجسد قوي في الوقت نفسه".

الفصل 33

ضحكت قائلاً: "أما أنا فلا أتمتع بأي منهما؛ لهذا السبب حضرت لرؤيتك أيها العميل الخاص رولينز".

نظر رولينز نحو باترا، ثم ضحك قائلاً: "لست خاصاً ولا عميلاً يا دكتور كروس. أنا فقط كيه كيه أو كريزي كات. أنا أعمل بموجب تعاقد هنا، ولن تجعلني المباحث الفيدرالية عميلاً رسمياً أبداً. هل أنا محق يا عزيزتي باترا؟".

قلبت باترا عينيها وقالت: "إننا هنا لنعمل يا كات، لا لنمزح".

قال رولينز: "أعتقد أنني سأكون محارب جريمة شديد البأس؛ فعلى الرغم من مظهري، فإنني نزيه للغاية وأتوقع المثل ممن أعمل معهم. أخبرني يا دكتور كروس، هل قتلت أتباع سونجي من أجل المرح؟".

"لا".

"أم لتصحيح أمر خطأ؟".

"لقد كان دفاعاً عن النفس".

تفرس في ملامحي بحثاً عن تعبيرات تفسيرية، لكنه لم يجد شيئاً، فقال:

"كيف يمكنني مساعدتك؟".

"سأعرفك أولاً بخلفية الموضوع".

قصصت عليه ملخصاً للقصة التي أقيت على مسامعنا، أنا وسامبسون،

من نيل باركس، القواد السيراني. ادعى باركس أنه كان في مدينة نيويورك

نيوز في ولاية فيرجينيا منذ بضعة أسابيع، من أجل فحص المدينة ليري إن كان يمكنه التوسع في عمله بهذه المدينة. دخل نادياً ليلياً هناك حيث التقى رجلين من أهل المدينة في أوائل الثلاثينيات من عمرهما قالا إن اسميهما بيلى راي وكارفر.

ظل الرجال الثلاثة يعاقرون الشراب ويمرحون حتى ساعة متأخرة من الليل. وقال بيلى راي، الذي كان ثرثاراً أكثر من كارفر، لباركس إنهما يصيدان الشقراوات لاستخدامهن في الأفلام التي ينتجانها لبيعها إلى عدد من المواقع الإلكترونية على الشبكة السوداء. ومن بين أحدث أفلامهما وأكثرها نجاحاً، كما قال بيلى راي، فيلم ظهرت فيه فتاتان شقراوان من بنسلفانيا، ثم أعطى باركس رابطاً إلكترونياً لأحد المواقع الإلكترونية: (انتهى الأمر أيتها الشقراء، دوت أورج، دوت كوم). وضعت يدي في جيبتي وأخرجت كيساً بلاستيكياً يحتوي على الذاكرة الفلاشية وقلت: "يظهر الرابط نفسه على مقطع الفيديو الموجود في هذه الذاكرة، وأريد منك أن تعرف ما إذا كان مقطع الفيديو حقيقياً أم لا".

بدأت الجدية على وجه رولينز على الفور، فأخذ الكيس البلاستيكي من يدي وسألني عن حصل على الذاكرة، فأخبرته بأنه والد جريتشن ليندل.

قال رولينز وهو يتجه إلى إحدى منصات عمله: "كان يجب أن يعطيها إلى أحد العملاء الذين يعملون على قضية ابنته مباشرة".

فقلت: "كانت الأمور معقدة بعض الشيء".

"هل شاهدت ما عليها؟"

"إن كان حقيقياً فسيكون أول فيلم عنف حقيقي أشاهده في حياتي".

"وتريد أن تعرف ما إذا كان زائماً فحسب؟"

قالت باترا: "إنه يريد أن يعرف كل شيء وأي شيء، وكذلك أنا".

قال رولينز: "هل أخذت نسخة منه؟"

قلت: "على حاسبي المحمول في المنزل؟"

قال: "ألم تحدث أية أخطاء؟"

قلت: "لقد عمل جيداً".

قال وهو يجلس على مقعد أمام أحد الحواسيب: "سأفحصه على أية حال".

ثم ارتدى قفازاً بلاستيكياً وأخرج الذاكرة الفلاشية وأوصلها بالحاسب.

بعد لحظات، رأيت أيقونة فحص تبدأ عدًا تنازليًا يبدأ بدقيقة و٥٥ ثانية من أجل إجراء فحص شامل للذاكرة الفلاشية. وفي نهاية الفحص، ظهرت رسالة فحواها: لم يتم رصد أي شيء غير طبيعي.
قال رولينز: "حسنًا إذن".

فصل الذاكرة الفلاشية عن الحاسب وحملها نحو لوحة تحكم أكبر تقع تحت الشاشات الثماني الكبيرة، وأوصلها بخادم موصول بشبكة المباحث الفيدرالية الداخلية.

ظهر فهرس رقمي عن الذاكرة الفلاشية على الشاشة الكبيرة الوسطى، وظهر به ملف فيديو وحيد بامتداد MPEG. ضغطت رولينز على الملف، فظهر وميض مبهر على الشاشة ثم بدأ مقطع الفيديو - مقطع الفيديو المشوش الذي تظهر به الفتاة الشقراء الهستيرية التي تركض عبر الغابة ويتبعها حامل الكاميرا في مطاردة حامية.

سألت باترا: "ماذا كان هذا الوميض في البداية؟"

قال رولينز وهو يوقف الفيديو: "لا أعرف".

قلت: "أعرفان، إذا أسعفتني ذاكرتي، فعندما ضغطت على الفيديو على حاسبي المحمول، صدر الوميض نفسه أيضًا، إلا أن شاشة حاسبي أصغر وأقدم فلم يكن الوميض مبهرًا لهذه الدرجة".

زمر رولينز، وكتب أمرًا لحاسبه لكي يظهر كل العمليات والتطبيقات قيد التشغيل. ظهرت القائمة وأظهرت المطلوب في صورة قائمة مصنفة حسب وقت تشغيل كل تطبيق، بداية بالتطبيق الأكثر حداثة.

قالت باترا عاقدة حاجبيها: "هل هذا ما كان يومض؟ تطبيق محظور؟".

الفصل 34

ضحك رولينز وقال في مرح: "لا، إن هذا التطبيق يخصني أنا. ماذا يمكنني أن أقول؟ إنني أشعر بالوحدة هنا في القبو أحياناً".

قالت باترا في اشمئزاز: "يا إلهي! إن الإدارة لا تتسامح مع مثل هذه التصرفات".

قال رولينز: "هل ستجعلينهم يقاضونني؟"

قالت باترا: "ماذا كان هذا الوميض إذن؟"

قال رولينز: "لا أعلم. نقطة ضوء، خلل في الشاشة. جميعها أمور محتملة كما تعلمين".

قالت باترا: "أو خطأ في كوديك التشغيل الخاص بمشغل الفيديو؟"

رفع رولينز أصبعه وقال: "تفكير سديد أيتها العميلة، وربما أتفق معك".

قلبت باترا عينيها وقالت: "هات ما عندك بشأن الفيديو".

لن أثقل على أحد بشرح التفاصيل التقنية التي قالها رولينز، إلا أنها كانت دقيقة وكانت نتائجه حاسمة. في البداية، استخدم برنامجاً عادياً لمحاولة

الولوج إلى البيانات السوداء لمقطع الفيديو، لكنه لم يفلح؛ فقد مر مقطع الفيديو بعملية تشفير بصلي شبيهة بتلك العملية التي استخدمت لإنشاء موقع

قتل الشقراوات من أجل المتعة. كانت البيانات السوداء قد تم محوها.

قال رولينز: "وهذا أمر متوقع، ولكنني لا أزال أملك ممسحة التراب!".

كانت "مسحة التراب" عبارة عن برنامج من تصميم رولينز يعمل على تتبع أضعف آثار البيانات السوداء والوصفية التي تم محوها. كان يُقارن البرنامج بمنظار هابل الفضائي الذي يبحث بين الكتل الصخرية الكونية التي تمتد لآلاف الكيلومترات خلف ذيول المذنبات الطويلة.

ومن دون أدنى شك، سرعان ما امتلأت شاشته بنوافذ صغيرة تظهر بها الشفرات البرمجية والتي بدأت عملها بالترزامن مع مقطع الفيديو. وعبر التركيز على اللحظة حين كانت الإضاءة في أضعف أوضاعها وكان الصوت المصاحب للقتل في أوضح أوضاعه، عثر رولينز بين بقايا البيانات على دليل بوجود مساحة إضافية في الصوت المصاحب للفيديو تجعله أطول من صورته بست ثوان. احتوت هذه الثواني الست على صوت السكين وهي تقطع العنق وصوت النهيغ الذي بدا كصوت هواء يندفع من صدر خائف يلفظ أنفاسه الأخيرة.

قال رولينز بعد ١٥ دقيقة تقريباً من بدء الفحص: "إنها على قيد الحياة. أو على الأقل، لم تكن تلك أصوات مقتلتها".

زفرت في ارتياح؛ فلم أكن مضطراً لأن أبلغ ألدن ليندل وزوجته بالمزيد من الأخبار المحزنة، ثم قلت: "أشرح لي الأمر، فسوف يسألني والداها عنه". قال رولينز: "إن تعديل الصوت في حد ذاته تعديل دقيق للغاية باستخدام مقاطع الصوت التي يصدرها الحاسب. والأمر يحتاج إلى شخص يمتلك تدريباً متقدماً في المؤثرات الصوتية. إنك تبحث عن شخص متخرج في من معهد السينما أو عمل في إحدى شركات المؤثرات الخاصة في هوليوود، وليس مبرمجاً".

سألته باترا: "ولماذا تظن ذلك؟".

كتب رولينز أمراً على حاسبه، فعاد حاسبه ليعرض مقطع الفيديو قبل فترة الثواني الست المعدلة، ثم عرضت شاشة أخرى بقايا البيانات السوداء، ثم أشار إلى خط مسنن من البيانات يصل من قمة الشاشة وحتى أسفلها.

وقال: "هذا هو التعديل الرقمي. لو كان هذا عمل مبرمج محترف لتمكّن من إخفاء هذا بصورة أفضل بحيث يتطابق المقطع المعدل مع الأصلي تماماً كما لو كان قد خضع لجراحة تجميل على يد جراح تجميل محترف. ومن دون أن يظهر أي أثر لأية ندوب".

قلت: "إذن فهذا تعديل صوتي بسيط؟".

لمس رولينز شعره المقصوص بطريقة مجموعة موهوك كما لو أنها تصفيفة شعر أنيقة وقال: "تستطيع القول إنها جراحة تجميل تمت على يد جزار. وهذا كل ما يمكنني تقديمه لك الآن، فلدي الكثير لأفعله قبل أن يُفتح جوديس". نظرت في حيرة.

فقالت باترا موضحة: "إنه نادي الرقص الذي يفضله".

قال رولينز: "هل ترقص يا دكتور كروس؟".

قبل أن أجيبه، اهتز هاتفي المحمول في جيبتي، فأخرجته ونظرت إلى الرقم الظاهر على الشاشة.

وقلت: "إنها مدرسة ابني، ويجب أن أرد على هذه المكالمات".

الفصل 35

كان علي كروس يدرك أن مستوى ذكائه أعلى من مستوى الطالب العادي في مدرسة واشنطن لاتين، لكنه لم يكن موهوباً أو عبقرياً. كان الطلبة الذين يعتبرهم الأكثر ذكاءً هم الأكثر خجلاً والأكثر انعزالاً عن الناس. وقرر خلال شهر من التحاقه بالمدرسة الخاصة أن العبقرية مبالغ في تقديرها. ويكفيه أن ينظر له الجميع على أنه ذكي جداً ومجتهد ومثير للاهتمام.

كان علي الطالب الأحدث سنّاً في الصف الخامس بمدرسة لاتين، على الأقل بعام كامل عن أقرب الطلبة سنّاً منه. وبفضل سلوكه وحس الفكاهة الذي يمتلكه، تمكّن من الاختلاط مع زملائه الأكبر منه سنّاً بسهولة، ولكن، كما كان والده يقول دومًا، هناك حمقى في كل مكان.

التقى علي اثنين من الحمقى بعد أن دق جرس انتهاء اليوم الدراسي بقليل. كانت أمامه ١٥ دقيقة قبل أن يبدأ تدريب المناظرات وقرر الخروج للجلوس خارج المدرسة. كان الطقس في ذلك الوقت منعشاً ولم يكن شديد البرودة.

توقف علي أمام الدرج ونظر إلى الساحة متذكراً الرجال المقنعين الذين اختطفوا جريتشن ليندل وقتلوا السيدة بيتراسيك. وبدلاً من التفكير كثيراً في هذه الأحداث العنيفة، جلس على سور منخفض على قمة الدرج وبدأ يلعب لعبة على هاتفه.

كان واعياً لمجموعات الطلبة التي تمر به، وسمع بعضاً من الحوارات التي تدور بينهم. فجأة، جذبته أحدهم من ياقته من تحت ذقنه مباشرة، ودفعه كما لو كان يريد أن يدفعه من فوق السور، ثم جذبته هذا الشخص نحو الأمام مرة أخرى.

شعر علي بالصدمة والدهشة، وانقلبت معدته من تأثير الأدرينالين والخوف قبل أن يعي بالكامل ما حدث. كان جورج بوتنام، وهو طالب ضخمة الجثة في الصف السادس، لا يزال ممسكاً بعلي من ياقته، ولم يكن علي قادراً على التنفس. سخر الصبي الأكبر سناً من ردة فعل علي.

وقال بوتنام: "لقد أنقذت حياتك أيها الغبي الضئيل كروس".

قال علي: "اتركني، أنت تخنقني".

كان رفيق بوتنام، كولتر تايت، طويل القامة، وذا وجه مليء بالبثور. انحنى تايت نحو الأمام، ووضع وجهه أمام وجه علي مباشرة، ورمقه بنظرة جنونية.

قال تايت: "كيف تشعر ووالدك قاتل يا كروس؟ كيف تشعر وأنت تمتلك جينات قاتل في داخلك؟".

زاد بوتنام من قوة مسكته أكثر، وشعر علي بأن عينيه ستنفجران. ولم يخطط لما فعله بعد ذلك أو يفكر فيه. فقط أرجع رأسه إلى الخلف ودفعه نحو الأمام لتصطدم جبهته بأنف تايت، وسمع صوت تحطم العظام.

صرخ تايت وتعشر وهو يتراجع إلى الخلف، واضعاً يده على أنفه الذي كان الدم يندفع منه كالشلال.

وانتحب وهو لا يصدق ما حدث: "لقد كسره! لقد كسر أنفي!".

ظل بوتنام محافظاً على مسكته لعلي وقد بدت عليه الدهشة وهو ينظر نحو صديقه النازف، فلكمه علي في رقبته. ترك بوتنام ياقة علي وهبط الدرج مترنحاً جاحظ العينين، ثم وضع يديه على رقبته وأخذ يسعل.

كان علي لا يزال في وضعية القتال وكان يرتجف من قمة رأسه حتى أخمص قدميه عندما أتت السيدة دالتون، مديرة مدرسة واشنطن لاتين، وهي تعدو من داخل المدرسة.

صاحت السيدة دالتون: "يا إلهي! ماذا حدث؟".

لم يرد علي عليها أو يتحرك، بل ظل مركزاً على الصبيين كما لو كان يتحداهما للنهوض مجدداً.

قال تايث والدم يتقاطر من بين أصابعه: "لقد كسر أنفي يا سيدة دالتون، كما لكم هذا المجنون جورج في رقبتة".
 قالت السيدة دالتون: "علي؟ لماذا فعلت...؟".
 قال علي محاولاً الحفاظ على هدوئه: "لن أتحدث قبل أن يحضر والدي إلى هنا".

قالت السيدة دالتون، بنبرة سلطة ممزوجة بالغضب: "ستخبرني بكل شيء الآن أيها الصبي. الآن".

قال علي، وقد بدأ يشعر بالضعف وألقى قبضتيه جانباً واستدار نحوها: "معذرة يا سيدة دالتون، أرجو أن تحضري والدي إلى هنا، أو محامياً، ثم سأخبركم بما حدث بالضبط".

الفصل 36

كانت حركة المرور بطيئة بينما كنت أقود سيارتي في طريق العودة إلى المقاطعة، متسائلاً عما ورت علي نفسه فيه وجعل من الضروري عقد اجتماع فوري معي؛ حيث إن مديرة المدرسة لم تخبرني بأي شيء.

عندما وجدت اختناقاً مرورياً على جسر تيودور روزفلت، قررت أن أتصل هاتفياً بالمدن ليندل، الذي رد على الاتصال عند الرنة الثالثة.

قلت: "هذا أليكس كروس يا سيد ليندل. يسعدني أن أخبرك بأن جريتشن لم تُقتل في هذا الفيديو، وأنه كان زائفاً".

أحدث الوالد صوتاً لم أتبين ما إذا كان سعالاً أم بكاء. وشهق وهو يقول: "أوه، هذا خبر طيب! حمداً لله. هل أنت واثق بهذا؟ كيف عرفت؟"

قلت: "بفضل عبقرتي حاسب من المباحث الفيدرالية، الذي قال إن مقطع صوت الفيديو تم تعديله، وأن الأصوات الأخيرة لم تكن حقيقية".

قال ليندل: "ولكن، كان صوت جريتشن حقيقياً. أقسم على هذا".

قلت: "أصدقك يا سيد ليندل، لكنه لم يكن صوت مقتلها. أردت إخبارك بما حدث. أرجو أن تخبر زوجتك بهذا".

قال: "نعم، نعم، على الفور".

قلت: "سأتصل بك إن وصلني المزيد من الأخبار".

قال ليندل: "حسناً، إنني ما زلت أحتاج إلى شخص لأتحدث إليه يا دكتور كروس؛ فقد انفصلت عن إيليز، والدة جريتشن، قبل اختطاف جريتشن، وكان ذلك الأمر صعباً على كل منا. كما أن والدتي ليست بخير، ونفكر الآن فيما سيحدث بعد وفاتها".

قلت: "يؤسفني سماع هذا يا سيد ليندل. اتصل بي في عيادتي غداً وسنحدد موعداً للقاء".

قال: "شكراً لك يا دكتور كروس".

قلت: "على الرحب والسعة"، ثم أنهيت المكالمة.

بدأ الاختناق المروري يخف، وبدأت السيارات تتحرك أخيراً. وبعد ١٥ دقيقة أوقفت سيارتي في مكان قريب من مدرسة واشنطن لاتين وهرعت إلى الداخل متجهاً نحو قاعة الانتظار خارج مكاتب مديرة المدرسة وبقية موظفي الإدارة.

من الناحية الأخرى للرواق، كنت أرى كولتر تايت يجلس عند الجانب الأيمن من قاعة الانتظار، وكان ممسكاً بكيس ثلج ويضعه على وجهه، وكانت تجلس بجواره امرأة خممت أنها والدته وتلف ذراعها حول كتفيه وتهمس في أذنه.

على بعد مقعدين أو ثلاثة من تايت، كان جورج بوتنام يجلس واضعاً كيساً من الثلج على رقبته، وكان يجلس بجواره رجل خممت أنه والده، وكان رجلاً ضخماً الجثة يملك قوام المصارعين ويرتدي حلة يبلغ ثمنها ٥ آلاف دولار، وتطلق عيناه نظرات نارية تجاه علي، الذي كان يجلس مواجهاً له في القاعة مغمض العينين.

"دكتور كروس؟"

نظرت خلفي فرأيت السيدة دالتون تسرع الخطى نحوي.

قالت مديرة المدرسة في ضيق: "دكتور كروس، قبل أن نناقش مسألة الشجار الذي وقع، عليّ أن أتحدث معك أولاً عن سلوك ابنك المتمرد. إن مدرسة مثل لاتين..."

قلت: "معذرة، ولكنني أريد التحدث مع ابني على انفراد، الآن".

قالت وهي ترفع ذقنها نحو الأعلى: "دكتور كروس. لا أعتقد أنك..."

قلت: "بالنسبة لي، ومع فائق احترامي لك، أرى أن ابني قد تصرف بالشكل الصحيح عندما رفض التحدث يا سيدة دالتون. إنه قاصر ولكن لديه حقوقًا، ومن بين حقوقه أن يكون أحد والديه حاضرًا في أثناء استجوابه".

قالت: "هذا عندما تستجوبه الشرطة. أنا أدير مدرسة، وأتمنى أن أكون حاضرة عندما يحكي الأحداث من جانبه للمرة الأولى".

قلت: "هل حقًا ترغيبين في جدالي بشأن حقوق الأبوة؟ لأنك ستضيعين الكثير من المال على المحامين وستخسرين في النهاية".

كانت السيدة دالتون امرأة ذكية معتادة أن تنال ما تريد، امرأة تكره الخسارة. كنت أرى هذا في عينيها.

لكنها قالت: "حسنًا يا دكتور كروس، يمكنك أن تستخدم مكتبي. سأمنحك ١٠ دقائق. هناك آباء وطلبة آخرون يجب أن أستمع لهم".

قلت: "شكرًا لك يا سيدة دالتون. أعلم أنك في موقف صعب، وأقدر لك تعاملك مع هذا الموقف بهذه الكياسة".

ترددت للحظة، ثم أمالت رأسها مشيرة نحو غرفة الانتظار. دخلت الغرفة. وبمجرد أن فعلت، بدأ الصبي كولتر تابت، ذو الأنف المكسور، يتكور حول نفسه ويئن في رعب.

قالت أمه وهي تدير رأسها لتنظر نحوي: "ماذا حل بك يا حبيبي؟"

قال تابت: "إنه يقتل الناس يا أمي. وقد علم ابنه أن يقتل الناس أيضًا".

فتح علي عينيه وقال: "اخرس يا كولتر. إنك غبي وحقير".

قلت: "راع أفاضلك يا بني".

بدت الراحة على وجه علي، ونهض من مقعده وعانقني. نظرت نحو السيدة دالتون متجاهلاً الآخرين، فقادتنا عبر الرواق نحو مكتبها وأغلقت بابه بعدما دخلنا.

قلت: "هل أنت بخير يا صديقي؟"

قال: "إن جبهتي تؤلمني"، ثم عانقني مرة أخرى.

قلت: "إن السيدة دالتون ليست سعيدة بما حدث؛ لذا، قصَّ عليَّ الحقيقة

كاملة".

الفصل 37

فتحت باب المكتب بعد ١٠ دقائق، ووجدت السيدة دالتون تقف أمامه وتبدو عليها أمارات الغضب.

قالت السيدة دالتون: "كنت على وشك أن أطرق الباب".
فكرت: ربما كانت تحاول أن تتنصت على ما نقول، ولكنني قلت: "استدعي الآخرين، فلا بد أنهم سيرغبون في سماع جانب علي من القصة".
قالت: "لماذا؟".

قلت: "لأن هذين الصبيين يكذبان عليكم. ويمكن لعلي أن يثبت ذلك".
بعد ٥ دقائق، كان هناك ٣ أولياء أمور و٢ طلبة يجلسون في مكتب السيدة دالتون، وقد بدأ الانزعاج على وجوه الجميع.

قال والد جورج بوتنام ملوحًا نحوي بأصبعه الضخم: "توقع أن أرفع قضية تعويض عن الخسائر؛ فأنا محام".

قلت: "لا إنك تمزح، ما كنت لأخمن ذلك من مظهرك هذا أبدًا".
قالت السيدة دالتون: "دعونا نتحدث مع بعضنا باحترام أرجوكم. هلا سمعنا قصة علي؟".

صاح جورج بوتنام بصوت مبجوح: "إنه كاذب".
هز علي رأسه قائلاً: "أيها الأبله بوتنام، أنا لم أقل شيئاً بعد".
وضعت يدي على كتف علي ووضعت عليه.

قلت: "التزم بعرض الحقائق، ولا تسبَّ أحدًا، ووجه حديثك إلى السيدة دالتون".

بدا علي مستاءً، لكنه أوماً برأسه وأخبر السيدة دالتون بأن بوتنام أمسك به بينما كان جالسًا على السور ودفعه نحو الخلف بقوة، ولو أنه ترك عليًا، لكان سقط من فوق ارتفاع يقارب المترين على أرضية خرسانية وربما تعرَّض لإصابة خطيرة.

قال بوتنام: "ولكني لم أتركك تسقط. لقد جذبتك بعدما دفعتك. لقد كانت مزحة. لقد أنقذت حياتك. يا إلهي".

قال علي: "لقد جذبني مرة أخرى بالفعل، وقال: "لقد أنقذت حياتك". ولكن، أُلصق كولتر وجهه بوجهي بعد ذلك وبدأ يقول الكثير من العبارات البذيئة عن والدي".

قالت والدة تاي بحرقه: "أتضربه في وجهه إذن؟ لا يمكنك أن تفعل هذا. لقد كانا يعبثان معك ولكنك وجدتتها فرصة لتؤذي شخصًا ما".

قال تاي: "إنه يتصرف مثل والده تمامًا".

قال والد بوتنام: "هذا صحيح. لم يكن يجدر بعلي أن يلکم جورج في رقبتة. كان الأمر قد انتهى وأخذ ابني على حين غرة".

قال علي، وهو ينظر إلى السيدة دالتون في عينيها مباشرة: "كان جورج لا يزال يخنقني بعدما ضربت كولتر في وجهه، وكنت أخشى على حياتي. حاولت ضربه في وجهه لكن الضربة جاءت في عنقه".

شهِق بوتنام وقال: "كنت تخشى على حياتك؟ هل تمزح؟".

قال علي: "هل كنت تمسك بياقتي عندما ضربتک يا جورج؟ إن جميع الطلبة كانوا قد عادوا لمنازلهم، ولكني واثق بأن هناك من رأى ما حدث. وسيدعمون قصتي في النهاية؛ لذا، قل الحقيقة الآن".

فغر بوتنام فمه غاضبًا ومتألمًا، وتردد قليلاً ثم بلع ريقه قائلاً: "ربما كنت أمسك بياقتك، ولكني لم أخنقك".

قال علي: "مطلقًا؟".

قال بوتنام: "كلا".

حل علي بضعة أزرار من قميصه وفتح ياقته، وظهرت آثار حمراء حول عنقه.

قلت: "إنها علامات واضحة لمحاولة الخنق".

صاح والد بوتنام: "ماذا؟ هذا هراء. ربما أنت من فعل هذا عندما كنت تتحدثان وحدكما".

أمسك علي بهاتفه وقال: "ربما كنت في التاسعة من عمري ولكني لست غيبًا. لقد التقطت صورًا متعددة لها في الحمام منذ ساعة، وكلها يظهر بها التوقيف بوضوح. ها قد اتضح الأمر. لقد كان ما فعلته دفاعًا عن النفس، أم يجدر بنا أن نذهب إلى المحكمة ونقاضيكم بتهمة الضرب المبرح؟".

أخفيت ابتسامتي وقلت: "هذه تهمة ضرب مبرح متعدد".

قال علي مبتسمًا: "نعم، هذا صحيح".

خيم صمت طويل على الغرفة. ثم قالت السيدة دالتون في النهاية: "جورج؟ كولتر؟ فصل مؤقت لخمسة أيام".

قالت والدة كولتر: "هل أنت جادة؟".

وقال والد بوتنام: "كلا".

قالت السيدة دالتون: "نعم، وإن تكررت فعلتكما هذه مع أي طالب آخر فسيُطردان من مدرسة واشنطن لاتين تمامًا".

قال والد بوتنام: "سأكتب خطابًا إلى أعضاء مجلس إدارة المدرسة عما فعلت. خمسة أيام لكل منهما ولا عقاب للصبي الذي آذاهما؟ هذا لا يجوز".

قالت السيدة دالتون: "لم أقل هذا"، ونظرت نحوي ثم نحو ابني وقالت: "علي، فصل مؤقت لثلاثة أيام".

صاح علي: "ماذا؟ لقد كان دفاعًا عن النفس".

لم تتأثر المديرية بكلامه وقالت: "لقد وقعت على كتيب قواعد السلوك عندما التحقت بمدرسة واشنطن لاتين. وهذه القواعد تنص، من بين أمور أخرى، على عدم التسامح مع الشجار بأية حال من الأحوال. هل تذكر؟".

قال: "نعم، ولكن..."

قالت وهي تنظر نحوي: "لا استثناءات. لقد وقع على كتيب قواعد السلوك، وكذلك فعلت أنت وزوجتك يا دكتور كروس".

قلت: "نعم، لقد فعلنا، وسنلتزم بها".

قال علي: "أبي؟".

قلت: "لقد أغلقت القضية".

الفصل 38

في صباح اليوم التالي، وبعد جولة ركض طويلة مع جيني، أخذت حماماً منعشاً، ثم هبطت إلى المطبخ مع ناننا ماما ثم صببت قدحاً من القهوة من أجل بري التي جلست إلى الطاولة وهي تتنأب وتستنشق رائحة البخار المنبعث من القهوة. كانت هناك معركة بالأسلحة النارية بين العصابات في الليلة السابقة؛ حيث سقط ثلاثة أشخاص قتلى، وتمت إضافتهم إلى كومة جرائم القتل المتراكمة على كاهل بري. ولهذا السبب لم تعد إلى المنزل إلا في الثانية صباحاً، وعليها الآن أن تتأهب وتذهب لحضور اجتماع مع رئيس الشرطة في التاسعة.

وضعت قدح القهوة أمامها.

قالت بري واهنة: "بوركت يا عزيزي". ثم أخذت رشفة منه.

قلت: "تسعدني خدمتك في أي وقت".

"أخبرني بما حدث مع علي".

قالت ماما: "أوف"، ثم عادت لتقلب البيض قبل وضعه في المقلاة.

جلست في المقعد المواجه لزوجتي وقلت: "حسناً، بدا علي كأنه محام

محترف صغير يعرض حجج دفاعه أمام المحكمة. كان منطقياً للغاية. كما أنه

كان صاحب فكرة نصب الفخ لهم عبر عدم ذكر الآثار على رقبته أمام السيدة

دالتون قبل الجلوس معهم".

قالت نانا ماما: "وكأنه المحامي الشهير بيرى مايسون"، ولم تكن تعني بما قالته أنه أمر جيد، ثم أردفت: "شجار على درجات سلم المدرسة. لم يكن هذا ليحدث أبداً عندما كنت نائبة مدير المدرسة. أبداً".

كانت جدتي مرتدية روبها الأزرق المبطن، ولا تزال تعطي ظهرها لنا وتخفق البيض في عصبية. فعضت بري على شفيتها وحاولت ألا تبتسم.

قلت: "نانا، ما الذي كان من المفترض بعلي أن يفعله؟ هل يترك نفسه ليختنق حتى الموت؟".

قالت بحدة وهي تلتفت لتواجهني: "لم أقل هذا. أنا مهمومة بسمعة ابنك، والتي يستغرق المرء فترة طويلة لبنائها".

تذكرت صدى لأمر مماثلة أخبرتني بها على مدار السنين، ثم قلت: "نعم يا سيدتي، هذا صحيح".

قالت: "على الرغم من الفترة الطويلة التي تحتاج إليها لتبني، تنهار السمعة بالكامل في ظرف ثانيتين يا أليكس"، ثم أصدرت صوتاً ينم عن الاشمئزاز.

قلت: "أعلم هذا، ولكن بصراحة يا نانا، أعتقد أن علياً تصرف التصرف الصحيح، طبقاً للظروف، وقد عوقب على ذلك؛ لذا، فقد تعلم أن العالم قد لا يكون عادلاً في بعض الأحيان".

قالت بري: "أتفق معك. فبشتى الطرق، ستزداد سمعة علي قوة بفضل ما فعل. أعني أنه في التاسعة من عمره، وتحدى متتمرين في الثانية عشرة من عمرهما. فلتفخري به يا نانا. لقد أبلى بلاء حسناً رغم أنه تعرّض للفصل المؤقت".

بدت الحيرة على وجه الجدة، فنهضت وعانقتها وقلت: "في بعض الأحيان يكون المرء مضطراً لكسر القواعد. أحياناً يكون المرء مضطراً لحماية نفسه".

منعت نانا ماما نفسها في البداية، ولكن بعد ذلك لانت وعانقتني وقالت: "أنت تعلم أنني لا أحب الشجار".

"أعرف هذا".

"أين تعلم القتال بهذه الطريقة؟"

قلت: "يقول إنه تعلم ذلك من موقع يوتيوب، من قناة الفنون القتالية".

"ربما يجدر بنا التقليل من الوقت الذي يقضيه في استخدام الإنترنت".

قلت وأنا أقبل رأسها العجوز الحنون: "أوافقك على هذا".

رنَّ جرس هاتفي المحمول، فتركت رأس جدتي وأجبت الهاتف قائلاً:
"أليكس كروس".

سمعت صوت المتحدث يقول: "أنا بيرني أليا يا دكتور كروس. الأمر بخصوص تيس. لقد أغلقت على نفسها غرفة نومها، ومعها مسدس، وأخشى أن تقتل نفسها إن لم تحضر للتحدث معها".

الفصل 39

كانت محققة قسم شرطة العاصمة تيس أليا تعيش في منزل مكون من طابقين بالقرب من وسط المدينة في شارع تخضع منازلها للتجديد والترميم من أجل رفع قيمتها. كانت هناك حاويات قمامة موضوعة أمام ٢ أو ٤ منازل أخرى في الحي، وكانت أصوات المطارق والمناشير تبدو واضحة داخل تلك المنازل.

كان هناك صوت منشار آلي يطفى على صوت خطواتي وأنا أصعد درج شرفة منزل تيس الأمامية. فتح والد تيس باب المنزل قبل أن تصل يدي إلى جرس الباب، وعرج على ساقه المصابة ليصافحني. كان بيرني أليا شاحب الوجه كالموتى، وكان وجهه مليئاً بالسحجات والتورمات، وكان بإمكانه رؤية الكثير من المشاعر المختلطة في عينيه، بداية بالخوف وحتى الغضب.

قال بيرني في صوت هامس منزعج: "لقد أخبرتك بأني سأحصل لـ تيس على المساعدة التي تحتاج إليها يا دكتور كروس. ولقد بذلت أقصى ما بوسعي. ولكنها اتخذت موقفاً دفاعياً قوياً عندما اقترحت عليها أن تخضع للتقييم النفسي. وعندما أخبرتها بأن هذا من أجل صالحها، فقط من أجل الاطمئنان عليها، فقدت عقلها. لقد هاجمتني وجرحتني، وضربتني بشيء أسقطني أرضاً".

هز الرجل رأسه في أسى وعدم تصديق وقال: "كثيراً ما كانت تيس صعبة المراس مثل والدتها، حتى عندما كانت طفلة صغيرة".
 قلت: "إنها لا تزال ابنتك الصغيرة. ولكنها مفطورة القلب".
 "تحدث إليها. اجعلها تدرك أن الأمر ليس خطأها".
 كنت أشعر بياسه، فأخذت شهيقاً عميقاً وقلت له: "سأحاول. أين تقع غرفة نومها؟".

قال: "على قمة الدرج إلى اليمين".

قلت: "وماذا عن المسدس؟".

قال: "إنه مسدسها الخاص، فقد سلمت مسدسها الرسمي إلى قسم الشرطة".

"هل تعلم شيئاً عن العقاقير التي تتناولها؟".

"إنها تتناول الكثير منها. إن خزانة المطبخ مليئة بالعقاقير".

"أود إذن أن ألقى نظرة عليها أولاً".

قادني إلى داخل المنزل عبر درج منحدر ثم دخلنا مطبخاً مصمماً على الطراز العصري. كانت خزانة المطبخ مليئة بالكثير من علب العقاقير. أمسكت بعلب العقاقير الواحدة تلو الأخرى لأقرأ ما عليها. وقد تمكنت من التعرف على بعضها، ثم أمسكت بهاتفني المحمول وأدخلت أسماء العقاقير التي لم أعرفها على موقع دراجز دوت كوم. قرأت التأثيرات الدوائية لكل عقار، ودونت بعض الملاحظات، ثم استخدمت الموقع للبحث عن أية تفاعلات قد تحدث بينها.

عندما انتهيت، شعرت بالانزعاج، وهمست قائلاً: "بيرني؟ هل تتناول تيس جميع هذه العقاقير؟ أم بعضها فحسب؟".

قال: "إنها لم تخبرني، ولا يمكنني الوصول إلى أطبائها الملعين عبر الهاتف".

أمسكت بالعلب وبحثت عن أسماء الأطباء الذين أوصوا بها. في المجمل، كان هناك ٥ أطباء هم من وصفوا ١٢ عقاراً مختلفاً لـ تيس ألياً على مدار الأسابيع الستة الماضية.

قال والدها: "ماذا تعتقد؟".

قلت: "إن كانت تتعاطى نصف هذه العقاقير في الوقت نفسه، فمن الغريب أنها لم تظهر هذا السلوك المضطرب قبل اليوم".

قال بيرني في ألم: "يا إلهي! كنت أعرف هذا. لقد أخبرت صديقتي بأن هناك خطبًا ما. ولكن، يا إلهي... لم أحاول أن أفعل شيئًا".

قلت وأنا أربت ذراعي: "إن تيس امرأة بالغة. هل ستأتي معي؟ إنها ستحتاج للتحدث معك في مرحلة ما، ولكني أرجوك ألا تتفوه بكلمة واحدة حتى أخبرك بهذا، اتفقنا؟".

لم يعجبه هذا؛ فقال: "لقد سئمت من محاولة إقناع الناس بالعدول عن القفز من النوافذ".

قلت: "أعلم هذا يا بيرني. ولكن، يشبه الأمر إجراء جراحة لأحد أقاربك أو دفاع المرء عن نفسه أمام المحكمة. لا يكون الأمر محببًا أبدًا".

ظهر الاستياء على وجه والد تيس، ولكنه قال: "حسنًا، لن أتحدث حتى تسمح لي بهذا".

قلت: "هيّا نصعد إلى أعلى إذن".

الفصل 40

لم يُصدر الدرج المكسو بالسجاد أي صوت بينما كنا نصعد حتى وصلنا إلى قمته الضيقة. استدرت نحو اليمين وسرت حول الدرايزين متجهًا نحو غرفة نوم أليا. وقبل أن أتمكن من طرُق بابها، سمعتها تتحدث في الداخل.

قالت تيس في صوت هامس بدت عليه الحيرة: "فئران. أرى فئرانًا، هنا؟ صدقيني. لقد رأيتها... وسمعتها... تخمش الجدران... وسمعتها وهي تصرخ. أمي تصرخ. إنها دائمًا تصرخ". ثم بكت تيس بهدوء وقالت: "دائمًا تصرخ".

كان صوتها يبدو قريبًا من الباب، فرقدت على بطني ونظرت من تحت عقب الباب ورأيت خيالًا يدل على أنها تجلس على الأرض مستندة ظهرها إلى الباب. نهضت على قدمي وأخذت شهيقًا عميقًا، وطرقت الباب وقلت بصوت هادئ: "تيس؟".

قالت هامسة لدرجة أنني وجدت صعوبة في سماع ما تقول: "انصرف". قلت بصوت أعلى قليلًا: "أنا أليكس كروس. هل يمكن أن نتحدث معًا قليلًا؟".

صرخت تيس: "اصمت! أنا أعرف... حقوقي. لن أزور طبيبًا نفسيًا آخر. لا مزيد من الفئران تصرخ في خزانة ملابسني، مستحيل".

وقبل أن أتمكن من الرد عليها، قالت: "أليكس، أنت الفأر الأكبر. الفأر
الثرثار، أنت من بدأ كل هذا... أنت من وضع هذه الأفكار المريعة في رأس أبي.
يا ليتيس المسكينة! لقد جُنت تماماً، لنضعها في مصحة".

قلت: "لم أحضر لأدخلك مصحة".

صرخت تيس قائلة: "بل أتيت من أجل هذا".

قلت: "لم أت من أجل هذا. كل ما أريده هو التحدث معك".

لم أتلق أي رد لعدة ثوان، وصدر صرير من الباب عندما استندت إليه.
وسمعتها تغير من جلستها على الأرضية.

نظرت نحو والدها الذي وقف على قمة الدرج كأنه يسمع شخصاً يفرق.

قلت: "تيس؟ هل يمكننا أن نتحدث إذن؟ هل توافقين على ذلك؟".

قالت وقد عادت الحيرة إلى صوتها: "كما تريد. فقط كن لطيفاً وهادئاً.

أنا أسمعك".

صمت محاولاً التفكير فيما سأقول، محاولاً اكتشاف أفضل طريقة لحملها

على الخروج وتسليم...

ثم سمعت صوت تكة معروفة تماماً.

الفصل 41

شل الصوت تفكيرى. وكنت قد سمعت هذا الصوت من قبل آلاف المرات في حياتى، وربما أكثر، إنه صوت زناد المسدس عندما يوضع على وضع الإطلاق. قلت وأنا أتحرك برفق إلى جانب الباب بعيداً عن مجال إطلاق النار المحتمل: "تيس. هل معك مسدس؟".

قالت بصوتها المتحير: "أكره تلك الفئران الموجودة في خزانة ملابسى". نظرت نحو والدها وأشارت له بأن يلتزم الصمت: "هناك الكثيرون ممن يهتمهم أمرك يا تيس. ويريدون مساعدتك. أريد أن أدخل الغرفة لأساعدك. ووالدك هنا أيضاً".

قالت بصوت مرهق بدا كما لو كانت تغفو: "لا حاجة لذلك. اسأل أبى. إن تيس لا تتمتع بالصبر، ولن تنتظر مكافحي الحشرات ليتخلصوا منها". قلت: "هل تسدين إليّ معروفاً؟ هلا وضعت المسدس جانباً على الأقل؟". همست قائلة: "لا يا أليكس. ما الهدف من هذا؟".

قررت أن أستفزها قليلاً: "سألتك من قبل عما إذا كنت تتعاطين العقاقير دون استشارة الأطباء، وقلت إنك لا تفعلين. ولكن، أرانى والدك ١٢ نوعاً مختلفاً من العقاقير في مطبخك".

صمتت قليلاً ثم قالت: "إنها عقاقير قانونية وصفها لي أطباء معتمدون".

قلت: "ولكني أعتقد أن الأطباء الآخرين لا يعلمون شيئاً عن العقاقير الأخرى التي تتعاطونها. هناك الكثير من العقاقير في المطبخ - مضادات اكتئاب ومضادات دهان - التي تكون خطيرة إن تم تعاطيها معاً. ربما كنت تعانين تفاعلات خطيرة بين العقاقير، أحدها قد يتسبب لك في سكتة قلبية، أو دماغية، بل ربما تدمر مخك، وتمحو ذاكرتك على المدى الطويل".

قالت بصوت هامس ضعيف: "لم تتجح في ذلك... حتى الآن".

وانطلق المسدس.

أفزعتني الصوت بشدة لدرجة أنني قفزت للخلف قبل أن تتمكن مني مشاعر الرعب والذهول الشديد. لقد أطلقت تيس النار على نفسها. لقد ماتت، هناك على الجانب الآخر من الباب. شعرت كأن ساقي من هلام، وأمسكت الدرايزين بيدي شاعراً بأني سأتقيأ. وصرخ بيرني ألياً في جزع ويأس: "لا".

وتقدم بسرعة نحو الباب وبدأ يطرقه بعنف: "تيس، ردي عليّ. تيس، ردي عليّ الآن".

بعد لحظات الصمت التالية قلت: "بيرني؟".

التفت والد تيس نحوي وقال ثائراً: "اخرس أنت. لم يكن يجدر بي أن أتصل بك. لقد قتلتها، هذا ما فعلته يا كروس".

الجزء الثالث

محاكمة أليكس كروس

الفصل 42

بعد ٤ أسابيع...

بعدها دقت بمطرقتها مرتين، نظرت القاضية بريسيلا لارشن من خلف نظارتها السميقة ثم قالت بصوت أجش: "محاكمة أليكس كروس. ستنعقد الجلسة الآن. أيها الرقيب هولم، استدع هيئة المحلفين".
قال حاجب المحكمة: "كما تأمرين سيادة القاضية"، ثم خرج من قاعة المحكمة.

قالت ابنة أخي ناعومي: "أرجو أن نكون قد اخترنا هيئة المحلفين جيداً".
أومأت أنيتا مارلي برأسها في حزم وبدأت تراجع مرافقتها الافتتاحية دون أن تلتفت إلى الرجال الخمسة والنساء السبع الذين يقف مصيري بين أيديهم وهم يدخلون القاعة ويجلسون على مقاعدهم في ركن هيئة المحلفين. وقد استوعبت السبب. كانت أنيتا لا تزال غاضبة مني بسبب اختيار هيئة المحلفين. خلال الاستجواب التمهيدي - جلسة استجواب أعضاء هيئة المحلفين المحتملين من قبل جهة الادعاء وجهة الدفاع قبل اختيار هيئة المحلفين - اختلفنا حول اثنين من المحلفين: المحلف الخامس والحادي عشر. كان المحلف الخامس رجلاً في السبعينيات من عمره، وكان يبدو كأن هناك مشكلة في عموده الفقري. فقد كان الجزء العلوي من ظهره مقوساً ومعوجاً، وكان يسير

ببطء مستنداً إلى عكاز، وكان يضطر إلى إدارة كتفيه وقفصه الصدري بالكامل حتى يتمكن من رفع نظره إليك.

كذلك كانت ردود المحلف الخامس حادة، خاصة عندما يصف شكوكه العامة حول كل شيء في الحياة. كان الرجل مهندس كهرباء متقاعدًا، وقال إنه يقضي وقتًا كافيًا قبل اتخاذ أية قرارات، ويحاول أن يتقصى الحقائق قبل أن يتصرف، وكان ذا قناعات صارمة.

كانت أنيتا ترغب في صرف النظر عن المحلف الخامس لأن لديه صديقًا قُتل ابنه على يد أحد رجال شرطة بالتيمور، لكنه قال: "أنا لا أحمل ضغينة ضد رجال الشرطة. فمعلمهم صعب، ويمكنني أن أطبق القانون بنزاهة بناءً على هذا".

رفضت اعتراض أنيتا على المحلف الخامس وقلت لها إننا بحاجة إلى أشخاص متشككين بما يكفي لاستنباط الحقائق، ونزيهين بما يكفي للتعامل معها بنزاهة.

كانت المحلفة الحادية عشرة امرأة ضخمة، أنيقة وجميلة، ترتدي بذلة شانيل رمادية اللون، ذات شعر أحمر لامع، ولها ابتسامة واسعة، وضحكة مبهجة، ولكنة لطيفة تدل على أن أصولها من غرب تكساس. كانت تعمل في شركة علاقات عامة كبرى في العاصمة، وكانت صديقة للعديد من ضباط شرطة مبنى الكابيتول الأمريكي. كانت أنيتا ترغب في صرفها من هيئة المحلفين لأن أحد ضباط الشرطة ضرب أخاها بهراوة خلال أحداث شغب بأحد المهرجانات الموسيقية في أوسطن.

ولكن قالت المحلفة الحادية عشرة أيضًا إن أخاها "استحق أن يُضرب بالهراوة لأنه كان مخمورًا وفاقدًا لعقله، وبدأ الاعتداء على اثنين من ضباط الشرطة". ذكرت أنيتا بهذه الكلمات وقابلت رفضها بالرفض.

كنا متفقين على بقية المحلفين. فقد كانت هيئة المحلفين، في مجملها، تبدو شاملة لجميع الطبقات التي تسكن العاصمة. فإلى جانب المحلفين الخامس والحادية عشرة، كانت هناك امرأة نحيلة وعصبية، تعمل مساعدة في مجلس الشيوخ الأمريكي، وكانت غاضبة لأنه لم يتم قبول اعتذارها عن

المشاركة في الهيئة، ورجل بدين يعمل في كتابة الرسائل الإخبارية الضريبية، وموظف استقبال في إحدى الشركات الزراعية، وأم شابة من حي آدامز مورجان بدا أنها سعيدة بالمشاركة في هيئة المحلفين، وبدا كأنها ترى المشاركة مبرراً لكي ترتاح قليلاً من رعاية أبنائها، كما كان هناك ممرض يعمل في مركز جورج واشنطن الطبي، ومعلم متقاعد، ونادل بفندق فور سيزونز، واكمل عدد أعضاء الهيئة الاثني عشر بجدتين وقبطان بحري تجاري سابق - هؤلاء هم من سيقروا ما إذا كنت سأكمل حياتي كالمعتاد أم سأدخل السجن لفترة طويلة. عندما جلسوا، قالت القاضية لارش: "يمكنك التحدث يا سيد ويلز".

719 | مكتبة
سُرْ مَنْ قَرَأَ

الفصل 43

"شكرًا لك، سيدتي القاضية"، قالها مساعد المحامي العام الأمريكي ونهض واقفًا. كان ويلز قد أدخل قميصه في سرواله مبرزًا كرشه الضخم، وكان يبتسم في خجل، وانتقى نقطة تتوسط المسافة إلى منصة القاضي وتوقف عندها.

أخذ المدعي الفيدرالي شهيقًا، وصمت للحظة، ثم قال: "يعتمد بعض ضباط الشرطة في أمريكا أن نظامنا القضائي قد انتهى، ومن ثم يصابون باليأس، ثم يبدؤون باعتبار أنفسهم قضاة ومحلفين، وجلادين. هذه هي الحقيقة للأسف. أنا أعمل في وزارة العدل الأمريكية، ويمكنني أن أقول لكم إنه في كل قوة شرطة كبرى بهذه البلاد، هناك ضابط أو اثنان أو حتى مجموعة من الضباط يعتقدون أنهم فوق القانون".

ثم صمت ويلز ونظر نحوي وقال: "إن المتهم، أليكس كروس، يعد مثالًا حيًا على ضابط الشرطة الذي يعتقد أنه فوق القانون، ضابط الشرطة الذي يعتقد أنه وحده القادر على تحديد الشر وأنه وحده الذي يملك القدرة على إيقافه، حتى إن كان هذا يعني قتل شخص ما ليحقق مبتغاه".

أشار المدعي العام برأسه نحو أثنين كارلايل، مساعدته، فضغطت على زر في حاسبها، فظهرت صورتان على الشاشة المواجهة لهيئة المحلفين، واحدة لرجل والأخرى لامرأة.

قال ويلز: "كانت فيرجينيا وينسلو أمًا، تعمل في مجال اللحام، ونجت منذ أعوام طويلة من المعاملة السيئة في أثناء زواجها من جاري سونجي".
صاح شخص من الحاضرين في قاعة المحكمة: "فيرجينيا ضحية".
نظرت خلفي لأرى رجلاً ملتحيًا يقف في الممشى ويضرب قبضته في راحة يده الأخرى، ثم صاح: "وكذلك ليني ديجز".

طرقت القاضية لارش بمطرقتها وقالت: "أيها الحاجب، أخرج هذا الرجل من قاعتي. لقد قلت إنني لن أتهاون مع أي خروج على النظام، وأنا أعني ما قلت".

صاح الرجل: "لقد ظلم الاثنان، وقتلا على يد كبير المستبدين أليكس كروس".

أمسك اثنان من الحراس بالرجل الذي لم يبد أية مقاومة، ولم يقل أي شيء بينما كانا يقتادانه خارج القاعة. وأظن أنه اكتفى بالرسالة التي أوصلها.
قالت القاضية لارش: "ستجاهل هيئة المحلفين تلك الكلمات المندفعة. سيد ويلز، اختصر المرافعة، فلا يزال أمامنا الكثير لتغطيته".

قال المدعي العام وهو يسير مقتربًا من مقصورة هيئة المحلفين: "كما تأمرين سيدتي القاضية. أيها السادة والسيدات، من المهم لكم أن تعرفوا أمرًا واحدًا عن فيرجينيا وينسلو: لقد كانت مريضة، وكانت قد سئمت من ملاحقة جهات إنفاذ القانون لها فقط لأنها تزوجت دون علمها من مجرم خطير.

لقد غيرت فيرجينيا لقبها بعدما طلقت من جاري سونجي، إلا أن ضباط الشرطة لم يتوقفوا عن ملاحقتها، فغيرت محل إقامتها، ولكنهم عثروا عليها. ثم حاولت أن تخفي ابنها المراهق، ديلان، بعيدًا عن إرث أبيه المريع، ولكن أليكس كروس، المتهم في هذه القضية، عمل جاهدًا وبكل قسوة من أجل تغيير كل هذا؛ فقد بدأ يبحث عن الصبي وأخبره بأدق التفاصيل عما اقترفه والده وجعل الصبي يشعر بأنه يجب أن يتحمل وزر والده".

التفت ويلز لينظر نحوي وقال: "لقد جعله أليكس كروس يشعر بهذا لأن أليكس كروس يعتبر ابن جاري سونجي وزوجته السابقة، وكل من كان على

علاقة بالقاتل الراحل شريكاً في جرائمه. إن أليكس كروس مهووس بـ جاري سونجي، ويكره كل ما يمت إليه بصلة لدرجة أنه قرر أن يصبح فوق القانون، وقرر أن أتباع سونجي يجب أن يموتوا، وأن يُمحوا من على وجه الأرض، فقتلهم جميعاً".

صمت ويلز ونظر حوله. ثم سمعت علياً يهمس قائلاً: "إنه يكذب، أليس كذلك يا دايمون؟ إن هذا الرجل يقف ليقول الأكاذيب عن أبي. كيف يتسنى لأحد أن يفعل ذلك؟".

قال دايمون: "اصمت. سيحين دورنا".

تابع مساعد المحامي العام الأمريكي مرافعته قائلاً: "ستثبت الأدلة أن المحقق كروس استخدم أسلوب التهيب ليجبر أحد معجبي جاري سونجي على أن يصحبه للقاء زعيم المجموعة المعجبة بالقاتل الراحل. لقد انتهك أليكس كروس النظم المتبعة في الشرطة؛ فذهب وحده، دون دعم؛ ودخل بقدمه ما تبين فيما بعد أنه فخ أعدّه أشخاص يرتدون أفتحة وملابس جعلتهم يشبهون جاري سونجي، وكانت جميعها جزءاً من مشهد صُمم لاستفزاز ردة فعل من المحقق كروس".

أردف ويلز في حزن: "ولكنهم حصلوا على ردة فعل لم يتوقعوها على الإطلاق. لقد أطلق أليكس كروس النار على ثلاثة منهم بدم بارد، فماتت فيرجينيا وينسلو أولاً، ثم أطلق كروس النار على حامل الكاميرا ليونارد ديجز فقتله، ثم حاول أن يقتل كلود واتكنز. نجا واتكنز من الموت لكنه أصيب بالشلل وسيقضي ما تبقى من عمره في كرسي متحرك. والآن، ستسمعون الدفاع يحاول أن يؤكد أن الضحايا الثلاث كانوا مسلحين وكانوا يهددون حياة المحقق عندما أطلق عليهم النار. وهذا تصريح زائف، وستثبت الأدلة هذا".

وضع ممثل الادعاء يده على حاجز منصة هيئة المحلفين، ونظر إلى كل من أعضائها الواحد تلو الآخر.

وقال ويلز: "لقد أصبح الدكتور كروس وغيره من رجال الشرطة المتمردين في أنحاء البلاد فوق القانون، وأفلتوا بجرائم القتل التي ارتكبوها دون عقاب

المررة تلو الأخرى. ألم يحن الوقت بعد لكي نقول، كأمة، وكشعب: "توقفوا، هذا يكفي. لا مزيد من القتل بأيدي ضباط الشرطة؟".

صمت ويلز ليعطي تأثيراً درامياً على كلماته، ثم قال بصوت جهوري غاضب: "أنا أطلب منكم، أيها السادة والسيدات أعضاء هيئة المحلفين، أن تنظروا إلى الأدلة. وأطلب منكم أن تقولوا: كفى، أطلب منكم أن تقولوا: هذا يكفي يا أليكس كروس. ربما كنت محققاً عظيماً، وربما حللت الكثير من القضايا، ولكنك لن تقتل أحداً بكل تجاهل لنظامنا القضائي مرة أخرى. ستم محاكمتك بناءً على الحقائق في قاعة المحكمة، وستثبت إدانتك وستُعاقب على ما اقترفته يداك".

الفصل 44

عندما جلس ويلز، طرقت القاضية لارش بمطرقتها معلنة فترة راحة لعشر دقائق، وغادرت منصتها مسرعة.

نظرت نحو منصة المحلفين ووجدت المحلفين الخامس والحادية عشرة ينظران نحوي كما لو كنت كائناً حقيراً.

قالت أنيتا مارلي: "لقد سار الأمر على ما يرام".

قلت: "إن كان هذا قد سار على ما يرام، فلست أدري ما هي فكرتك عن المرافعة التي تجلب حكم الإعدام".

قالت ناعومي: "التقط أنفاسك يا عمي أليكس. لم يكن الأمر بهذا القدر من السوء".

قلت: "لقد كانت الإدانة واضحة للغاية".

قالت أنيتا: "كلا، إن ناعومي محقة. ألم تلاحظ أنه لم يذكر أيّاً من الحقائق التي تدينك؟ إن لديهم بعضها، ولكنها ليست كافية. لو كانوا يملكون ما يكفي من الأدلة، لذكروها؛ ولهذا السبب، يحاول ممثلو الادعاء الحصول على رأي عام قومي لقضاياهم. خلاصة الأمر أنهم لا يملكون ما يكفي لدخول المحاكمة بناءً على الأدلة المتوافرة".

قبل أن أتمكن من الرد، سمعت من يناديني: "أليكس".

نظرت نحو مصدر الصوت ورأيت بري تقف بجوار الحاجز، فلوحت بها تفهما المحمول وقالت: "أنا مضطرة للانصراف".

سرت نحوها وعانقتها قائلاً: "شكراً لك على حضورك".
 قالت وهي تطبع قبلة على وجنتي: "كنت أود أن أبقى معك حتى النهاية".
 قلت: "أعلم هذا، ولكن عودي إلى عملك؛ فمعي أشخاص صالحون يقاتلون من أجلي".

مسحت بري دمعة انسالت على وجهها، عندما افترقنا وأومأت برأسها وغادرت القاعة بعدما لوحت باقتضاب لكل من نانا ماما ودايمون وعلي. غمزت إلى ابني وجدتي، فغمز لي علي، وابتسم دايمون في حزن، أما نانا ماما فأومأت برأسها دون تعبير وبدأت تنظر إلى ساعة يد صغيرة تمسك بها.
 صاح حاجب المحكمة: "ليقف الجميع".
 عادت القاضية لارش إلى منصتها داخل القاعة.

كنت بعيداً للغاية عن منصتها، ولكنني شممت منها رائحة سجائر مارلبورو. كانت لارش تحاول الامتناع عن التدخين منذ فترة طويلة، ولكنها لم تفلح مطلقاً، الأمر الذي أسهم في زيادة قسوتها على منصة القضاء. على الأقل، هذا ما أخبرني بها مساعدتها ذات مرة.

قالت القاضية لارش: "آنسة مارلي، يمكنك الحديث". ووضعت قطعة من حلوى النعناع في فمها.

نظرت محامية الدفاع نحوي وابتسمت، ثم وضعت يدها على كتفي، ووقفت دون أن ترفع يدها عن كتفي، وحدقت إلى هيئة المحلفين.
 قالت أنيتا: "ليس هذا الرجل"، ثم سكتت لبضع لحظات.

وأخيراً أردفت: "هذا الرجل ليس المخلوق الذي وصفه السيد ويلز للتو. هذا الرجل الصالح هو أليكس كروس، ودعوني أخبركم ببعض الحقائق عن الدكتور كروس، الحقائق التي لا يمكن إنكارها أو تحريفها لكي تكون أي شيء عدا الحقيقة".

تحركت من جانبي وهي تقول: "لقد حصل أليكس كروس على منحة دراسية من جامعة جونز هوبكنز، تخرج فيها مع مرتبة الشرف، ثم حصل على درجة

الدكتوراه منها في علم النفس الجنائي، وعمل طوال ٧ سنوات في وحدة العلوم السلوكية التابعة للمباحث الفيدرالية، وهي تضم أشخاصاً يتوصلون إلى القتلة والسفاحين عن طريق تحديد أنماطهم الشخصية، ثم بدأ العمل محققاً في جرائم القتل بشرطة العاصمة لأكثر من ١٥ عاماً.

طوال الفترة التي قضاها في العمل مع المباحث الفيدرالية وشرطة العاصمة، كان يُشهد دومًا للدكتور كروس، من بين أمور أخرى، بشجاعته وبسالته في الدفاع عن زملائه من ضباط الشرطة، والقبض على المفجرين، وإنقاذ ضحايا الاختطاف، والقبض على القتلة والسفاحين، وكشف مؤامرة إرهابية لتفجير محطة يونيون. هل ذكرت لكم أن الإشادة الأخيرة قد تلقاها من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية شخصياً؟ نعم، هذا ما حدث".

الفصل 45

أدار المحلف الخامس عنقه وكتفيه لينظر نحوي، وبدأت المحلفة الحادية عشرة منبهرة بما يكفي لتدون شيئاً ما في مفكرتها.

قالت أنيتا مارلي وهي تعود لتقف إلى جوارِي: "للأسف، هذا هو سبب ضغط مكتب المحامي العام الأمريكي على هذه القضية. كما ترون، مع انتشار حالات إطلاق الشرطة النار على المواطنين في أنحاء البلاد، تحتاج وزارة العدل إلى كبش فداء بارز ليضحوا به كوسيلة لإظهار الحكومة أمام الجماهير الغاضبة كأنها تحاول حل مشكلة عنف الشرطة".

وضعت يدها مرة أخرى على كتفي وقالت: "ولكن، أيها السادة والسيدات أعضاء هيئة المحلفين، أرجو منكم ألا تلتفتوا لمخططات الحكومة لأن الحقائق في هذه القضية تصب في صالح هذا الرجل الشجاع، وتؤكد بعيداً عن أي شك، براءته. دعوني أذكرها لكم".

بدأت أنيتا تقص على هيئة المحلفين ملخصاً للأحداث التي قادتني إلى إطلاق النار على أتباع جاري سونجي دفاعاً عن نفسي، بدايةً بإخبارهم عن سونجي نفسه، والطائفة العنيفة التي تكونت حول أسطورة المختطف والمفجر الراحل.

قالت أنيتا: "كانت الطائفة تستهدف المحققين الذين ألقوا القبض على جاري سونجي؛ فاستهدفوا المحقق جون سامبسون، كما استهدفوا أليكس كروس، وأرسلوا رسائل تهديد بالقتل إلى الدكتور كروس وأسرته".

ثم شرحت لهيئة المحلفين كيف توصل القسم السيبراني التابع للمباحث الفيدرالية إلى سيدة تُدعى كيميكو بينكس والتي أنشأت بشكل سري موقعًا إلكترونيًا مكرسًا للطائفة، وأظهرت السجلات أن هناك شريكًا ل بينكس في الموقع الإلكتروني يُدعى كلود واتكنز، والذي عندما كان في السادسة عشرة من عمره، تمت محاكمته كبالغ وأدين بسلخ جلد أصابع فتاة صغيرة.

قالت أنيتا: "أخبرت الأنسة بينكس الدكتور كروس بأنها قادرة على اصطحابه للقاء واتكنز، الذي كان قد أنهى فترة سجنه وأصبح فنانًا ناجحًا. واصطحبت الأنسة بينكس الدكتور كروس إلى مصنع مهجور حيث كان ينتظره واتكنز ومجموعة من أتباعه، وكانوا متكرين جميعهم في هيئة سونجي، مستخدمين أقنعة شبيهة بتلك المستخدمة في صناعة السينما بهوليوود".

ثم أومأت نحو ناغومي التي ضغطت على زر في حاسبها المحمول، فظهرت على شاشة قاعة المحكمة صورة قديمة من سجلات المجرمين لوجه جاري سونجي وبجوارها صورة من مسرح الحادث لأحد الأقنعة.

قالت أنيتا: "كان هناك ثلاثة من أعضاء الطائفة الذين يرتدون مثل هذه الأقنعة وكانوا يحملون أسلحة مطلية بالنيكل واستخدموها لتهديد المحقق كروس، الذي كان يؤدي مهمته كضابط شرطة. وحذرهم الدكتور كروس من عواقب ما يفعلونه، ثم اضطر للدفاع عن نفسه.

"عندما غادر مسرح الحادث ليلتقي سيارات الشرطة والإسعاف التي استدعاها إني المصنع، أخفى شخص ما المسدسات الثلاثة. ويعتقد الدفاع أن أحد أعضاء الطائفة فعل هذا من أجل تليفيق تهمة القتل للدكتور كروس، وإظهاره كأنه رجل شرطة آخر لم يعد يتقيد بالقانون".

صمتت أنيتا للحظات، ثم قالت في غضب: "على مكتب المحامي العام الأمريكي أن يخجل من استغلال قصة يدرك الجميع أنها ملفقة، وعلى وزارة العدل أيضًا أن تخجل. إنهم لم يهتموا بسجل أليكس كروس الحافل بالإنجازات مع المباحث الفيدرالية، ولم يهتموا بكل الأعمال العظيمة التي حققها مرارًا وتكرارًا على مدار مسيرته المهنية. كل ما يريدونه هو كبش فداء بارز، وكان الدكتور كروس يتوافق تمامًا مع حاجتهم".

اتجهت نحوي مرة أخرى ووضعت يدها على كتفي وقالت بنبرة صوت أكثر غضبًا: "ولكنني أخبركم، أيها السادة والسيدات أعضاء هيئة المحلفين: ليس أليكس كروس. ليس هذا الرجل الصالح. لن يكون هذا الرجل كبش فداء لأحد. إن سمعة هذا الرجل الصالح كأحد أفضل المحققين في البلاد لن تتمرغ في الوحل، ولن تُدمر مسيرة الدكتور كروس المهنية الرائعة، ولن يدخل أية زنزانة في أي سجن؛ لأن هذا الرجل الصالح بريء من التهم المنسوبة إليه".

الفصل 46

أعلنت بريسيلا لارش توقف المحاكمة من أجل راحة الغداء بعدما انتهت أنيتا مارلي من مرافعتها الافتتاحية، وبدأ من لفة جسد كل من المحلفين الخامس والحادية عشرة في أثناء مغادرتهما المحكمة أن ملاحظات محاميتي عادلتي تأثير مرافعة ممثل الادعاء.

رأت نانا ماما أيضاً أن خطبة أنيتا كانت قوية، إلا أن جدتي شعرت بالتعب بعد ذلك الصباح المثير للتوتر وقالت إنها ستعود للمنزل لتتعم بالقيولة. حثت أبنائي على الذهاب معها، ولكن رفض الصبيان ذلك، وقررت جيني أن تذهب مع الجدة وتذاكر قليلاً ثم تذهب إلى تمرينها.

خرج دايمون وعلي لتناول الغداء، وتناولت، بصحبة أنيتا وناعومي، طعاماً صينياً بغرفة الاجتماعات في نهاية الرواق المؤدي إلى قاعة المحكمة، حيث راجعنا شهادات العديد من الشهود الذين يمتلكون مشاعر عدائية تجاهي.

كان مساعد المحامي العام ويلز يشتهر بعدم تراجعه أبداً خلال المحاكمات، وكان يحب دوماً أن يهاجم بكل ما يملك من قوة مستخدماً أقوى الأدلة التي يمتلكها من أجل ترك انطباع قوي لدى هيئة المحلفين، وكنا نستعد لمعركة قضائية حامية الوطيس خلال فترة ما بعد الظهر.

ولم نكن نعلم مدى صعوبة تلك المعركة.

بدأ ممثل الادعاء مرافعته، بعد انتهاء راحة الغداء، باستدعاء المحقق هاري تشان من قسم شرطة العاصمة، أول محقق وصل إلى المصنع بعد حادثة إطلاق النار. كان اثنان من رجال شرطة الدوريات قد وصلا إلى المصنع بسيارتهما قبل تشان بخمس دقائق، ولكني منعهما من دخول المصنع منتظراً وصول المحققين ورجال المعمل الجنائي.

قال تشان: "لقد أراد أن يحافظ على نظافة مسرح الحادث من أية تدخلات قدر الإمكان".

سأله ويلز: "هل يمكنك أن تصف المتهم عندما رأيته للمرة الأولى في ذلك اليوم؟"

قال تشان: "كان متحمساً، ويتحدث بسرعة، وكان متعرقاً ويسرع الخطى، وكان يشكو من شعور بالدوار والصداع".

قال ويلز: "وماذا حدث بعد ذلك؟"

قال تشان: "وصلت سيارات الإسعاف ورئيسة الشرطة ستون، وأمرت بإبعاد الدكتور كروس، زوجها، عن مسرح الحادث، وصحبته إلى منزلهما دون أن تمنحني الفرصة لاستجوابه. دخلت المصنع بصحبة المسعفين وشريكتي لورين ماجي. وعندما وصلنا إلى جثة الضحية الأولى، فيرجينيا وينسلو، كانت قد ماتت بسبب طلق ناري أصيبت به، وكان الضحية الثانية، ليونارد ديجز، يحتضر، أما الضحية الثالثة، كلود واتكنز، فكان أكثر إدراكاً لما حوله لكنه كان مصاباً بإصابة خطيرة. ثم مات ديجز وهو في طريقه إلى المستشفى".

صمت ممثل الادعاء كما لو كان يفكر في الأمر ثم قال: "هل رأيت أية مسدسات مصقولة بالنيكل في أيدي أو حول أي من الضحايا الثلاث؟"

قال تشان: "لا".

"وهل عثر المتخصصون في فحص مسرح الجريمة على أية مسدسات مخبأة داخل المصنع؟"

قال تشان: "لا".

"هل وجدت أية آثار أقدام حول الضحايا؟"

"الكثير منها. فقد كان واتكنز والكثير من أتباعه يعيشون في هذا المكان منذ فترة".

"هل عثرتم على أية أدلة حاسمة؟".

"لا، لم نفعل".

"هل عثرتم على آثار بارود على أيدي أي من الضحايا؟".

"لا".

قال ممثل الادعاء مخاطباً أنيتا مارلي: "يمكنك سؤال الشاهد".

ابتسمت أنيتا ونهضت من مقعدها وقالت: "أخبرني أيها المحقق تشان، هل

دخلت من قبل في معركة بالأسلحة النارية مع ٣ من المعتدين؟".

قال تشان: "كلا".

قالت أنيتا: "ولكن، من منطلق سنوات خبرتك العديدة، هل من المعقول أن

نقول إن الدكتور كروس، بعدما نجا من هذا الموقف العصيب، سيكون متوتراً

ومتربحاً ويتحدث بسرعة ويسرع الخطى بسبب طاقته العصبية، بل ربما يصاب

بالصداع والدوار بسبب إطلاق النار؟".

قال تشان: "أعتقد أنه من المنطقي أيضاً أن نقول إن الدكتور كروس أطلق

النار على ٣ أشخاص لغرض في نفسه، وكان يتصرف بهذه الطريقة لأنه كان

يحاول معرفة ما إذا كان قد أتم المهمة بشكل صحيح بما يكفي لخداعي".

بدا الضيق على وجه أنيتا وقالت: "أعترض سيدتي القاضية. هلا أمرت

المحكمة الشاهد بالإجابة عن سؤالتي؟".

قالت لارش: "لقد طرح السؤال وأجاب الشاهد أيتها المحامية. الاعتراض

مرفوض".

قالت محاميتي وهي تجلس في مقعدها: "يرغب الدفاع في الاحتفاظ بحقه

في إعادة استدعاء المحقق تشان في وقت لاحق".

قال ويلز: "تستدعي حكومة الولايات المتحدة الأمريكية نورمان نيكسون إلى

منصة الشهادة".

غمغمت ناعومي هامسة: "يا إلهي! إنهم لا يدخرون وسعاً لإدانتك".

الفصل 47

كان نورمان نيكسون رجلاً ودوداً في الخمسينيات من عمره، وكان مهندس المظهر ببشرته النظيفة وشعره الفضي الناعم، وتعبيرات وجهه التي تنم عن الكفاءة والصراحة. كان يرتدي حلة كاكية اللون وربطة عنق زرقاء، وكان يحمل ملفاً من الأوراق وضعه على منصة الشاهد.

بعدما ردد نيكسون القسم، أكد ويلز كفاءة الشاهد بكونه خبيراً في حوادث إطلاق النار من قبل الشرطة. كان نيكسون ضابط شرطة من شيكاغو حصل على الكثير من الأوسمة قبل أن يلتحق بصفوف المباحث الفيدرالية، حيث عمل محققاً في قسم الحقوق المدنية، وكان أحد المشاركين في تحقيق الحكومة الأمريكية بحالات القتل التي ارتكبتها الشرطة. وعندما تقاعد من العمل في المباحث الفيدرالية، واصل نيكسون دراسته للعوامل التي تسهم في قتل رجال الشرطة للمواطنين.

قال نيكسون: "أحياناً يكون الضابط عنصرياً، وأحياناً يكون مرهقاً من الضغط اليومي المتواصل لوظيفته، ويعتاد الشعور بأنه عرضة للخطر، وفي أحيان أخرى، أكثر مما قد تعتقدون، يطلق الضابط النار على الناس لأنه يعتقد أنه فوق القانون".

نظر ويلز نحو هيئة المحلفين وقال: "في رأيك يا سيد نيكسون، هل تعتقد أن أليكس كروس يطابق نمط شخصية ضابط الشرطة الذي يعتقد أنه فوق القانون؟".

قالت أنيتا: "أعترض - سؤال جدلي".

ردت القاضية لارش: "اعتراض مرفوض. أجب عن السؤال يا سيد نيكسون".
قال نيكسون: "نعم، تنطبق عليه هذه الأنماط. في واقع الأمر، إنه يُعد أفضل مثال على هذه الظاهرة".

قال ويلز: "أفضل مثال. ماذا تعني؟"

قال نيكسون وهو ينظر نحوي مباشرة: "أعني أنني قد درست شخصيته باستفاضة، ودرست كل حادث إطلاق نار تورط فيه الدكتور كروس".

قال ممثل الادعاء: "مهلاً. هل تورط الدكتور كروس في حوادث إطلاق نار غير الضحايا الثلاث المعنيين هنا؟".

قفزت أنيتا واقفة وقالت: "أعترض، لا صلة للسؤال بالمحاكمة".

قال ويلز: "إننا نحاول أن نمح هيئة المحلفين السياق الذي حدثت فيه حالات إطلاق النار على الأشخاص الثلاثة".

قالت القاضية لارش: "اعتراض مرفوض".

قالت أنيتا: "سيدتي القاضية".

ردت القاضية لارش: "اعتراض مرفوض".

قال ويلز: "هل كان أليكس كروس متورطاً في حوادث إطلاق نار قبل إطلاق النار على الضحايا الثلاث؟".

قال نيكسون: "نعم".

قال ويلز: "كم عدد المرات التي يستخدم فيها ضابط الشرطة العادي مسدسه خلال الخدمة على مدار مسيرته المهنية؟".

قال نيكسون: "صفر. أغلب ضباط الشرطة لا يستخدمون سلاحهم الناري خلال خدمتهم كاملة".

قال ويلز: "صفر؟ وكم عدد مرات استخدام الدكتور كروس لسلاحه على مدار خدمته في المباحث الفيدرالية وقسم شرطة العاصمة؟".

عدل الشاهد جلسته في مقعده وقال: "ليست لدي جميع السجلات، فبعضها سري. ولكن عبر الوثائق العامة التي اطلعت عليها، استخدم أليكس كروس مسدسه ٣١ مرة على الأقل".

طرفت بعيني، وشعرت بمعدتي تتقلص، وكانت هناك ردة فعل أكثر صخباً من الحضور، ما أدى إلى استخدام القاضية لارش مطرقتها وهي تقول: "نظام".

تبيّنتُ من تعبيرات وجهي المحلفين الخامس والحادية عشرة أنهما انقلبا ضدي مجدداً. ولا عجب في هذا، فقد صدمني العدد متلما صدمهما تماماً.
 ٢١ مرة. هل هذا صحيح؟ وهل أطلقت النار أكثر من ذلك؟ لقد قال على الأقل، أليس كذلك؟

قال ويلز: "هل يمكنك أن تقسم لنا عدد مرات إطلاق النار بالمزيد من التفصيل؟".

أوما نيكسون برأسه وقال: "تقول السجلات التي قرأتها إن الدكتور كروس أخطأ الهدف ١٤ مرة، وجرح شخصاً ما ٨ مرات".

قال ويلز: "وماذا عن المرات التسع المتبقية حين سحب الدكتور كروس سلاحه ليستخدمه؟".

قال نيكسون: "كانت إصاباته مثالية؛ فقد لقي جميع ضحاياه مصرعهم".

الفصل 48

مع انتهاء اليوم الأول من المحاكمة، شعرت كأنني فخذ الضأن التي كان الملاكم روكي بالبووا يستخدمها ككيس للملاكمة.

فعلى مدار ٣ ساعات كاملة، ظل ويلز ونيكسون يعرضان بلا هوادة الحقائق المرتبطة بحوادث إطلاق النار التسع التي أفضت إلى موت الضحايا، والتي يدعون أنها تدل على كوني ضابط شرطة يعتقد أنه فوق القانون.

قلت بعدما انتهت جلسة المحكمة في المساء: "لقد كدت أصدق ما يقولونه عني". كنا قد ذهبنا إلى قاعة الاجتماعات من أجل تقييم الوضع قبل العودة إلى منازلنا.

قالت أنيتا: "يجب ألا تصدق ما يقولونه بالطبع".

أومأت ناعومي برأسها وقالت: "إنها محقة. إن ثقتك ببراءتك يجب أن تظهر على لغة جسدك. ستلاحظ هيئة المحلفين أقل بادرة شك عليك".

وضعت محاميتي يدها على ذراعي وقالت: "هذا هو أسلوب ناثن ويلز المعتاد، حسب ما رأيت حتى الآن، وما زال لدينا العديد من الأوراق في جعبتنا. عد إلى منزلك يا أليكس، واقض الوقت مع أسرته، ولا تشاهد الأخبار، وسنرى ما سيحدث صباح الغد".

أومأت برأسي وقلت: "سوف يقابلني سامبسون في المرآب".

قالت ناعومي: "رائع. هل فكرت في طلب المقابلة الذي وصلك من جايل كينج؟".

قلت: "لا أرى أية فائدة منه".

قالت ابنة أخي: "الفائدة منه أن توصل جانبك من القصة إلى الرأي العام في البلاد، وأن تواجه جميع الأمور المشينة التي يقولها الناس عنك".
قلت وأنا أغادر الغرفة: "سأفكر في الأمر".

كان سامبسون في انتظاري في سيارته الجراند شيروكي بالمرآب.
سألني بعدما ركبت السيارة وأغلقت بابها: "كيف سار الأمر؟"
قلت: "أفضل قليلاً من محاكم التفتيش الإسبانية".

قال: "اللجنة! وأنا الذي كنت أتمنى أن تعود أساليب التعذيب القديمة إلى نظامنا القضائي".

نظرت نحوه، فوجدته يبتسم، فضحكت قائلاً: "نعم، فهمت دعايتك. أعتقد أن الأمر ربما كان ليصبح أسوأ، ولكنني لا أعرف كيف".
انطلقنا بالسيارة مغادرين مرآب المحكمة، ومررنا بالمراسلين الصحفيين الذين ينتظرون أن أخرج من المبنى، وتوجهنا نحو المنزل.

قال سامبسون: "هل هناك ما يمكنني أن أفعله من أجلك؟".

قلت: "ليس إلا قدرتك على تسريع نتائج المعمل الجنائي أكثر من بري".
نظر نحوي متحيراً.

قلت: "هناك بعض من عينات اللعاب التي تريد أنيتا الحصول على نتائجها، والتي قد تفيدني".

قال: "وبماذا ستفيدك؟".

قلت: "لا يمكنني التحدث عن هذا الأمر".

قال: "أفهم هذا"، إلا أن نبرة صوته دلت على أنه لم يفعل، وخيّم صمت ثقيل بيننا لما تبقى من الطريق نحو المنزل.

أوقف سامبسون السيارة في شارعي، على مسافة من المراسلين الصحفيين المخيمين أمام منزلي وقال: "أرى أنه من الأفضل أن تسلك الزقاق الخلفي للوصول إلى منزلك".

قلت: "سيكون هذا أسهل. شكرًا لكونك صديقًا مخلصًا، يا جون".

صمت للحظة ثم أومأ برأسه قائلاً: "لديّ قدوة عظيمة في ذلك".

ثم انطلق بسيارته مبتعداً. معرفتي بأن سامبسون لا يزال يدعمني، قد أمدتني بإحساس من الرضا بينما كنت أسير في الزقاق الممتد خلف شارعي، والأفضل هو أنني شممت رائحة الثوم والريحان بينما كنت أعبر بوابة حديقتي الخلفية، وأتسلل إلى داخل المنزل من الباب الجانبي.

كان علي وجيني يجلسان في غرفة المعيشة الكبيرة يشاهدان أخبار المساء على محطة (إن بي سي) التي يذيعها ليستر هولت عندما دخلت. قال علي وهو يسرع نحوي ليعانقني: "أبي".

تحاشت جيني النظر في عيني. كانت حافية القدمين ولكن لا تزال ترتدي ملابس التدريب، وتحقق إلى شاشة التليفزيون. ألقى ليستر هولت ملخصاً عن آخر مآزق يتعلق بميزانية البلاد في مجلس الشيوخ، ثم توجه وجهه وقال: "٣١ مرة".

ومن خلفه، ظهر ظل لرجل ممسك بمسدس، ومن تحت الظل ظهرت عبارة تقول: "هل أصبحت الشرطة سيئة؟".

قال هولت: "بدأت اليوم في العاصمة واشنطن محاكمة المحقق الشهير أليكس كروس، ومن بين ما تحدث عنه ممثل الادعاء المناقشة التي طالما احتاج إليها الرأي العام الأمريكي عن فساد الشرطة وعنفها وشعورها بأنها فوق القانون".

ثم ظهرت على الشاشة صورة لي مع أنيتا ونحن ندخل سراي المحكمة صباح اليوم، وفي الخلفية سُمع صوت هولت يقول: "بعد المرافعات الافتتاحية، استدعى ممثل الادعاء الشاهد الرئيسي نورمان نيكسون الذي ألقى على الفور الكثير من المفاجآت والاتهامات، ومن بينها الأخبار المذهلة عن أن المحقق كروس قد أطلق النار ٣١ مرة على الأقل قبل الحادثة التي يُحاكم بسببها، في حين لا يستخدم ضابط الشرطة العادي سلاحه على الإطلاق خلال فترة خدمته بالكامل. وقبل حادثتي القتل التي يُحاكم كروس بسببها حالياً، أطلق كروس النار ٣١ مرة وقتل تسعة أشخاص".

ثم انتقل المشهد إلى امرأة ذات شعر مجعد، تبين أنها أستاذة في علم الاجتماع تجلس أمام جدار مقدس بالكتب وتقول: "٣١ مرة؟ وقتل ٩ أشخاص قبل هذين الشخصين؟ معذرة، ولكنني أرى أنه من نوعية الضباط الذين يطلقون النار أولاً ثم يطرحون الأسئلة فيما بعد".

الفصل 49

قلت: "أطفئي التلفاز".

ولكن جين لم تتحرك من مكانها.

فقال علي وهو يتجه نحوها ويمسك بجهاز التحكم عن بعد: "جيني".

قالت جيني: "لا تفعل، أريد أن أعرف مدى سوء الأمور".

ضغط علي على زر الإطفاء فأظلمت الشاشة، فنظرت جيني نحوه بغضب ثم

نحوي، ثم قفزت من مقعدها وغادرت الغرفة.

قال علي: "ماذا أصابها؟".

نظرت نحو جيني وهي تندفع بغضب إلى داخل المطبخ، وظهرت جدتي من

خلف الطاولة.

قلت: "سأسألها"، ثم توجهت نحو المطبخ حيث كانت نانا ماما تعد طعام

العشاء.

قالت جدتي وهي تربت ظهري: "تماسك. ستظهر الحقيقة يا بني. إنها

دائمًا ما تظهر في النهاية".

قلت: "أعرف هذا"، ولكن لم يكن صوتي مقنعًا.

عانقتني نانا ماما. كان من العجيب بالنسبة لي أن تلك المرأة الضئيلة

العجوز لا تزال تشع بهذا القدر الكبير من الطاقة الإيجابية.

قالت نانا ماما وهي تدلك ظهري: "لا تدعهم ينالون منك. عندما يسمعون روايتك لما حدث، سيفني ليستر الغبي وتشاك المحتال أغنية مختلفة".
ضحكت ونظرت نحوها قائلاً: "من يكون ليستر الغبي وتشاك المحتال؟".
قالت: "هذا ما ألقب به مذيع نشرة الأخبار ليستر هولت، وذلك المراسل السياسي تشاك دوت".

قلت: "ولكن ليستر هولت ليس غيباً".

قالت نانا ماما: "وتشاك دوت ليس محتالاً، ولكني أطلق عليهما هذين اللقبين عندما تكون الأخبار مقبضة، ما يمنحني سبباً معقولاً للابتسام".
نظرت في عيني جدتي فرأيت الثقة والخوف في وقت واحد.
قلت وأنا ألمس وجنتها بيدي: "يا لك من امرأة عجوز غامضة!".
قالت وهي تبتعد عني: "أمل هذا. سيكون العشاء جاهزاً بعد ربع ساعة".
قلت: "ماذا لدينا على العشاء؟".

قالت: "دجاج مشوي بخلطة الأعشاب السرية الخاصة بي. هيا، اذهب لتستحم. لقد أرسلت لي بري رسالة نصية تقول إنها ستصل إلى المنزل في أية لحظة".

كنت على وشك صعود الدرج إلى الطابق العلوي عندما دخلت بري من باب المنزل. كان الإجهاد يبدو عليها؛ حيث خفضت عينيها نحو الأرض مترددة قبل أن تلقي بنفسها بين ذراعي.

قالت: "آسفة لأنني لم أكن بجوارك. إنني زوجة سيئة".

قلت: "اهدئي. ٣١ مرة، لم أكن أعلم هذا".

رفعت بري رأسها لتنظر في عيني في فضول وقالت: "وماذا عن القتل التسعة والجرحى الثمانية؟".

قلت: "أنا أتذكر كل ما حدث مع كل منهم. لا يمكن للمرء أن ينسى أموراً مثل هذه، أبداً. حتى إن كان إطلاق النار مبرراً من الناحية القانونية".

نظرت نحوي متفحصة، واغرورقت عيناها بالدموع وعانقتني بقوة.

وقالت بصوت مبحوح: "يا إلهي، إنهم يريدون تمزيقك إرباً".

فقلت وأنا أقبل رأسها: "سيكون عليهم أن يبذلوا قصارى جهدهم".

الفصل 50

رقدت جريتشن ليندل متكورة على نفسها فوق مرتبتها القذرة، وأخذت تحك رأسها وتحقق إلى الجدران الخشبية التي تحيط بها، وتتساءل عما إذا كان عذابها سينتهي.

كانت مغطاة بالأوساخ، وكان رداؤها ممزقًا، وكانت تنزف وتملاً الجروح والتورمات قدميها، وكان شعرها أشعث تشابكت فيه أشواك النباتات وأوراق الأشجار وأفرعها، والتي لم تتمكن من إزالتها من شعرها مهما حاولت، وقد حاولت مرارًا وتكرارًا على مدار أيام، على الأقل منذ المرة الأخيرة التي حضروا فيها ليعذبوها.

كم يومًا مر على هذه المرة الأخيرة؟ ٥ أيام؟ ٦ أيام؟

لم تكن تعرف، وفي النهاية لم يعد الأمر يهم.

فكرت جريتشن: سأظل هنا حتى أنتهي. يبدو الأمر كما لو أنني لم أعد أنا.

هل ستكون النهاية أسوأ مما أنا عليه الآن؟

كان الرجل الضخم المتشح بالسواد، والذي يرتدي الخوذة ذات الزجاج المعتم، ويحمل السكين، قد حضر لتعذيبها ٤ مرات منذ اختطافها، وفي كل مرة، كانت الشمس في طريقها إلى الغروب عندما كان يفك وثاقها ويعصب عينيها ثم تجد نفسها في وسط الغابة.

عادة ما كان يوجد شخصان أو ثلاثة آخرون، يرتدون جميعهم الثياب السوداء نفسها ويضحكون بينما يأمرها الرجل الضخم قائلاً: "اهربي الآن. امنحي نفسك فرصة، وامنحي الرجال عرضاً مثيراً".

كانت جريتشن لاعبة كرة طائرة، فكانت تركض بسرعة في المرة الأولى وتقفز متخطية العوائق دون أن تأبه للصخور والعصي التي تجرح قدميها الحافيتين. كانت تتقدم عليهم وتعتقد أنهم قد فقدوا أثرها. قبل أن يخيم الظلام.

ثم فجأة يظهرون جميعهم حولها، وهم يصيحون في وسط الغابة وينادون: "أين أنت أيتها الشقراء؟ أين أنت يا فتاة المدينة؟".

لا بد أنهم كانوا يرتدون النظارات المخصصة للرؤية الليلية أو شيئاً من هذا القبيل؛ لأنهم كانوا يمسكون بها في كل مرة، ثم يأخذونها إلى المكان الذي تعتقد أنهم سيقتلونها فيه، ينحرون عنقها ويشاهدونها وهي تنزف دمها بالكامل، ويصورونها بالكاميرا، وكل هذا من أجل متعتهم.

خلال المرات الثلاث الأولى التي اصطادوها فيها، نجت جريتشن بفضل تركيزها على أصدقائها ووالديها وعلى مدى اشتياقها لرؤيتهم جميعاً مجدداً، خاصة والدها. كانت هناك علاقة رائعة بينهما، علاقة صداقة حقيقية قائمة على الحب والاحترام المتبادلين.

فكرت جريتشن عندما أرادت أن تستسلم وأن تتوسل للرجال لكي ينهوا حياتها: هذا الأمر سيقضي على أبي، سيقضي عليه، ولا يمكنني أن أتسبب في هذا له... لأي من والدي.

خلال المرة الرابعة لاصطيادها، المرة الأخيرة، كان الأمر مختلفاً، كانت على وشك الفرار منهم قبل أن يمسكوا بها، ويصحبوها إلى مبنى في وسط الغابة؛ حيث مزق الرجل الضخم ملابسها بينما كان الآخرون يثبتونها أرضاً، ويقومون بـ...

راحت تتخيل مكاناً بعيداً في مخيلتها، مكاناً لا يوجد فيه ألم أو أية مشاعر على الإطلاق، كما لو أنها قد ماتت بالفعل. هذا الشعور بأنها قد انتقلت إلى مكان آخر، بأنها قد خرجت من جسدها، ظل ملازماً لها حتى بعد انتهوا من الاعتداء عليها، وبعدها ألقوها مجدداً داخل الصندوق الخشبي، وبعد أيام من عدم تناول أي طعام.

فتح أحدهم مزلاج الباب.

انكشيت جريتشن في خوف، محاولة التركيز على الجدران الخشبية.

قال الصوت المعدل بواسطة الحاسب: "إن لم تأكلي، فلن تستحي ممارسة لعبتنا، إن لم تأكلي وتشربي وتحافظي على قوتك، فلن تستحي أن تظلي على قيد الحياة".

قالت: "لا أريد أن أعيش بهذه الطريقة".

قال: "لقد أدركنا هذا بالفعل".

نظرت نحو الرجل الضخم المتشح بالسواد، والذي يثبت على صدره الكاميرا المحمولة ويرتدي الخوذة ذات الزجاج المعتم، ورأت شيئاً أنهى شعورها بالخواء، فتراجعت إلى الوراء.

لم يكن الرجل يحمل تلك السكين التي كان يحملها خلال المرات الأربع السابقة لممارسة اللعبة.

كان يحمل في هذه المرة حبلاً غليظاً تم عقد أحد طرفيه ليصبح أنشودة إعدام.

الفصل 51

طرقت القاضية لارش بمطرقتها معلنة انعقاد جلسة المحاكمة في تمام الثامنة صباحًا. وأنهت بعض الإجراءات الإدارية قبل أن تذكر نورمان نيكسون بأنه لا يزال تحت القسم عندما عاد إلى منصة الشهود.

قالت لارش: "أنسة مارلي. يمكنك استجواب الشاهد".

ربت أنيتا كتفي، ثم نهضت وقالت: "سيد نيكسون، من بين حالات إطلاق النار التسع التي أفضت إلى الموت التي بحثت فيها وكان موكلي طرفًا فيها، كم حالة منها تعد إجراءً شرطيًا خطأ؟".

اعتدل الرجل في جلسته في عدم رضا وقال: "ولا واحدة منها، إنها...".
قالت: "إذن فأنت تقول إنه في كل من هذه الحوادث، تم التحقيق مع أليكس كروس، ووجد أنه قد تصرف بموجب النظم التي تقرها الشرطة والمباحث الفيدرالية؟".

قال: "لا أعلم شيئاً عن النظم المقررة عندما ينتهي بنا المطاف بمشبهه به قتيلاً".

قالت أنيتا: "أعترض، سيدتي القاضية".

قالت القاضية لارش: "اعتراض مقبول. ولكن، أعيدي صياغة السؤال يا أنسة مارلي".

بدت أنيتا متفاجئة للحظة، ثم قالت: "هل ثبت أن الدكتور كروس قد اتبع النظم المعمول بها في الشرطة والمباحث الفيدرالية في كل من حوادث إطلاق النار التسع المذكورة؟"

بدا كأن نيكسون يحاول إخراج شيء محشور بين أسنانه، ولكنه قال في النهاية: "نعم".

"في جميع الحوادث التسع؟"

"جميعها".

"وماذا عن الحوادث التي أدت إلى جرح المشتبه بهم؟"

قال: "نعم، ولكن..."

قالت أنيتا: "مجرد كلمة نعم ستكون كافية يا سيد نيكسون. بموجب قدرتك على دراسة سجل الدكتور كروس بهذا التدقيق والتفصيل، هل تقر بأن المجرمين الذين واجههم الدكتور كروس كانوا مجرمين خطرين؟ أشخاصاً عنيفين؟"

قال نيكسون: "ولكن هذا لا يعني أن يُقتلوا برصاص رجل شرطة".

"إنه سؤال أرجو إجابته بنعم أو لا".

"نعم، كانوا خطرين".

"هل كانوا قتلة؟"

قال نيكسون: "عادة".

قالت: "مفجرين؟"

"جرائمهم ليست موضوع هذه القضية".

قالت أنيتا: "بل إنها لب الموضوع، إن الدكتور كروس يشتهر بملاحقته لأعنى المجرمين، وتولي كبرى القضايا وأصعبها، أليس كذلك؟"

"إنه محقق مشهود له بالكفاءة".

"هل عرض الدكتور كروس نفسه للخطر من أجل حل القضايا التي درستها؟"

قال: "جميع رجال الشرطة في البلاد معرضون للخطر بصورة يومية".

قالت أنيتا: "فهمت مقصدك، ولكن طبقاً لنوعية القضايا التي تولاها الدكتور كروس في أثناء عمله في المباحث الفيدرالية وفي قسم شرطة

العاصمة، ألم يكن محتمًا أن يواجه مجرمين أكثر خطورة من أولئك الذين يواجههم رجل الشرطة العادي؟".

صمت نيكسون للحظة ثم قال: "ربما كانت هناك عرضة أكبر للخطر مع مثل هؤلاء المجرمين، ولكن لا يمكنني أن أؤكد لك الأمر من الناحية الإحصائية". قالت أنيتا: "إن احتمالية التعرض الأكبر للمخاطر تكفييني"، ثم نظرت نحو هيئة المحلفين وابتسمت وعادت لتجلس في مقعدها، ثم وضعت نظارتها وبدأت تقرأ ملاحظاتها.

وعندما انتهت من القراءة، التفتت نحو الشاهد وقالت: "من أجل تليخيص ما قلت يا سيد نيكسون، في كل حوادث إطلاق النار القاتلة التي درستها، كان الدكتور كروس، بموجب عمله، في مواجهة مباشرة مع مجرمين عتاة، أليس كذلك؟".

فكر في سؤالها للحظات ثم قال: "هذا صحيح".

قالت: "ونتج عنها عنف".

قال: "حدث عنف بالفعل، وبعضهم قُتل بيد كروس".

خلعت أنيتا نظارتها وحدقت إلى وجهه وقالت: "من بين الحوادث التسع المذكورة يا سيد نيكسون، في أي منها بدأ أليكس كروس بإطلاق النار أولاً؟". تنحى الرجل ثم قال: "سنتوصل لنتيجة أفضل لو أننا نظرنا إلى تصاعد الأحداث يا أنسة مارلي".

قالت أنيتا: "كم عدد المرات التي أطلق فيها الدكتور كروس النار أولاً؟".

بدا كأن نيكسون يرغب في تصعيد الجدل، ولكنه قال: "صفر".

قالت وهي تنظر نحو هيئة المحلفين: "صفر؟ وكم عدد المرات التي أطلق فيها الدكتور كروس النار أولاً في جميع الحوادث التي أدت إلى إصابات؟". قال: "صفر".

قالت أنيتا وهي تنظر مباشرة نحو المحلف الخامس والمحلف الحادية عشرة: "صفر. لم يقم الدكتور كروس، ولو لمرة واحدة، خلال مسيرته المهنية بأكملها باستخدام سلاحه إلا في حالة الدفاع عن النفس. إنه يتعامل مع أعتى المجرمين، ويحاول دائمًا تجنب الصراع، ولكن، أولئك الأشخاص يهون العنف بطبيعتهم، وهو يمتلك الحق في الدفاع عن نفسه، أليس كذلك يا سيد نيكسون؟".

قال نيكسون: "نعم، هذا ليس صحيحًا. إن كروس يسعى للصراع، هو من يضع نفسه في هذه المواقف".

قالت أنيتا: "يبدو لي أنه شرطي شجاع يقوم بعمله".
قال ويلز: "أعترض".

قالت القاضية لارش: "اعتراض مقبول. ستتجاهل هيئة المحلفين هذه الملاحظة".

ولكن من المؤكد أنهم لن يتمكنوا من تجاهلها؛ فقد رأيت من تعبيرات وجهي المحلف الخامس والمحلقة الحادية عشرة أن أسئلة أنيتا كانت مؤثرة وكاشفة. فبالنسبة لهذين المحلفين على الأقل، لم أكن ذلك الشرطي الخارج عن السيطرة الذي وصفه ممثل الادعاء سابقًا.

قالت أنيتا: "ليس لدي أسئلة أخرى للشاهد سيدتي القاضية".
نهض ويلز من مقعده وقال: "الادعاء يستدعي كيميكو بينكس للشهادة".

الفصل 52

رفعت كيميكو بينكس يدها اليمنى ورددت القسم. كانت امرأة أمريكية، من أصول آسيوية، رشيقة في أواخر العشرينيات من عمرها، وكانت ترتدي بذلة رمادية أنيقة، منذ أن رأيتها آخر مرة، كانت قد أطالت شعرها وقصته بطريقة عملية.

جلست بينكس في مقعد الشاهد، ومسحت ببصرها القاعة ناظرة إلى جميع الحضور، عداي أنا.

قالت القاضية لارش وهي تسعل: "يمكنك استجواب الشاهدة يا سيد ويلز". عدل المحامي العام المساعد من سرواله، وابتسم بخبث إلى هيئة المحلفين مرة أخرى ثم قال: "أنسة بينكس، ما عملك بالتحديد؟".

قالت: "تصميم المواقع وكتابة البرامج".

"هل أنت بارعة في عملك؟".

"للفاية".

قال ويلز وهو يبتسم لهيئة المحلفين مرة أخرى: "حسناً. هل تتذكرين ما حدث في عصر ومساء يوم التاسع والعشرين من مارس؟".

"كما لو كان الأمس".

قاد ممثل الادعاء بينكس لتدلي بروايتها عن الأحداث؛ حيث قالت إنها وجدتني أنتظرها على عتبة باب شقتها عندما خرجت من أجل جولة ركض،

وأنتي توصلت إلى مكانها عن طريق موقع إلكتروني مكرس لجاري سونجي كانت قد صممتها، وأنتي طلبت منها أن تصحبني للقاء شريكها في الموقع - كلود واتكنز.

سألها ويلز: "ما سبب اهتمامك الكبير بجاري سونجي؟"

هزت بينكس كتفها وقالت: "لقد كانت مرحلة في حياتي، مثل تلك المرأة التي ألقت كتاباً عن زيارتها لقبور جميع الرؤساء الذين تعرضوا للاغتيال. قد يبدو أمراً مريعاً، ولكنه كان شائعاً في حينه، كما تعلم؟"

"إذن، أنت لست مهووسة بجاري سونجي؟"

"لم أعد كذلك. إن رؤية أصدقائي يُقتلون بسبب توجهاتهم الفكرية آلمتني كثيراً".

قالت أنيتا: "أعترض".

قالت القاضية لارش: "اعتراض مقبول. ستتجاهل هيئة المحلفين التعليق الأخير".

أحنى ويلز رأسه، ثم التفت ليواجه هيئة المحلفين وقال: "إذن، فقد صحبت الدكتور كروس إلى المصنع المهجور للقاء السيد واتكنز، أليس كذلك؟"

أومأت بينكس برأسها إيجاباً وقالت إن كلود واتكنز وعدداً من أصدقائه كانوا يستخدمون المصنع القديم كإستوديو فني ومسكن لهم.

"هل أجبرت الدكتور كروس بأية حال من الأحوال على الذهاب للقاء واتكنز؟"

انحنى لتقرب فمها من الميكروفون وقالت: "لم أكن بحاجة لهذا، فقد كان راغباً في الذهاب".

"ولكنك كنت ترغبين في أن يذهب أيضاً، أليس كذلك؟"

"حسناً، كان كلود يريد ذلك، هذا صحيح".

قال: "ولماذا؟"

"كلود فنان بصريات وممثل، وكان يعتقد أن رؤية ردة فعل كروس عندما يواجه نسخاً عديدة من سونجي ستكون أمراً شائعاً ومثيراً".

من خلال المزيد من الأسئلة من ويلز، واصلت بينكس سرد روايتها بدقة متناهية: لدرجة أنها جعلتنا نتخيل تعمقنا إلى داخل المصنع حتى وصلنا إلى

غرفة مستطيلة الشكل. عند هذه النقطة بدأت تكذب بوقاحة.

قال ويلز: "عندما دخلت المصنع، هل كان كلود واتكنز عند الجانب البعيد من تلك الغرفة المربعة متنكرًا في هيئة سونجي؟".
 قالت بينكس: "نعم".

"هل كان السيد واتكنز مسلحًا؟".
 "لا".

"ألم يكن يحمل مسدسًا مصقولًا بالنيكل في يده؟".
 "نعم، فقد فتح كلود راحتي يديه وأدارهما حتى يتمكن كروس من رؤية أنهما خاليتان".

الفصل 53

انحنيت على أذن ناعومي، وهمست قائلاً: "كل ما تقوله كذب".

ربت ابنة أخي ذراعي وقالت: "لا تقلق، سنحظى بفرصتنا لاستجوابها".

قال ويلز: "ماذا حدث بعد ذلك؟"

"صوّب كروس مسدسه نحو كلود، وطلب منه أن يلقي مسدسه ويرقد على الأرض".

"وهل فعل؟"

"إنه لم يكن ممسكاً بمسدس، ولكن لم يبد أن كروس يهتم بهذا. وأدركت حينها أنه سيطلق النار على كلود، فضربت المسدس من يد كروس، فتحرك كلود وحاول الاختباء".

"كيف كانت حالة الدكتور كروس عندما ضربت المسدس من يده؟"

"لقد كان يتصرف بطريقة غريبة ومخيفة".

"كيف هذا؟"

"كان متعرقاً، وبدا كأنه أحب حقيقة أنه يصوب مسدسه نحو كلود، أو كأنه كان يتمنى هذا".

توجه ويلز نحو مخطط ضخم للطابق الأرضي من المصنع، وأشار إلى الطرف الأيسر من المستطيل وقال: "هل كان واطكنز هنا قبل أن يفر؟"

"نعم، أمام ذلك التجويف الموجود في الجدار".

"ماذا حدث بعد ذلك؟"

للمرة الأولى منذ أن بدأت شهادتها، نظرت بينكس نحوي وهي تقول:
"أصيب كروس بالجنون".

صاحت أنيتا: "أعترض".

قالت القاضية لارش: "اعتراض مرفوض، لتكمل الشاهدة".

قالت بينكس إن فيرجينيا وينسلو خرجت من وراء تجويف مظلم يستقر في
وسط الجانب الطويل من غرفة المصنع، وانني أطلقت النار على أرملة سونجي
من دون سبب.

سأل ويلز: "هل كانت السيدة وينسلو مسلحة؟".

قالت بينكس: "مستحيل، فقد كانت تكره الأسلحة النارية".

"أخبرينا عن سبب كونها جزءاً من هذا العرض في المقام الأول".

"أخبرتني فيرجينيا بأنها لم تتمكن من الفرار من الإرث الذي تركه لها
سونجي؛ لذا قررت أن تصنع منه فتاً، لكن ذلك انتهى نهاية مريرة، كما تعلم".

"وأطلق الدكتور كروس النار عليها؟".

"في صدرها تماماً. لم أصدق ما حدث، وبدأت أصرخ، ولكنه لم يهتم، بل
واصل إطلاق النار، على كلود أولاً، ثم على ليني ديجز".

"هل كانوا جميعاً غير مسلحين؟".

"نعم، وبعد أن أطلق كروس النار على ليني، كان يهز المسدس في يده،
ويصرخ طالباً المزيد ليقتلهم".

"ما الكلمات التي صرخ بها الدكتور كروس تحديداً؟".

"كان يقول أموراً مثل: من التالي؟ هيا أيها الأوغاد، سأقتل كل سونجي منكم
قبل أن أنتهي".

نظر ويلز نحو هيئة المحلفين وقال: "سأقتل كل سونجي منكم قبل أن
أنتهي".

كان المحلف الخامس يهز رأسه في أسى، وكذلك فعلت المحلفة الحادية
عشرة.

فرك ويلز يديه معاً كما لو كان يغسلهما وقال: "شكراً لك آنسة بينكس. لا
بد من أن استعادة هذه الذكرى كانت أمراً صعباً. إليك الشاهدة، آنسة مارلي".

الفصل 54

كانت أنيتا تدون بعض الملاحظات في دفتر ملاحظاتها، ثم رفعت رأسها وقالت: "سيدتي القاضية، تطلب جهة الدفاع من عدالة المحكمة تأجيل استجوابي للآنسة بينكس انتظاراً لأحد خيوط التحقيق التي نتبعها".

سأل ويلز: "خيوط تحقيق؟"

قالت أنيتا: "نعم".

لم يرق الأمر للقاضية لارش، فقالت: "ما فترة التأجيل التي تطلبينها؟".

قالت أنيتا: "أعتقد أنني سأؤجل الاستجواب حتى عصر الغد، سيدتي القاضية".

ظهرت نظرة غاضبة على وجه لارش، ولكن سرعان ما تبدلت حالتها المزاجية، وكأنها تذكرت شيئاً أسعدها بعض الشيء، فقالت: "آنسة بينكس، لقد انتهت مهمتك لليوم، ١٠ دقائق راحة ثم يستدعي السيد ويلز شاهده التالي".

طرقت القاضية بمطرقتها، ونهضت مسرعة، وكادت تركض وهي تتجه نحو الباب الواقع خلف منصتها، فخمنت أنها تتوق لتدخين سيجارة من دون شك. عادت لارش ومزاجها أكثر اعتدالاً بعد ١٠ دقائق بالضبط، وصعدت المنصة وتناولت قطعة من حلوى النعناع وقالت: "سيد ويلز؟".

قال ويلز: "الادعاء يستدعي كلود واتكنز إلى منصة الشهود".

سمعت صريراً عندما فُتح باب القاعة المزدوج، ورأيت رجلاً يجلس على كرسي متحرك يدفعه ابن جاري سونجي، ديلان. كان كلود واتفنر رجلاً في أواخر الأربعينيات من عمره، ذا شعر داكن يخطه الشيب، ولحية قصيرة، وجزء علوي ضخم من جسده، وكانت هناك بطانية تغطي ساقيه المشلولتين. تركه ديلان عند الحاجز، ودفع كلود واتفنر الكرسي المتحرك بذراعيه حتى وصل إلى منصة الشهود.

نظر ممثل الادعاء إلى القاضية لارش، وقال: "أود أن يتم التعامل مع الشاهد على أنه شخص عدائي؛ لأنه لم يكن متعاوناً على الإطلاق". نظرت لارش إلى الرجل الذي بدا عليه الغضب الشديد. وسألته: "هل ستجيب عن الأسئلة بعد أن تردد القسم؟" قال واتفنر من دون أن ينظر إليها: "هذا يعتمد على نوعية الأسئلة". أمرت القاضية حاجب المحكمة أن يتلو عليه القسم، الذي رده واتفنر خلف الحاجب من دون أي حماس.

سأله ويلز: "كيف حالك يا سيد واتفنر؟" حدّجه واتفنر بنظرة نارية وقال: "كأحسن حال يمكن أن يكون عليها شخص حبيس لكرسي متحرك ويستخدم قسطرة لكي يتبول". "كيف انتهت بك الحال في هذا الكرسي المتحرك؟" احمر وجهه واتفنر بشدة قبل أن يشير نحوي ويقول: "هو من وضعني فيه. كروس. لقد أطلق النار عليّ من دون سبب".

قالت أنيتا: "أعترض". ردت القاضية لارش: "اعتراض مرفوض"، ثم وضعت قطعة أخرى من حلوى النعناع في فمها.

قال ويلز: "هل يمكنك أن تقص علينا الأحداث التي وقعت في يوم التاسع والعشرين من مارس؟"

قال واتفنر مكرهاً إنه كان مهتماً بجاري سونجي ما قاده إلى الاهتمام بي. ولكن، كلما قرأ المزيد عني، زادت قناعته بأنني "أقترب من فقدان السيطرة على نفسي" عندما يتعلق الأمر بذلك السفاح.

وشهد واتكنز بأنه قرر أن يستدرجني إلى موقف قد ينتج عن "أداء فني مثير وكاشف". أراد أن يستدرجني إلى مصنع مهجور؛ حيث أواجه عدة أشخاص متكرين في هيئة سونجي.

سأله ويلز: "هل أردت أن ترى ردة فعله؟"

"لا، بل أردت أن يرى العالم بأسره ردة فعل كروس".

أمالت أنيتا، الجالسة بجواري، رأسها على إحدى كتفيها.

وبدت الدهشة على وجه ويلز كما لو أنه يسمع هذه الكلمات من الشاهد

للمرة الأولى، ثم قال: "كيف كنت ستفعل هذا؟"

قال واتكنز: "عن طريق تصويره بالطبع".

قال ويلز: "ماذا؟"

وهمست ناعومي: "ماذا؟"

قالت أنيتا: "ما الذي يقوله بحق...؟"

قال واتكنز: "لا بد أنكم عثرتم عليها، لا بد أنكم فتشتم المصنع، وعثرتم

على الهواتف الذكية ذات العدسات الإضافية، أليس كذلك؟"

هبت أنيتا والمحامي العام المساعد واقفين على قدميهما في وقت واحد.

وقالت أنيتا: "سيدتي القاضية، لم يرد أي ذكر للعثور على أية كاميرات

أو هواتف في المصنع في جلسة عرض الأدلة".

قال ويلز: "لأننا لم نعثر على أية كاميرات أو هواتف".

بدا الاشمئزاز على وجه واتكنز وهو يقول: "لقد وضعتها هناك بنفسني.

ماذا يحدث؟ هل تفعلون ذلك للتغطية على جريمته؟ لقد كنت أتساءل عن عدم

ذكركم لها منذ البداية. أقول لكم إنني صورت كل ما حدث من ثلاث زوايا

مختلفة".

الفصل 55

اندلعت الفوضى داخل قاعة المحكمة، فطرقت القاضية لارش بمطرقتها، أمرت الجميع بالتزام النظام، وأمرت هيئة المحلفين بتجاهل شهادة السيد واتكنز في الوقت الحالي، وأمرت كلاً من ممثل الادعاء ومحامية الدفاع بالدخول إلى الغرفة الملحقة بقاعة المحكمة مع المارشالات الأمريكيين الذين يعملون في قاعتها.

قال ويلز عندما أصبحوا جميعاً داخل الغرفة: "سيدتي القاضية، الحكومة تطلب منحها الوقت اللازم للعثور على الهواتف التي يدعي السيد واتكنز أنه وضعها في المصنع".

قالت أنيتا: "سيدتي القاضية، لا سبيل أمامنا لمعرفة إذا ما كانت هذه الهواتف - إن وجدت أصلاً - قد وضعت في المصنع فيما بعد كخدعة أعدها السيد واتكنز. وأياً كان ما تحتويه، فلا بد من تجاهله".

قال ويلز: "إن المصنع مغلق منذ شهر".

ردت أنيتا: "ولكن ليست عليه حراسة".

قالت القاضية لارش: "إننا لا نعلم حتى إذا ما كانت هذه الهواتف حقيقية أم لا يا آنسة مارلي". ثم نظرت إلى أحد المارشالات وقالت: "كولينز، اذهب، أنت وأفري من فضلكما، للتحدث مع السيد واتكنز. اعرفا منه المكان الذي

يقول إنه أخفى فيه الهواتف، واتصلا بفريق من الطب الشرعي، واذهبا للبحث عنها، وإن عثرتما عليها، فأحضراها إلى هنا".

قال ويلز: "سيدتي القاضية، هذا الأمر يقع في نطاق المسئوليات القانونية للحكومة".

قالت القاضية لارش: "إننا نسعى لتحقيق العدالة السريعة هنا يا سيد ويلز، إن كانت الكاميرات هناك وأظهرت ما حدث في ذلك اليوم، فسوف نشاهدها معاً، في وقت واحد. هنا، في غرفتي".

غادر المارشالان الغرفة، وأمرت القاضية بأن تحصل هيئة المحلفين على فترة راحة لتناول الغداء. تناولنا غداءنا في الردهة وكل منا يتساءل عما قد تكون هذه الكاميرات قد فوتته، وكنت أشعر بالقلق من الثقة المفترطة التي كشف بها واتكنز وجودها. ما الذي ستعرضه هذه الكاميرات؟

بعد ساعة، سمعنا أن هناك ٣ هواتف محمولة، ذات عدسات إضافية، تم اكتشافها في المكان نفسه الذي قال واتكنز إنه خبأها فيها: في فجوات تم صنعها في ألواح دعم المصنع، وتم إخفاؤها باستخدام ألواح رقيقة من المعدن. وبعد ساعة أخرى، دخل أحد مارشالات غرفة القاضية لارش حاملاً ٣ حقائب أدلة تحوي كل منها هاتفاً ذكياً من نوع (آي فون ٦ إس). كانت الهواتف مغطاة بالأتربة وقد فرغت بطارياتها، وتمكنا من جمع عدد كافٍ من الشواحن لإعادة شحن الهواتف.

الواحد تلو الآخر، بدأت الهواتف تضيء، وطلب من كلود واتكنز أن يدخل لها رموز الأمان، ففعل. وكانت جميع الرموز هي تاريخ ميلاده.

ارتدت المارشال أفري، التي كانت امرأة نحيلة ذات وقفة صارمة، قفازاً من أجل إدخال الرموز، ثم أوصلت الهاتف الأول بأحد الحواسيب المحمولة، ثم أوصلت الحاسب المحمول بالشاشة الموضوعة على جدار غرفة القاضية لارش. بعد ١٥ دقيقة، وبعد عرض مقاطع الفيديو الثلاثة، خيم الصمت على غرفة القاضية لارش. شعرت بأني قد انتهيت، ولم يعد لدي شك في أنني سأقضي فترة طويلة للغاية في أحد السجون الفيدرالية.

قال ويلز شاعراً بالانتصار: "إنها أدلة دامغة أيتها القاضية، تريد الحكومة أن تدرج هذه الهواتف كأدلة على الفور".

قالت أنيتا: "سيدتي القاضية، لا يمكنك أن تسمحي بتقديم مقاطع الفيديو هذه كأدلة قبل أن يتوافر لنا الوقت لتحليلها".

قال ويلز: "أرى أن مقاطع الفيديو تكشف الكثير، الأجزاء المهمة منها على الأقل، وسيكون تجاهلها إنكاراً لتحقيق العدالة يا سيدتي".

قالت ناعومي: "كما أن إدراجها كأدلة من دون منحنا الفرصة لفحصها سيكون إجهاضاً سافراً للعدالة يا سيدتي".

استرخت القاضية لارش في مقعدها، مغمضة عينيها، بينما تدخن سيجارتها الإلكترونية.

قال ويلز: "سيدتي؟".

قالت لارش: "أنا أفكر. لقد سمعت عن شيء اسمه التفكير، أليس كذلك أيها المحامي؟".

وامتقع وجه ممثل الادعاء ولكنه قال: "بالطبع يا سيدتي. أنا أيضاً أفكر من وقت لآخر".

فتحت القاضية إحدى عينيها ونظرت نحو ويلز وقالت: "سأسمح بتقديم مقاطع الفيديو كأدلة".

صاحت أنيتا: "ماذا؟ سيدتي...".

قالت لارش في اقتضاب: "آنسة مارلي، إن الادعاء يرغب في تقديم مقاطع الفيديو كأدلة. إن كان يمكنك التقليل من قيمتها ومصداقيتها، فستتوافر لك الفرصة لتفعلي في الوقت المناسب".

قالت أنيتا: "مع كامل الاحترام سيدتي القاضية، ولكن هذه المقاطع ستحدث تحيزاً لدى...".

قالت لارش وهي تضع سيجارتها الإلكترونية على المكتب: "ربما لبضعة أيام فحسب. إن كانت زائفة، فستعرفين على الفور، أليس كذلك؟ وربما تجعلين السيد ويلز يبدو أحمق بسبب تهوره واندفاعه".

قال ممثل الادعاء وقد بدا الامتعاض على وجهه: "سيدتي القاضية؟".

قالت لارش: "لقد منحتك حبلاً طويلاً يا سيد ويلز، حاول ألا تشنق نفسك به".

طرف ويلز بعينيها وقال: "أمرك سيدتي القاضية".

الفصل 56

رأت نانا ماما النظرة المحبطة على وجهي عندما عدنا إلى قاعة المحكمة،
فاقتربت من الحاجز.

وقالت: "هل أنت بخير يا بني؟".

"إن الأمر سيئاً يا نانا".

"ستظهر الحقيقة. فقط عليك أن تؤمن بهذا".

أومأت برأسي كما لو أنني أحمل ثقل العالم بأسره عندما طرقت القاضية
لارش بمطرفتها معلنة إعادة انعقاد الجلسة، وأخبرت هيئة المحلفين بأنها
قررت إدراج مقاطع الفيديو ضمن الأدلة، كما حذرت المحلفين من أن الحكومة
قررت عدم تحليل مقاطع الفيديو قبل عرضها عليهم.

قالت القاضية لارش: "وفي ضوء ما حدث، شاهدوا مقاطع الفيديو بعقول
منفتحة ومتشككة، وأنا على يقين بأن هيئة الدفاع لديها ما تقوله بشأن مقاطع
الفيديو هذه".

بدأت المارشال آفري بعرض مقاطع الفيديو على الشاشة المواجهة لهيئة
المحلفين. كان ناثان ويلز مسروراً للغاية: لدرجة أنه رقص رقصة سريعة
بينما كان يمر من أمام منصة الشهود، وعاد كلود واتكنز ليجلس في كرسيه
المتحرك.

قال ويلز: "سيد واتكنز. هل شاهدت مقاطع الفيديو هذه؟".

قال واتكنز: "لا".

"إنها ٣ مقاطع فيديو بالأبيض والأسود، يبلغ وقت كل منها ٣ أو ٤ دقائق. سنشاهد المقاطع جميعها في وقت واحد، وسترون المشهد من ثلاث زوايا في آن واحد".

ضغطت المارشال آفري زراً في حاسبها، فأضاءت الشاشة وانقسمت إلى ٣ أجزاء.

على اليسار، كانت الكاميرا تصور من مكان مرتفع بحيث تطل على الجزء الخلفي المعتم من المصنع الذي وقعت فيه حادثة إطلاق النار. كان المكان عبارة عن مساحة كبيرة خالية، كانت مكرسة لأحد خطوط الإنتاج في المصنع وتحتوي على فجوات تخزين مظلمة في جوانبها الأربعة.

من منظور الكاميرا، استنتجت أن الهاتف الذكي كان موضوعاً فوق تجويف في منتصف الجدار الجنوبي الطويل للغرفة، وعلى الجدار المقابل، كانت هناك لوحة جدارية مضاءة بمصباح هادئ الضوء.

في منتصف الشاشة، كان منظور الكاميرا يدل على أنها كانت مخبأة في منتصف الغرفة، في مكان مرتفع في مواجهة التجويف الموجود في الجدار الشمالي، وكانت موجهة نحو أرضية المصنع، ولكن كانت قواعد المصابيح الثلاثة ظاهرة.

على الجانب الأيمن من الشاشة، رأينا ما صورته الكاميرا الموضوعة فوق التجويف الغربي؛ حيث أظهر هذا المنظور كامل أرضية المصنع، وكانت الأشعة الصادرة من المصابيح تقسم المساحة نصفين من اليمين إلى اليسار.

ضغطت المارشال على زر التشغيل، وبدأ عرض المقاطع الثلاثة. رأني الحاضرون في قاعة المحكمة أدخل المصنع من جهة الشرق من المصنع، حاملاً مسدسي الرصاص، وممسكاً بالأصفاذ التي تحيط بمعصمَي بينكس. وكان هذا ما أتذكر أنه حدث بالفعل.

عند الجهة الغربية من الغرفة، ظهر كلود واتكنز. كان متنكراً في هيئة جاري سونجي، وقال بصوت مبجوح: "دكتور كروس. كنت أعتقد أنك لن تأتي".

قال ويلز: "أوقفني العرض. اعرضي صورة الكاميرا الثالثة وحدها".

بعد لحظات، ملأت الشاشة صورة واتكنز المتكرر وهو يقف في مكانه فارداً راحتي يديه.

قال ويلز: "لا توجد أسلحة معه على الإطلاق".

كانت هذه هي المرة الثانية التي أرى فيها الصورة، والمرة الثانية التي أشعر فيها بالغضب من التفكير في أنه إن لم أكن مذنباً، فهناك بعض المحترفين الذين يحاولون تليفيق التهمة لي.

همست في أذن ناغومي قائلاً: "هذا الفيديو زائف. لا أعلم كيف أعدوه، ولكنه زائف".

وقبل أن تجيبني ابنة أخي، تحركت الصورة مرة أخرى، وأظهرتني مقاطع الفيديو الثلاثة وأنا أرفع مسدسي الرسمي، وأصوب نحو واتكنز المتكرر في هيئة سونجي، وأقترب منه صائحاً: "ألق مسدسك الآن والافسأطلق النار".

تحركت يد واتكنز اليمنى، ولكنها كانت خالية، ولم أسمع صوت سقوط المسدس على الأرض الذي أتذكر أنه حدث.

صحت قائلاً: "ارقد على الأرض على بطنك، وضع يديك خلف رأسك".

بدأ واتكنز المتكرر في هيئة سونجي يفعل كما أمرته، إلا أن بينكس جاءت من خلفي وضربت المسدس من يدي بكلتا يديها. جعلتني الضربة أفقد توازني، وطار المسدس من يدي قبل أن يُضاء المصباح الرابع ليعمي رؤيتي.

بعد ذلك، انطفأت الأنوار دفعة واحدة، فألقيت نفسي على أرضية المصنع، وبقيت في مكاني لعدة لحظات أنظر حولي، قبل أن أقف على قدمي، ثم رفعت مسدسي، وعدوت مباشرة نحو أقرب تجويف في الجدار الشمالي.

صحت قائلاً: "لديّ دعم يا جاري، وهم يطوقون المكان".

تركت التجويف ورائي وسرت نحو الغرب على طول الجدار الشمالي من المصنع حتى وصلت إلى الردهة التالية، تلك التي تقع أسفل اللوحة الجدارية مباشرة، فصورتني الكاميرا المثبتة على السطح المقابل من الخلف، وأعطت المشاهد رؤية جيدة لما يوجد داخل التجويف الشمالي؛ حيث كانت توجد لفافات كبيرة من القماش مكدسة على طاوولات مصنوعة من الخشب والحوامل الخشبية.

ومن داخل التجويف، بدأت فيرجينيا وينسلو تخرج من الظلام متكرة في هيئة زوجها الراحل، وكانت تسير على أطراف أصابعها، وأخذت خطوتين واسعتين سريعتين قبل أن تقف منتصبة في مكانها. اقتربت صورة الكاميرا لترتكز علينا، وبدأت يدها اليمنى ترتفع.

قال ويلز: "توقفي".

توقفت الشاشة على صورة أرملة جاري سونجي وراحة يدها التي كادت تظهر بالكامل.

قال ويلز: "لا مسدسات".

بدأت الصورة تتحرك مجدداً.

فتحت السيدة وينسلو فمها ورفعت يدها، وأطلقت النار عليها، فسقطت على الأرض وصرخت بينكس.

ظلت الحال على المنوال نفسه لعدة دقائق، حيث كان ويلز يوقف الصورة ليظهر واتكنز المتكرر في هيئة سونجي، ثم إطلاق النار عليه، ثم اختبائي خلف برميل زيت قديم لحماية نفسي. أوقف ممثل الادعاء الفيديو للمرة الأخيرة لتظهر صورة ليونارد ديجز غير المسلح فوق سطح التجويف الشمالي مباشرة قبل أن أطلق النار عليه. وقبل أن تنتهي مقاطع الفيديو الثلاثة، كان الجميع يسمعون بكاء بينكس.

زفرت وأنا أنظر نحو هيئة المحلفين. كان المحلف الخامس قد استرخى في مقعده وهو ينظر لي وكأنني مجرم حرب، أما المحلفة الحادية عشرة فقد غطت فمها بيدها ذات الأظافر المطلية وهي تهز رأسها في رعب.

الفصل

57

في عصر اليوم التالي، كان بإمكانني رؤية الشك باديًا على وجه جايل كينج - واحدة من مذيعي نشرة الأخبار الصباحية في محطة (سي بي إس) - الذي عادة ما يكون خاليًا من التعبيرات.

فبينما كان مهندس الصوت يعلق الميكروفون في منزلي، اقتربت مني كينج وقالت: "خمس دقائق يا دكتور كروس".

"إنني أتطلع لهذه المقابلة يا آنسة كينج".

"يمكنك أن تدعوني جايل. وهل نحن على وفاق؟ سوف نتحدث من دون قيود؟".

قلت: "أسألي ما بدا لك. فليس لدي ما أخفيه".

قالت كينج: "هل هذه جدتك؟ إنها امرأة رائعة".

قلت: "إنها كذلك بالفعل".

ابتسمت الآنسة كينج، ولكنني رأيت لمحة من الشفقة في ابتسامتها، ثم سارت مبتعدة.

اقتربت بري مني وأعطتني بعض الماء وقالت: "هل أنت واثق بأنك تريد فعل هذا؟".

"يبدو أن أنيتا وناعومي تعتقدان أن هذا سيضفي طابعاً إنسانياً على صورتي في نظر الناس، وليس هناك شيء آخر نفعه قبل أن ينتهي الخبراء الذين استعانت بهم أنيتا من فحص مقاطع الفيديو".

فعند نهاية جلسة المحكمة، منحت القاضية لارش أنيتا مهلة حتى صباح يوم الاثنين من أجل فحص مقاطع الفيديو.

سألنتي بري وهي تعدل من ربطة عنقي: "ماذا عن أصدقائك في المباحث الفيدرالية؟"

قلت: "لم أسمع منهم شيئاً، وهذا أمر متوقع. أعتقد أن مكتب المحامي العام الأمريكي سيجعل رولينز يحلل مقاطع الفيديو من أجل المحاكمة".
قالت بري: "حسناً، سيكون هذا جيداً، أليس كذلك؟ سوف يعثر على مواطن الخلل فيها".

قبل أن أجيها، سمعت كينج تقول: "دكتور كروس؟"
قالت بري: "حظاً موفقاً"، ثم قبلتني على وجنتي.
أشارت المذيعة لي بأن أجلس على مقعد مواجه لها، فجلست محاكياً جلستها؛ على طرف المقعد مواجهاً إياها، منتصب الظهر، رافعاً ذقني إلى أعلى، ومرخياً يديّ على فخذي المفتوحتين. أضاء مصباحان مكان جلوسنا، ووضعت كينج النظارة الخاصة بالقراءة.

قال أحد المصورين: "سنبداً التصوير".
دخلت مذيعة الأخبار الصباحية في صلب الموضوع مباشرة، وأشارت إلى أن عرض مقاطع الفيديو في قاعة المحكمة في اليوم السابق كان له تأثير مدمر على موقفني في القضية.

قلت: "ما لا شك فيه أننا لم نكن مسرورين بهذا يا جايل، ولكننا على يقين بأنه قد تم التلاعب بمقاطع الفيديو تلك، وبنوي إثبات ذلك".
"كم عدد مرات إظهارك لمسدسك الرسمي، وإطلاقه خلال مسيرتك المهنية يا دكتور كروس؟"

قلت: "يقول نورمان نيكسون إنها ٢١ مرة على الأقل، ومن بينها هذه القضية".

"وقتل ١١ شخصاً حتى الآن خلال مدة خدمتك؟"

"في جميع هذه القضايا، تعاملت مع الموقف طبقاً للقواعد الشرطية الصحيحة. حتى حالات إطلاق النار التي أحاكم بسببها حالياً؛ فلم أكن أبداً البادئ بإطلاق النار، ولكن كانت حياتي على المحك في هذه المواقف. عندما أرى مسدساً في يد المشتبه به، فإنني أمنحه فرصة واحدة لتركه، ثم أطلق النار لأحمي نفسي".

"أما زلت مصرّاً على أن الضحايا الثلاث كانوا مسلحين؟"

قلت: "نعم".

"إن ممثل الادعاء يحاول تصويرك على أنك شرطي خارج عن السيطرة".
تمالكت أعصابي وأجبتها قائلاً: "في كل مرة يطلق فيها أحد ضباط الشرطة النار خلال خدمته، يخضع للتحقيق الدقيق، وقد مررت بهذا الأمر أكثر من أغلب ضباط الشرطة، ولكن كانت تتم تبرئتي في كل مرة".

"ماذا تقول لمن يبرئون ساحتك من القضايا السابقة كنوع من التحيز لرجال الشرطة؟"

الفصل 58

نظرت مباشرة إلى الكاميرا ذات الضوء الأحمر المضيء وقلت: "أقرني سجلات التحقيقات بنفسك يا جايل. سأمنحكم إياها، ويمكنكم نشرها على الموقع الإلكتروني لمحطة (سي بي إس) حتى يمكن لأي شخص الاطلاع عليها، وأنا واثق بأنكم ستفقون مع قرار لجنة تقييم حالات إطلاق النار".

قالت كينج: "يعجبني هذا"، ثم صمتت لحظة وأردفت: "هل أنت فوق القانون يا دكتور كروس؟".

جاهدت بشدة لكي لا أترك يديّ تنقبضان في غضب وقلت: "كلا يا جايل، لست فوق القانون، وأصدقك القول إنني شعرت بالإهانة من مثل هذا الوصف. لقد قضيت حياتي بأكملها في خدمة القانون محققاً في قسم جرائم القتل وعميلاً في المباحث الفيدرالية، كما أنه تمت الإشادة بي وتكريمي لأكثر من ٢٠ مرة على أعمالتي التي حققتها مع الوكالتين، ولم يتم تأنيبي مطلقاً على استخدام العنف المفرط أو أية أفعال انضباطية أخرى... ولا مرة".

حدقت كينج إلى عينيّ مباشرة وقالت: "هل استحق جاري سونجي الموت منذ ١٠ سنوات؟".

فكرت قليلاً في السؤال ثم قلت: "هل تريد رأيي الشخصي؟".

قالت: "وهل هناك نوع آخر من الآراء؟".

قلت: "إذن فرأيي الشخصي هو نعم".

اتسعت عينا كينج وقالت: "نعم؟".

"لقد أفلت سونجي من جريمة تفجير الناس من دون عقاب، ثم اختطف وعذب أشخاصاً آخرين، كما استخدم طفلاً رضيعاً كدرع بشرية عندما كان يحاول تفجير ميدان تايمز سكوير. لقد طارده عبر شبكة أنفاق نيويورك بينما كان يرتدي صديرية مفخخة بالقنابل، وحاول قتلي. لقد فعلت كل ما بوسعي لأتأكد من عدم انفجار الصديرية المفخخة، حتى إن اضطرني ذلك إلى قتله. لذا، نعم، إن كنت قد قابلت شخصاً في حياتي يستحق الموت، فسيكون جاري سونجي".

"هل أنت مهووس به؟".

"ليس بأكثر من هوسك بي عندما تنتقلين للعمل على خبرك التالي. اسمعيني جيداً، إنني أعمل محققاً في الشرطة، ولست غازياً أو منتقماً. كل ما أفعله هو أن أبذل قصارى جهدي ثم أمضي قدماً".

قالت كينج: "أبذل قصارى جهدي ثم أمضي قدماً، يعجبني هذا". ثم ابتسمت وخلعت نظارتها وأردفت: "هل كانت فيرجينيا وينسلو وليونارد ديجز يستحقان الموت؟".

قلت: "لا، ولكنهما اتخذتا قرارات دفعنتي لاتخاذ قرارات بصفتي ضابط شرطة أدت إلى موتها. ما زلت لا أمتلك صورة واضحة منطقية عن أفعالهما عدا أنهما كانا يحاولان تليفيق جريمة لي".

قالت كينج: "في مقاطع الفيديو، لم يظهر أي من ضحاياك ومعهم أسلحة".

قلت: "في الحقيقة، كانوا جميعاً يمسون بمسدسات مصقولة بالنيكل".

وضعت إحدى ذراعي نظارتها في فمها وقالت: "إذن، فأنت تعتقد أن أتباع كلود واتكنز قد أزالوا صور المسدسات من مقاطع الفيديو بطريقة ما؟".

"شيء من هذا القبيل، نعم".

"إن شاهدت مقاطع الفيديو، ستري أنك تبدو كأكثر القتلة قسوة يا دكتور كروس".

قلت: "أو الشخص الأكثر غباءً على الإطلاق".

وضعت كينج نظارتها على عينيها مرة أخرى، وقرأت بعضاً من ملاحظاتها وقالت: "من بين جميع حالات إطلاق النار التي تحدث بيد رجال شرطة بيض

البشرة ويقتل فيها أطفال سود، أليس أمرا مثيرا للسخرية أنه لا يحدث أي تدخل فيدرالي حقيقي في هذه القضايا إلا عندما تُحاكم وزارة العدل الأمريكية ضابطاً أسود بتهمة القتل؟".

شعرت بأن تعبيرات وجهي تصلبت وقلت: "لم أرغب قط في التطرق لهذه النقطة، ولكن، ما لا شك فيه أن هذه المسألة تستحق التفكير فيها، أليس كذلك؟".

استمرت المقابلة لعشرين دقيقة قبل أن تنتهيها كينج. وعندما انطلقت الكاميرات، نهضت واقفاً وتركت الفني يزيل الميكروفون من ملابسي بينما كانت كينج تتحدث مع منتجها.

اقتربت كينج مني وصافحتني للمرة الثانية وقالت: "أعتذر عن بعض الأسئلة الصعبة، ولكن، كما قلت أنت، إنها متطلبات المهنة". قلت: "لا أمانع الأسئلة الصعبة أبداً طالما أنها ليست متحيزة". قالت: "كيف أبليت إذن؟".

قلت: "لقد كنت محايدة تماماً. كيف أبليت أنا؟". نظرت كينج في عيني للحظات قبل أن تقول: "إما أنك كاذب بارع وقاتل بارد الدم، وإما أنه قد تم تليفق التهمة لك من قبل أشخاص بارعين للغاية". قلت: "هل هذه هي حبكة قصتك؟".

قالت: "لا حبيكات يا دكتور كروس، سنعرض الأمور كما هي وندع المشاهدين يقررون بأنفسهم".

الفصل 59

كانت كل من بري وأنيتا وناعومي مقتنعات بأنني قد أسديت لِنفسي صنيعاً كبيراً بإجرائي هذه المقابلة. وظلت نانا ماما تتحدث كثيراً عن الإثارة التي شعرت بها بفضل مقابلتها أقرب صديقات أوبرا على الإطلاق، الأمر الذي رأيته رائعاً ومضحكاً.

ولكن، بمرور الوقت، تزايد القلق في داخلي. ماذا لو لم يكن خبراء تحليل مقاطع الفيديو الخاصون بأنيتا بارعين بما يكفي؟ ماذا لو لم نتمكن من إثبات أن مقاطع الفيديو تم التلاعب بها؟

بحلول التاسعة مساءً، شعرت بالضيق من وجودي في مكان مغلق، ووجدني علي وأنا أذرع المطبخ جيئةً وذهاباً.

سألني: "أبي، هل يمكنني مشاهدة مقاطع الفيديو تلك التي يتحدث عنها الجميع؟"

"ولماذا ترغب في مشاهدتها؟"

هز كتفيه وقال: "تعتقد محاميتك، الآنسة مارلي، أن هناك أمراً خطأ يشوبها. وأردت أن أرى إن كان يمكنني اكتشافه."

فكرت في الأمر لبضع لحظات ثم قلت: "لا أعتقد أنني سأكون أباً صالحاً إن جعلت ابني ذا السنوات التسع يشاهد تسجيلاً لأشخاص يموتون دون سبب". قال ابني وقد بدا عليه الاندهاش: "أوه، لقد كنت أريد مساعدتك فقط".

قلت وأنا أعانقه: "أعرف هذا يا بني".

تركتني علي وقد بدت عليه خيبة الأمل، الأمر الذي زاد من شعوري بالاختناق داخل جدران المنزل، فصعدت إلى الطابق العلوي وارتديت سروال حلة التدريب وسترة المباحث الفيدرالية وحذاءً رياضياً، ووجدت بري تجلس في غرفة المعيشة وتشاهد برنامج ذا فويس، فقلت لها إنني سأخرج لأركض قليلاً. "هل تريد مني أن أصحبك؟"

"ليس هذه المرة. أريد التفكير في بعض الأمور والافلن أتمكن من النوم". رمقتني بري بنظرة محايدة وقالت: "لعلمك يا أليكس، أعتقد أنه شيء مؤسف أن تمر بهذه المحنة، إن الأمر يزعجني كثيراً". قلت: "إنه شيء مؤسف بالفعل، ولكن، كما قالت نانا ماما، ستظهر الحقيقة بلا شك".

قالت: "لا أريد أن أراك سجيناً ولو يوماً واحداً قبل ظهورها". قلت: "ولا أنا أيضاً أريد ذلك".

قالت: "لا تنسَ أن سباق جيني في الصباح".

قلت: "لن أتأخر كثيراً"، ثم قبلتها وتوجهت نحو الباب. ركضت حول الحي متوارياً عن الأنظار قبل أن ألوح لسيارة أجرة وأركبها.

جلست في المقعد الخلفي وأعطيت السائق العنوان. بعد ٢٠ دقيقة، كنت أخرج من السيارة في ساحة انتظار مزدحمة بمنطقة صناعات خفيفة بالقرب من الطريق (آي ٩٥)، وعلى مسافة ليست ببعيدة من مدينة دومفريس، فيرجينيا. ربما كنت قد قدت سيارتي مروراً بتلك المباني المعدنية آلاف المرات عندما كنت أخدم في كوانتيكو ولم الأحظها قط.

منذ حوالي ١٠ أعوام، لم تكن هناك أية لافتات كبيرة مضيئة على الجانب المواجه للطريق مكتوب عليها كلمة جوديس!

كانت هناك موسيقى إلكترونية صاخبة تصدر من المبنى، وللحظة، تخيلت أن العارسين حليقي الرأس على باب الملهى لن يدعاني أدخل بسبب سترة المباحث الفيدرالية التي أرتديها، إلا أن مدير الملهى كان موجوداً في الخارج قَدراً وقال: "إن عملاء المباحث الفيدرالية مرحب بهم دوماً. إن عدد زبائني منكم يزداد يوماً بعد يوم".

دفعت رسوم الدخول البالغة ٢٥ دولارًا ودخلت الملهى الذي كان يشبه ملاهى الديسكو في حقة السبعينيات، بجدرانها السوداء ومراباه الكثرة، والكرات الملونة البراقه التي تدور وتلمع فوق منصة الرقص التي كانت تعج بالراقصين الذين يرتدون جميع أنواع الملابس، بداية من حلل السهرة إلى الملابس الجلدية.

بينما كنت أتجول في المكان، رفضت عرضين للرقص قبل أن أرى الرجل الذي حضرت للقاءه. كان رولينز، المعروف بـ كريزي كات، يقف في منتصف مجموعة من الراقصين المتعرقين يهتز ويطوح شعره الأحمر المصنف بطريقة الموهوك، ويرفع ذراعيه المليئتين بالوشوم كما لو كان أحد أتباع المذاهب القديمة المنقرضة.

عندما تغيرت الموسيقى، خرج رولينز من منصة الرقص متعرقًا وهو يلهث ويبتسم ويمازح عددًا من الرفاق قبل أن يراني. وفجأة، اختفى المرح من وجه أفضل المحللين الرقميين في المباحث الفيدرالية. قال: "ما لم تكن قد أصبحت فجأة مهووسًا بالرقص، ما الذي أتى بك إلى هنا؟".

قلت: "أنت لم ترد على اتصالاتي".
ربت رولينز على قصة الموهوك ليقيس مدى صلابتها قبل أن يقول: "أعتقد أنك لا تستحق أن تتحدث معي أو مع باترا بعد الآن".
قلت: "ماذا قلت؟".

وقف أمامي وعقد ذراعيه أمام صدره وقال: "لقد أقيت نظرة على مقاطع الفيديويا دكتور كروس، وفحصت البيانات الوصفية جميعها، ولا أرى أي دليل على أن المقاطع التي تُظهر أيدي الضحايا قد تم التلاعب بها بأي شكل كان".
استغرقت بعض الوقت لأستوعب كلماته، ثم شعرت وكأن روعي تغادر جسدي، ونظرت حولي إلى ملهى الرقص وشعرت أنه جزء من حلم غريب.
قلت: "لقد رأيت مسدسات في أيديهم".

قال رولينز: "البيانات لا تكذب".
قلت: "لا، هذا ليس صحيحًا. أقول لك يا كريزي كات إن..."
قال: "لا يمكنني مساعدتك".

وضعت يدي على رأسي وقلت: "أشعر كأنني في واقع بديل، كما لو كنت أفقد عقلي".

عقد رولينز حاجبيه وقال: "إذن يجب عليك أن تذهب للتحديث مع شخص ما، معالج نفسي على سبيل المثال، شخص يمكنه مساعدتك على استيعاب ما فعلت".

قلت: "ولكنني لم أفعل".

قال رولينز: "مقاطع الفيديو تقول إنك فعلت... تقول إن كلاً من وينسلو وديجز لم يكونا مسلحين. لقد قتلتهما بدم بارد وليس دفاعاً عن النفس".

قلت: "لقد رأيتهما يمسان بمسدسات".

قال: "ربما كان عقلك هو من تخيل تلك المسدسات حتى تتمكن من التعايش مع ما اقترفته يداك. لقد أفلت من العقاب من قبل، وربما تفلت مرة أخرى".

ثم سار العبقرى التقني من المباحث الفيديالية مبتعداً عني واختفى بين الحشود الراقصة على منصة الرقص، تاركاً إياي أحرق إلى الفراغ بغباء.

الفصل 60

لم أكن انهزامياً قط طوال حياتي، ولم أتهرب مطلقاً من مواجهة مسؤولياتي وواجباتي بصدر مفتوح، ولكن عندما كنت أجلس في سيارة الأجرة بعد ٢٠ دقيقة من اختفاء رولينز بين جموع الراقصين في الملهى، كنت على وشك أن أطلب من السائق أن يقلني إلى المطار الدولي أو محطة قطار يونيون بدلاً من المنزل.

كنت أريد أن أفر، وأحصل على هوية جديدة، وأختبئ في إحدى جزر البحر الجنوبي، وأفعل أي شيء عدا أن أعود لمنزلي وأخبر بري ونانا ماما وأبنائي بما أخبرني به رولينز. لم تكن هناك مسدسات. سيظنون أنني خُدت في أفضل الأحوال، وأنتي الشر بعينه في أسوأها. في كلتا الحالتين، سأودع سجنًا فيدرالياً، ربما لما تبقى من حياتي.

أغمضت عينيّ محاولاً تذكر الحادث بأكمله، فرأيت بوضوح مسدسًا في يد واتكنز، وفي يد فيرجينيا وينسلو، وفي يد ليونارد ديجز. شعرت بمعدتي تنقلب عندما فكرت في مقاطع الفيديو التي تظهر عدم وجود أية مسدسات قبل أن أطلق النار.

كيف حدث هذا بحق السماء؟

أعدت التفكير مرة أخرى محاولاً تذكر كل لحظة من الحادث، وتذكرت أنني كنت أحس بشعور غريب وبالذوار عندما وصلت مع كيميكو بينكس إلى

المصنع. وفي داخل المصنع شعرت... بدوار شديد؟ لماذا كنت أشعر بالدوار؟
كان هناك أشخاص يحاولون قتلي وكنت... متحفزاً؟
ربما كان رولينز محقاً، ربما كنت بحاجة لزيارة طبيب نفسي، أو على الأقل
شخص يمكنه فهم ما كنت أمر به، شخص مثل...

قلت: "أيها السائق. هناك تغيير في المسار، خذني إلى وسط المدينة".
خرجت من سيارة الأجرة عند ناصية على مقربة من سراي المحكمة.
سرت شمالاً ماراً بعدة شوارع حتى وصلت إلى شارع مألوف، تتبع الأنوار من
بعض منازلها، وحيث توجد حاويات القمامة الضخمة أمام المنازل الغارقة في
الظلام.

كانت هناك أنوار تتبع من منزل مكون من طابقين، الأمر الذي أدهشني
ولكن ليس كثيراً. لقد كان بيرني آليا يصلح المنزل.

بينما كنت أصعد الدرج إلى الشرفة الأمامية للمنزل ومنها إلى بابه الأمامي،
عدت بذاكرتي إلى المرة الأخيرة عندما كنت هنا. عدت بذاكرتي إلى غرفة نوم
تيس آليا وصوت إطلاق النار، والقفز إلى الخلف في ذهول ويأس. وبيرني آليا
المسكين وهو يندق باب الغرفة في جنون، راجياً الصمت أن يسمعه صوت ابنته،
وأن يعطيه بعض الأمل.

نفضت هذه الذكرى عن ذهني، وترددت قليلاً قبل أن أقرع الباب. بعد
لحظات، فُتح المزلاج، وانفتح الباب.
"دكتور كروس؟"

قلت: "كنت أتساءل إن كان بإمكانني التحدث إليك".
قالت تيس مبتسمة: "لقد أصبحت أحسن حالاً منذ المرة الأخيرة التي
تحدثنا فيها. إن لدينا موعداً آخر للقاء، أليس كذلك؟"
قلت: "هذه الزيارة ليست بشأنك".
قطبت حاجبيها وقالت: "حسناً إذن، تفضل بالدخول".

الفصل 61

تبعثها إلى داخل المنزل، مذكراً نفسي بأنها قد أصبحت تبدو في حال رائعة بعد شهر واحد فحسب من توقفها عن تعاطي العديد من العقاقير التي تتفاعل معاً، والتي أدت بها لأن تغلق باب غرفتها على نفسها ومعها مسدسها وتتحدث عن الفئران، وكنت ووالدها نقف خارج الغرفة، معتقدين أنها قد انتحرت.

تبين فيما بعد أن المشروعات الإنشائية التي تتم أول شارعها وآخره قد أزججت الفئران التي تعيش في الحي، وجعلتها تهاجر من أماكنها؛ وكانت تيس قد رأت الفئران مرتين في خزانة ملابسها في الطابق العلوي في وقت سابق من ذلك اليوم. وبعد أن تشاجرت مع والدها، وبسبب الحالة شبه الواهمة التي كانت تعيشها بسبب العقاقير، قررت أن تنظف الخزانة، وأن تخلي الخزانة من محتوياتها، وتجلس في انتظار ظهور الفئران لتطلق عليها النار؛ لهذا السبب كانت تصر على التحدث بصوت هامس. لقد كانت تصطاد.

بعد أن أطلقت تيس النار على أحد الفئران، تردد صدى صوت الطلقة عالياً في أذنيها للحظات طويلة مرعبة، ولم تسمع والدها وهو يطرق الباب بقوة، ثم فتحت الباب لنا بعينين محتقنتين بالدم وغير واعيتين بسبب العقاقير، وكانت لا تدري سبب انزعاجنا.

تطلب الأمر عدة ساعات لإقناع تيس بدخول مصحة نفسية في فيرجينيا حتى يتم تقييم حالتها النفسية بالشكل الصحيح، ولكنها وافقت في النهاية

ودخلت المصححة لأسبوع واحد؛ حيث خضعت لفحوصات دقيقة ومستمرة. كانت قد دخلت المصححة بسبب تناولها مزيجًا خطيرًا من العقاقير وخرجت منها حاملة عقارًا واحدًا مضادًا للاكتئاب. قال الأطباء إنها محظوظة لأنها لم تتسبب لنفسها في ضرر دائم في المخ بسبب العقاقير التي تناولتها لكي تنسى ما حدث.

قالت تيس: "أتريد زجاجة شراب؟ لقد ترك أبي بعض الزجاجات".
"بعض الماء سيكفيني".

قالت: "على الفور"، ونهضت وأحضرت بعض الماء المثلج من الثلاجة. جلست في مقعد بيرني أليا المفضل، وحضرت تيس وناولتني الماء ووضعت قدميها تحتها على الأريكة وقالت: "شكرًا لك مرة أخرى على مساعدتك لي يا أليكس. أنت الوحيد الذي أدرك أنني أمثل خطرًا على نفسي".
قلت: "أنا سعيد لأنك وافقت أن أساعدك، وهذا هو سبب حضوري للقائك".
قالت: "ما الأمر؟".

قلت: "هل كنت تتابعين محاكمتي؟".

هزت رأسها نفيًا، وقالت: "لقد نصحتني معالجي النفسي بألا أتابع أية أخبار لبضعة أشهر".

قلت: "هذه فكرة رائعة"، ثم بدأت أقص عليها ملخصًا سريعًا لآخر تطورات المحاكمة، بما فيها مقاطع الفيديو وتأكيد رولينز أن مقاطع الفيديو لم يتم التلاعب بها بأية حال من الأحوال.

قالت تيس: "ولكنك رأيت هذه المسدسات، أليس كذلك؟".

قلت: "كلما أغمضت عيني رأيتها".

قالت: "هل هناك أي احتمال أنك قد تخيلت وجودها؟".

كدت أقول لها لا، ولكنني قلت: "جزء مني لم يعد يعرف بعد الآن يا تيس، وأخشى أن أكون قد فعلت أمرًا شرييرًا، ولكن عقلي محاه من ذاكرتي بشكل ما، ووضع مكانه ذكرى مفايرة من أجل تبرير ما فعلت. هل هذا معقول؟ هل حدث معك هذا من قبل؟".

بدا الألم على وجهها قبل أن تهز رأسها نفيًا وتقول: "أنا أتذكر جميع تفاصيل الحادث، الطلقات الأولى، وردني على إطلاق النار بإطلاق النار، ثم

سماع مربية عائلة فيلبس وهي تصرخ من خلف باب الشقة. لم أتمكن من نسيان لحظة واحدة مما حدث".

قلت: "هذا ما يشعر به الجزء الآخر من ذاتي".

قالت: "حسناً إذن، لا بد من أن هذه المسدسات كانت في مسرح الحادث ثم أزيلت من مقاطع الفيديو. عليك فقط أن تثبت هذا".

رن هاتفي المحمول معلناً وصول رسالة نصية، فتحتها فوجدت أنها من بري، تقول: أين أنت يا أليكس؟ أنا قلقة عليك.

كتبت لها: أتحدث مع صديق قديم، سأعود في الحال.

نظرت نحو تيس وقلت: "يجب أن أذهب. شكراً لك على استماعك لي".

قالت: "الخير لا يُرد إلا بالخير".

وقفنا كلانا وتوجهنا نحو باب المنزل. فتحت الباب والتفت لأنظر إليها قبل أن أنصرف.

قلت: "نسيت أن أسألك. كيف تشغيل وقت فراغك؟"

ابتسمت تيس وقالت: "أركض مرتين كل يوم، وأقرأ وأحاول أن أتعلم كيفية مسامحة نفسي من دون ملء عقلي بالعقاقير".

الفصل 62

في تمام العاشرة من صباح اليوم التالي، كنت واقفاً في مدرجات الصالة المغطاة التابعة لجامعة جونز هوبكنز مع دايمون، الذي أصبح في عامه الدراسي الثاني الآن. كنا نشاهد جيني وهي تنهي فترة إحمائها. ظلت جيني صامته طوال فترة قيادة السيارة إلى هنا، صامته تماماً لدرجة أنني سألتها عما بها.

لم تكن جيني راغبة في الحديث في البداية، ولكنها أقرت في النهاية بأنها كانت مستاءة؛ لأن شخصاً ما رفع مقاطع الفيديو عن حادث إطلاق النار على موقع يوتيوب، واشتعلت شبكات التواصل الاجتماعي، وانهاالت التعليقات السيئة عليها وعلى شقيقها.

كان هذا الخبر وحده كافياً لكي يجعل اليوم أسوأ. فعندما أخبرت بري في الليلة السابقة بأن رولينز قال إن مقاطع الفيديو لم يتم التلاعب بها، رأيت في عينيها تعبيراً أقسم على أنني لم أراه مطلقاً من قبل: عدم اليقين، ليس الشك الكامل، ولا نقص الإيمان، بل الشك في الحقائق المتعلقة بحادث إطلاق النار كما وصفته أنا.

سألني دايمون: "كيف حالك يا أبي؟".

قلت: "دعنا نركز على جيني. لقد سئمت التفكير في جميع الأمور الأخرى".

سألني تيد ماكدونالد، قاطعاً حبل أفكارني: "كيف حال فتاتنا الموهوبة؟".

فوجئت برؤيته، فقلت: "ظننت أنك لن تتمكن من الحضور أيها المدرب".
 "لقد تغيرت خططي مساء أمس".

فسأله دايمون: "هل تعرف جيني بحضورك؟"
 "ستعرف بعد انتهاء السباق".

قلت: "أعني بعد أن ترى إن كانت ستطبق خطتك للسباق أم لا؟".

قال ماكدونالد: "لهذا السبب أيضًا. إن السباق يشبه السباق الماضي تمامًا،
 حتى إن كلير مايسون مشاركة؛ لذا يمكننا أن نتبع الخطة نفسها السابقة اليوم".
 "التكتيكات نفسها التي نصحتها بها من قبل؟".

قال ماكدونالد: "مع بعض التعديلات بناءً على أوقات تمرينها الأخيرة"، ثم
 أدخل يده في جيبه بحثًا عن ساعة التوقيت.

وقفت جيني في الحارة الداخلية الثالثة، وكانت كلير مايسون، بطلة ولاية
 ماريلاند، والرياضية المستقبلية بجامعة ستانفورد، تبعد عنها بحارتين فقط،
 حيث وقفت في الحارة الخامسة.

بغض النظر عن الإحباط والألم اللذين كانت جيني تشعر بهما خلال رحلتنا
 بالسيارة إلى بالتيمور، بدا كأنها قد تخلصت منهما أو كبتتهما عندما استدعى
 الحكم المتسابقات ليقفن في أماكنهن. توجهت ابنتي نحو مكانها وهي تقفز
 وتهز ذراعيها وتدير رأسها وتحقق نحو الأمام.

خفض ماكدونالد منظاره المقرب وقال: "إنها بخير حال".

اعتقدت ذلك أيضًا؛ فقد كانت تبدو مثل حالتها الطبيعية، خاصة حينما
 ابتسمت بعد أن قال الحكم: "استعداد".

وبمجرد إطلاق الحكم لمسدسه، انطلقت ابنتي من نقطة الانطلاق ببراعة،
 فقد كانت طاقتها تبدو متناغمة أكثر من كونها حماسية. بدأت تعدو بخطوات
 طويلة، وعثرت ساقاها على إيقاع منتظم مسترخ، وكانت ذراعاها تتأرجحان
 في سلاسة قبل نهاية المسار المستقيم الأول، ثم عبرت المسار المنحني بيسر
 وثقة، من دون أن تبدو عليها أي من علامات الألم.

عندما وصلت جيني إلى المسار المستقيم التالي، كانت في المرتبة نفسها
 التي كانت قد بدأت فيها السباق الماضي، في المرتبة الرابعة، لا يفصلها عن
 الفتاة التي في المرتبة الثالثة سوى مسافة قصيرة للغاية، في حين كانت كلير

مايسون في الصدارة بمسافة مناسبة؛ بحيث لم تكن هناك أية منافسة على الصدارة. حافظت جيني على سرعتها وهي تعبر الانحناء الثانية، وبدأت تزيد من سرعتها عندما دخلت المسار المستقيم.

قال المدرب وهو يضغط على أزرار ساعة التوقيت بينما كانت جيني تمر من أمامنا كالبرق: "رائع. يعجبني هذا التوقيت كثيراً".

حاولت كلير مايسون أن تزيد من تقدمها بينما كانت تخرج من الانحناء الثالثة، إلا أن المتسابقات الثلاث خلفها، بمن فيهن جيني، تمكن من اللحاق ببطلنة الولاية في المسار المستقيم. كن مقاربات بدرجة كبيرة وهن يقتربن من الانحناء الأخيرة البعيدة.

قال ماكدونالد وهو ينظر عبر منظاره المقرب: "ممتاز. والآن، انطلقني لتفوزي بالسباق يا فتاتي".

بدا كأن جيني قد سمعت كلمات مدربها؛ فبمجرد أن قالها، زادت من سرعتها بدرجة كبيرة، وسبقت الفتاة التي في المرتبة الثالثة، وأصبحت بجوار الفتاة التي في المرتبة الثانية عندما كانت تخرج من الانحناء الأخيرة. لم أتمكن من تمالك نفسي، فبدأت أصيح: "ها يا جيني".
وصاح دايمون: "أريهم من البطلة يا أختاه".

بعد ذلك، فعلت ابنتي أمراً لم أراه منذ أصيبت في قدمها. فقد أصبحت طريقة عدوها أقرب إلى الوثب، وتخطت الفتاة التي في المرتبة الثانية واقتربت كثيراً من كلير مايسون، ولم تعد هناك سوى مسافة قصيرة للغاية على خط النهاية. ألقت مايسون نظرة سريعة خلفها ورأت جيني تقترب منها، فانطلقت تعدو في خوف. ولكن، لم يكن حتى الربع الشديد قادراً على مساعدة بطلة الولاية على الفوز بالسباق في ذلك اليوم.

مع تبقي ١٠ أمتار فحسب على خط النهاية، لحقت جيني بـ مايسون، ثم سبقتها بطول الجسم عندما عبرت خط النهاية.

الفصل

63

أبطأت جيني من سرعتها، وضحكت، ورفعت ذراعيها في الهواء. وهتف دايمون، وظللت أنا الآخر أهتف وأصرخ، وقد أصبحت أشعر بأنني في حال أفضل مما كنت عليها طوال أيام، وبدا الذهول على وجه كلير مايسون المسكينة: فقد كانت طالبة في سنتها النهائية وستحصل على منحة دراسية كاملة، ولكنها هُزمت على يد فتاة صغيرة عادت للتو من فترة نقاهة طويلة بعد إصابة في قدمها.

صفق ماكدونالد عندما صعدت لنا جيني بعد بضع لحظات.

قال ماكدونالد وهو يحييها بكفه المفرودة: "هذا بالضبط ما يجب أن تفعله لتفوزي. إن الفوز بالسباق أمر رائع، وكذلك هزيمة مايسون، ولكنني أكثر منك فخراً لأنك تعاملت بانضباط وذكاء الرياضيين الحقيقيين".

قالت جيني مبتسمة: "لقد أفلحت خطة أن أظل خلفهم، وشعرت بأنني لا أزال أمتلك طاقتي عندما حان الوقت للمنافسة على الصدارة".

قال ماكدونالد وهو يغمز لها: "أعتقد أنني أحياناً أعني جيداً ما أقوله. استمتعي بلحظة انتصارك، سأحدث إليك يوم الاثنين".

سأله دايمون: "هل ستفادر على الفور؟".

قال وهو ينظر إلى جيني: "سأستقل طائرة الظهر المتجهة إلى دالاس.

جيني، خذي حماماً مثلجاً في أقرب وقت ممكن".

تأوهت جيني وقالت: "أنا أكره الاستحمام بماء مثلج".

قلت: "ولكنها ستفعل".

بعدما تركنا دايمون لدراسته، كانت جيني تتحدث بحماس بينما كنا في السيارة طوال نصف الطريق نحو المنزل، ثم بدأت تتصفح هاتفها، ثم صمتت.

قلت: "إن الأمور ليست على ما يرام، أليس كذلك؟".

لم تجبني جيني لبضع لحظات، ثم قالت: "إنهم أغبياء يا أبي، إنهم لا يعرفونك مثلما أعرفك؛ لذا، أعتقد أنه يجدر بي أن أقطع علاقتي بالبعض، وأن أخذ فترة راحة لأسبوع أو أسبوعين من جميع شبكات التواصل الاجتماعي، حتى من سناب شات وإنستجرام".

"أسبوعين؟ لقد قرأت في مكان ما أنه من المستحيل بالنسبة للمراهقات أن يبتعدن عن هواتفهن الذكية".

"حذرًا مارك زوكربيرج، فسأكون أول فتاة تفعل ذلك".

قلت ضاحكًا: "عظيم".

قالت: "أسفة على أسلوب تعاملي معك. أعتقد أنني لم أكن أهتم إلا بتأثير هذه المحاكمة على حياتي".

"وأنا أسف على اضطراركم لتحمل عواقب أفعالي. هذا ليس عدلاً بالنسبة لك ولشقيقك".

قدت السيارة في صمت لبرهة، ثم قالت جيني: "أبي؟".

نظرت نحوها ورأيت الدموع تتساب من عينيها وتغرق وجنتيها.

"ما الأمر يا حبيبتي؟".

"أنا أحبك يا أبي، وأصدقك، ولكنني أيضًا أخشى عليك".

اختلف صوتي من فرط مشاعري وقلت: "أنا أيضًا أحبك يا جيني، ولا تخشي

عليَّ أبدًا، ستصبح الأمور على ما يرام".

ولكن، كلما اقتربنا أكثر من العاصمة ومن منزلنا، كانت ثقتي بما قلته تقل.

مكتبة | 719

سُرَّ مَنْ قَرَأَ

الفصل

64

سمع علي كروس جيني وهي تدخل من باب المنزل الأمامي، ولاحظ الحماسة التي تشوب صوتها، والتي انتقلت لصوت نانا ماما، ولكن، لم يكن هذا كافياً لحمله على النهوض من أمام المكتب في غرفة مكتب والده، أو حتى إشاحة عينيه عن شاشة الحاسب التي تظهر عليها صفحة من موقع يوتيوب تعرض مقاطع الفيديو التي تُظهر والده وهو يطلق النار على ٢ أشخاص.

قرأ علي عن مقاطع الفيديو على موقع فيسبوك، ومنذ ذلك الحين، شاهدها حوالي ٢٠ مرة. كانت مشاهدته الأولى لها هي الأكثر صعوبة؛ حيث امتعض من المشهد، وأغلق مقاطع الفيديو عندما أطلق والده النار وقتل فيرجينيا وينسلو. وقد ذكره الأمر برؤية مدربة المناظرات التي كان يتدرب معها وهي تُقتل في أثناء اختطاف جريتشن ليندل، وكاد يتقيأ ويخرج كل ما في معدته.

كان قد قرر ألا يكمل المشاهدة، وكاد يفلق صفحة المتصفح، ثم تذكر الأنسة مارلي، محامية والده، التي قالت في لقاء صحفي مع جريدة واشنطن بوست قبل يوم، إن هناك أمراً خطأ يتعلق بمقاطع الفيديو، وأنه قد تم تعديلها بشكل ما، ثم قرأ علي التعليقات التي كتبها الناس على موقع يوتيوب، والتي قال أغلبها إن أليكس كروس مذنب، وأنه يستحق أن يقضي ما تبقى من عمره في السجن.

قاوم علي رغبة عارمة في البكاء بينما كان يقرأ التعليقات، وأجبر نفسه على إعادة تشغيل مقاطع الفيديو حتى نهايتها، مرارًا وتكرارًا، وكان يوقف العرض عندما تظهر أيدي الضحايا.

لا أسلحة. لا أسلحة. لا أسلحة.

ولكن، قال والده إنهم جميعًا كانوا يحملون أسلحة، فضل يعيد مشاهدة مقاطع الفيديو مرة تلو أخرى. لم ينتبه حتى الإعادة الخامسة عشرة أو السادسة عشرة إلى أن الإضاءة تتغير قبل لحظات من ظهور كل من الضحايا، حيث كانت تزداد إظلامًا، ولكن ليس بما يكفي لكي يختفوا تمامًا، ومن ثم تزداد وضوحًا حتى تتمكن من رؤية أيديهم الخالية قبل أن يُطلق عليهم الرصاص مباشرة.

فحص علي هذه الأجزاء من مقاطع الفيديو على الأقل ٢ مرات، ولكنه لم يتوصل إلى ما يعنيه هذا التغير في الإضاءة. فمد يده نحو فأرة الحاسب، وشغل مقطع الفيديو مرة أخرى عندما سمع صوت أقدام تصعد الدرج.

سقط قلبه بين قدميه، وأغلق صفحة المتصفح بسرعة، فظهر خلفها ملف مايكروسوفت وورد تظاهر بأنه يقرؤه عندما دخل والده الغرفة.

قال والده: "قالت نانا ماما إنك ظللت قابلاً في غرفتك طوال فترة الصباح". قال علي من دون أن يرفع عينيه عن شاشة الحاسب: "لديّ بحث يجب أن أسلمه يوم الاثنين".

قال والده: "حقاً؟ ما موضوعه؟"

قال علي وهو يرفع رأسه لينظر إلى والده: "السحر. مثل سحر هاري هوديني".

قال والده: "إنه الأكثر براعة على الإطلاق. وكيف يسير البحث؟"

كانت الحقيقة أن علياً كان قد أتم كتابة البحث قبل يومين، ولكنه قال: "جيد، سأنتهي في الوقت المحدد إن بذلت المزيد من الجهد".

قال والده: "رائع"، ثم نظر إلى الصناديق المكسدة التي اكتظ بها المكتب الصغير وقال: "يجب أن أفعل شيئاً حيال هذه الفوضى، أنا لا أستطيع التحرك هنا نصف الوقت".

قال علي: "قالت بري إنها صناديق أدلة ويجب عدم لمسها".

قال والده شاردًا: "الكثير من الأدلة. لا تظل هنا طوال اليوم. اذهب لتقود دراجتك في وقت ما من النهار، أو ربما يمكنك اللعب بالطبق قليلاً".

قال علي مبتسماً: "سيكون هذا رائعاً. لماذا تبدو جيني سعيدة لهذه الدرجة؟".

قال والده: "لقد فازت بالسباق وهزمت أقوى متسابقة في ماريلاند".

قال علي: "رائع. ألم تشعر بأية آلام في قدمها؟".

قال والده: "على الإطلاق"، ثم استدار لينصرف.

ناداه علي قائلاً: "أبي؟ هل تعتقد أن هناك سحراً حقيقياً؟ أن هناك أناساً

يمكنهم إخفاء الأشياء وإظهارها بشكل حقيقي؟".

قال والده: "لا، إن الأمر برمته خداع، خفة يد، دخان وإضاءة ومرايا".

أوماً علي برأسه وقال: "أنا أيضاً أعتقد هذا".

قال والده: "ألا تريد تناول طعام الغداء؟".

قال علي: "سأنزل إلى أسفل بعد قليل"، ثم نظر إلى والده بينما كان يعني

رأسه ليتمكن من العبور من الباب ثم سمعه وهو ينزل إلى الطابق الثاني، ثم

إلى الأول.

شعر علي بالقليل من الذنب قبل أن يفتح متصفح الإنترنت مجدداً. لم يكن

يحب الكذب على والده أو أن يعصي أوامره، ولكن، يجب أن يكتشف شخص ما

الخطأ في مقاطع الفيديو هذه.

ضغط على زر التشغيل مرة أخرى وقرر ألا يسرع اللقطات، وأن يشاهد

مقاطع الفيديو من بدايتها، وركّز على صورة الكاميرا التي في المنتصف،

تلك التي كانت عند الجدار الشمالي، وألقى نظرة على كامل مساحة أرضية

المصنع؛ حيث ظهرت قواعد المصابيح الثلاثة التي كانت معلقة على سطح

تجويف الجدار الجنوبي، ثم أوقف المشهد وكبّر الصورة.

كان يأمل في رؤية أية ظلال هناك خلف المصابيح توحى بوجود شخص ما،

ولكنه لم يعثر على أي منها، فضغط زر التشغيل مرة أخرى ورأى لمحة سريعة

من ضوء أزرق، ثم اختفت.

تطلب الأمر من علي ٣ محاولات حتى تمكن من تثبيت مقطع الفيديو الأوسط

على تلك اللمحة الخاطفة من الضوء الأزرق. كَبُرَ الصورة كثيراً، ولكنه لم يتمكن

من اكتشاف الشيء الذي كان هذا الضوء موصولاً به. شعر بالإحباط، وضغط

على زر التشغيل مرة أخرى، وركّز على مقطع الفيديو الثالث، الذي يُظهر كامل

مساحة المصنع، حيث كانت المصابيح موجهة نحو اللوحة الجدارية.

كَبُرَ الصورة مركزًا على المصاييح، ولكنه لم يعثر على أحد خلفها.

مَنْ كان يتحكم في الإضاءة؟ ومن أين صدر هذا الضوء الأزرق؟ ورغم محاولاتة الجهدية فإنه لم يتمكن من العثور عليه.

صاحت نانا ماما من أسفل الدرج: "علي! لقد أعددت لك اللحم المقدم والخس والطماطم. هيا لتتناول غداءك".

صاح علي: "حالا يا نانا"، ثم معا سجل المتصفح لكي يخفي آثار تصفحه، ثم أغلق المتصفح.

ثم نهض علي وتوجه نحو الدرج دون أن يلتفت إلى صناديق الأدلة المكسرة حوله، فقد كان يفكر بعمق في تلك اللحمة من الضوء الأزرق، لدرجة أنه لم يلاحظ أن الصندوق الموضوع على خزانة الملفات المجاورة له تمامًا كان يحمل بطاقة مكتوبًا عليها "تقارير التشريح".

الفصل 65

كنا على وشك الانتهاء من تناول طعام الغداء عندما سمعت طرَقًا على الباب الجانبي لمنزلنا.

زمجرت نانا ماما وقالت: "مَن الذي سيأتينا الآن؟ من المؤكد أنه أحد المراسلين الملاعين؟".

قلت وأنا أبتسم وأداعب شعر علي الذي بدا شارداً الذهن: "إن كان كذلك، فسأستدعي شرطياً حقيقياً لكي يتعامل معه".

وضعت أطباقي على طاولة المطبخ، وتوجهت نحو الباب الجانبي وفتحته، ورأيت ألدن ليندل يقف أمامي وقد بدا عليه الانزعاج.

قلت: "سيد ليندل؟"، ثم خرجت من الباب وأغلقت خلفي.

قال والد الفتاة المختطفة من مدرسة علي: "أرجو المعذرة يا دكتور كروس.

أعلم أنك تواجه الكثير من المشكلات، ولكنني لا أعرف أحداً غيرك لألجأ إليه".

أخذت شهيقاً عميقاً ثم أشرت لباب القبو.

عندما دخلنا عيادتي، وضع ليندل يده في جيب معطفه وأخرج ذاكرة

فلاشية أخرى موضوعة في كيس وقال: "هذه المرة شنقوا جريتشن".

ثم سقط على أحد المقاعد، وأخفى وجهه بيديه وبدأ يبكي قائلاً: "اللعنة عليهم، لقد شنقوا ابنتي، أو جعلوا الأمر يبدو كأنهم فعلوا ذلك، كما أنهم يبيعون تذاكر لمشاهدة العرض على شبكة الإنترنت".

تخيلت ابنتي جيني تمر بالموقف نفسه وشعرت بغثيان في معدتي، وسرت نحوه ووضعت يدي على كتفه وقلت: "لا يمكنني أن أتخيل ما تمر به الآن".

رفع رأسه نحوي بعينين محققتين وقال: "إنني وزوجتي بالكاد نتحدث إلى أحدنا الآخر، ولا يمكنني أن أعمل، وهددني رئيسي في العمل بالطرد. في بعض الأيام، لا تفارق جريتشن مخيلتي، ثم، ولبرهة من الوقت، تختفي منها تماماً. أنا لا أحصل على ما يكفي من الراحة، ثم يظهر شيء مثل هذا في صندوق بريدي. ماذا يريدون يا دكتور كروس؟ لماذا يفعلون هذا؟".

قلت: "لا أعلم، ولكن عليك أن تأخذ الذاكرة الفلاشية إلى المباحث الفيدرالية. إنهم يرفضون مساعدتي حالياً بسبب محاكمتي".

ظل يحدق إلى وجهي بعينيه البائستين وقال: "ألا يمكنك مساعدتي؟". قلت وأنا أجلس على المقعد المواجه له، منحنيًا نحو الأمام، وواضعًا مرفقيّ على ركبتيّ، وضامًا راحتيّ يديّ معاً: "أريد هذا بشدة، يا سيد ليندل. إنني أرغب بشدة في العثور على ابنتك وبقية الفتيات المختطفات، أرغب في ذلك أكثر مما تتخيل. ولكن، الحقيقة المريرة هي أنني، طبقاً لموقفي الحالي، قد أكون عقبة في طريقك أكثر من كوني مفيداً لك. أرجو أن تفهم هذا يا سيدي. أنا لم أعد ذا فائدة لك في الوقت الحالي".

لم يستوعب الرجل ما أقول، ليس فعلياً بأية حال، فنهض، وبدأ كرجل تخلى عنه الجميع.

قال ليندل بنبرة انهزامية: "لقد كنت آخر أمل لنا، ولكنني أتمنى لك حظاً حسناً في محاكمتك".

صافحته وأنا أشعر بالعجز وقلت: "لا تياس. إنهم يحتفظون بجريتشن على قيد الحياة، ما يعني أن هناك أملاً في أن تراها مرة أخرى، ولكن لن تستطيع المباحث الفيدرالية العثور عليها إن لم تسلمهم الأشياء التي تصلك على غرار هذه الذاكرة الفلاشية".

أوماً الرجل برأسه متفهماً وقال: "سأسلمها لهم على الفور".

عندما انصرف ليندل، عدت إلى عيادتي وتهاويت على الأريكة. كنت أشعر بشعور مرير في نفسي، ولكن، ما الخيار الذي أملكه؟ لم أكن قادرًا على الاستعانة بباترا أو رولينز ليقوما بتحليل ما يوجد على الذاكرة الفلاشية؛ فقد صارا يعتقدان أنني قاتل.

دق جرس هاتفي المحمول، وكانت المتصلة أنيتا مارلي.
قالت أنيتا: "أليكس، هناك أخبار سيئة. لقد دخلت القاضية لارش المستشفى. ربما أصيبت بسكتة دماغية".

قلت مصدومًا: "ماذا؟ متى؟"
قالت أنيتا: "لقد نُقلت إلى مستشفى جورج واشنطن ليلة أمس. وقد أعطوها الكثير من العقاقير فور وصولها؛ لذا يأملون في أن تتحسن حالتها، وهم يجرون عليها المزيد من الفحوصات حاليًا".

هزرت رأسي في أسف، متخيلاً القاضية لارش قصيرة القامة وهي تصعد إلى منصتها بطريقتها التي تجعلها تبدو كأنها فارعة الطول، وكأنها أطول من الحياة نفسها. تصاب بسكتة؟

قلت: "ماذا سيحدث لو لم تتمكن من إكمال المحاكمة؟"
زفرت أنيتا وقالت: "سيحكم ببطلان الدعوى".
أغلقت عينيّ وقلت: "ويحدث هذا قبل أشهر من صدور أي حكم".
قالت أنيتا: "دعنا ننتظر لنعرف تشخيص حالتها".

قلت: "أنا أيضًا لديّ بعض الأخبار السيئة. لم يتم التلاعب بمقاطع الفيديو بأي شكل، على الأقل، هذا ما أثبتته البيانات الوصفية".
ساد الصمت للحظات ثم قالت: "وكيف عرفت هذا؟".

قلت: "مصدر مؤكد من داخل المباحث الفيدرالية أخبرني بهذا ليلة أمس".
عندما تحدثت أنيتا مجددًا كان الضيق يبدو واضحًا في صوتها: "ولم تعتقد أنه من الذكاء أن تخبرني أو ناعومي بهذا الأمر؟ لقد خسرنا ١٢ أو ربما ١٥ ساعة من ..."

قلت: "كانت هذه الأخبار مدمرة بالنسبة لي، وأظن أنني لم أكن أفكر بشكل عقلاني".

زفرت ثم قالت: "حسناً، لن أتوقف عن المحاولة. فَمَنْ كلفتهم بالمهمة سيظلون يعملون على تحليل مقاطع الفيديو، بغض النظر عما أخبروك به في المباحث الفيدرالية. ولديّ بعض الأخبار الجيدة. لقد وصلتني نتائج تحليل اللعاب، واتصلت بأحد أصدقائي الكيميائيين من سان فرانسيسكو من أجل التأكد من أنني قد فهمت نتائج التحليل بالشكل الصحيح، ولكن دعنا نقل إنها نتائج مثيرة للاهتمام".

قلت: "هل يمكنها تبرئتي؟".

قالت: "مع الوضع في الاعتبار عدم قدرتنا على كشف زيف مقاطع الفيديو، لا، لن تكون كافية. ولكن، إن كنت محقة، ومع بعض التوفيق، سنتمكن من تصعيب الأمر على ممثل الادعاء قليلاً، وسنتمسك بحجة وجود ظروف مخففة للعقوبة".

بدأت أحك جبهتي وقلت: "ظروف مخففة للعقوبة؟ يبدو لي أنه يجدر بي أن أنظم أموري من الآن".

صمتت لبرهة، ثم قالت: "من الأفضل أن تكون مستعداً دوماً".

الفصل 66

كانت الساعات الأربع والعشرون التالية من أسوأ الأيام في حياتي، فعندما عادت بري، صحبتها في جولة سيرًا على الأقدام وأخبرتها بما قالته أنيتا، وتعانقنا لفترة طويلة.

قالت بري: "لا أصدق أن هذا يحدث".

"إنني أتساءل عما فعلته لأستحق كل هذا".

قالت بري: "ليس هناك وقت لرتاء الذات، ماذا سنفعل الآن؟".

قلت: "لن أستغرق في رتاء الذات، وسوف نتحرك من أجل حمايتك، أنت ونانا والأطفال، لا يمكنني أن أتخيل أن تُعاقبوا جميعكم على شيء لم تفعلوه".

في صباح اليوم التالي، وبعد العودة من دار العبادة، توجهنا نحو عيادتي في القبو، وأغلقتنا بابها، ثم بدأنا نعد قائمة بالأمر التي يجب فعلها إن حُكم عليّ بالسجن. تحويل حسابي المصرفي إلى بري، العثور على شخص موثوق به ليتولى مهمة الإشراف على جمعية جدتي الخيرية، نقل المسؤولية الطبية عن جيني وعلي بالكامل إلى بري، ونقل المسؤولية عن المدخرات الجامعية للأطفال إليها أيضًا، سؤال نانا ماما عما إذا كانت لا تزال ترغب في أن أكون منفذ وصيتها، وجعل بري المسؤولة عن ممتلكاتي إن توفيت في السجن.

قالت بري: "أشعر كأننا نستعد لجنائزتك".

سمعنا صوت طرق على باب العيادة.

قالت جيني: "أبي؟".

قلت: "نحن منشغلان يا حبيبتي".

قالت جيني: "هناك من حضر لمقابلتك".

أغمضت عيني وفكرت: منذ متى توقف الناس عن اعتبار أيام الأحد عطلات؟

قلت: "أخبريه أن يأتي للقائي في الغد".

قالت نانا ماما: "أعتقد أنك سترغب في لقائه".

لوحث بيدي في الهواء في يأس، وفتحت الباب، فوجدت سامبسون ووالدي، بيتر دراموند، والذي كان رجلاً أسود، ضخماً الجثة، مفتول العضلات، في أواخر الستينيات من عمره، يقفان في ردهة المنزل. كان وجه دراموند خالياً من التعبيرات بسبب إصابة في عصب الوجه، ترافقت مع ندبة حرق كبيرة تبدأ من تحت عينه اليمنى وتنتشر في القسم الأكبر من وجنته وفكه.

قلت: "أبي؟".

قال دراموند وهو يعانقني ويربت ظهره: "لقد حضرت لأمنحك بعض

الدعم المعنوي، لقد أقلني جون إلى هنا من مطار ناشيونال".

قالت نانا ماما: "كان من المفترض بهذه أن تكون مفاجأة".

قلت: "إنها مفاجأة بالفعل، وهي... رائعة. هل حضرت أليشيا أيضاً؟".

قال دراموند: "لم تتمكن من الحضور ولكنها ترسل إليك دعواتها".

قالت نانا ماما: "دعونا نصعد إلى الطابق العلوي. سأعد لكم إفطاراً شهياً".

بعد ذلك، خرجت في نزهة سيراً على الأقدام مع والدي وبري وسامبسون.

طرح عليّ والدي الكثير من الأسئلة؛ فقد كان دراموند يعرف عن القتل أكثر مما

يعرف أي منا، ويعرف عن الأوقات العصيبة أكثر مما نتخيل، حيث كان يعمل

رئيساً لقسم جرائم القتل في شرطة مقاطعة بالم بيتش بولاية فلوريدا طوال ٢٢

عاماً. وقبل هذا، كان يخدم ضمن صفوف الجيش الأمريكي في حرب الخليج

الأولى، والتي تعرض فيها لانفجار إحدى آبار البترول ما تسبب في حرق وجهه.

بعدما سرنا لبضعة كيلومترات، وبعد أن قصصت عليه باختصار كل ما

حدث، قال: "أعلم أن قضيتك قد تبدو قضية خاسرة لا محالة، ولكن، يجب ألا

تفقد الأمل. إنني مثال حي على ذلك. كنت قد فقدت الأمل في رؤيتك أو رؤية

نانا أو رؤية أي من الأطفال، ثم ظهرت أنت فجأة أمامي في وسط الغابة تبحث عن رفيراند مايا. إن المعجزات تحدث كل يوم".

قال سامبسون: "لعل الله يسمع كلماتك"، ثم نظر إلى ساعته وقال: "عليّ أن أنصرف، لقد وعدت بيلى بأن أشاهد مباراة ريدسكينس معها".

سألته: "هل هناك أي تقدم في قضية الشقراوات؟ هل هناك أية أخبار عن الفيديو الأخير الخاص بجريتشن ليندل؟ ذلك الذي يعرض شنقها؟".

نظر سامبسون نحو بري ثم هز رأسه وقال: "لم أسمع بشأن هذا الفيديو، ولكنني أشعر كأنني أضرب رأسي في جدار صلب".

قلت: "وماذا عن شريكك الجديدة؟".

قال: "إنها الجدار الصلب".

قالت بري: "جون"، ثم لم تتمكن من إخفاء ابتسامتها وهي تقول: "إنها ليست سيئة لهذه الدرجة".

قال سامبسون: "كما تقولين يا رئيستي"، ثم حيّانا وسار مبتعداً.

الفصل 67

في تمام الرابعة والنصف من عصر اليوم التالي، سمعت طرقاً على باب القبو، فأغلقت حاسبي المحمول، ونهضت من مقعدي سعيداً بعملي الجديد وممتناً لوجود شيء أفكر به بعيداً عن مصيري.

فتحت الباب لأجد أمامي امرأة طويلة القامة، شديدة الجاذبية، في بدايات الثلاثينيات من عمرها. كان شعرها طويلاً، أنيقاً، أسود اللون، وبشرتها بنية شديدة النقاء، أما عيناها الخلابتان بلون الشيكولاتة فكانتا واسعتين مسحوبتين من عند طرفيهما. كانت ترتدي تنورة سوداء ضيقة، وحذاء ذا كعب عالٍ، وسترة بيضاء أنيقة، وعقدًا بسيطاً من اللؤلؤ يظهر بوضوح من تحت معطفها الجلدي. وكانت ترتدي الكثير من المجوهرات، ولكن، من دون خاتم زواج.

قلت: "آنسة كاسيدي؟"

ابتسمت أني كاسيدي ابتسامة سريعة وعدلت من وضع أزرار معطفها وقالت: "يسعدني أنك وافقت على لقائي بهذه السرعة يا دكتور كروس".

قلت: "أي صديق للسيد فيوري هو دائماً موضع ترحاب. تفضلي بالدخول". أفسحت لها الطريق لتعبر الباب، فنظرت نحوي في شك قبل أن تهبط الدرج نحو العيادة. بعدما هبطت الدرج نظرت إلى الأعلى نحوي في خجل قبل أن تدخل العيادة، تاركة خلفها رائحة خفيفة من عطرها.

بعدما أغلقت باب العيادة، وجدتها قد جلست على أريكتي تتصفح هاتفها الآي فون.

قالت كاسيدي: "فقط أتأكد من جعل الهاتف صامتاً".

قلت وأنا أجلس في المقعد المواجه لها: "أقدر هذا".

وضعت الهاتف على وجهه على الطاولة المجاورة لها ثم أخذت نفساً عميقاً وزفرته في قوة وقالت: "معذرة، لم أفعل أمراً مثل هذا من قبل".

قلت: "يجدر بك أن تعلمي أنني لست هنا من أجل إطلاق الأحكام، مطلقاً. ولا شيء مما ستقولينه سيتخطى حدود هذه الغرفة أبداً".

قالت كاسيدي: "حسناً، ألن تطلب مني ملء استمارة أو شيئاً من هذا القبيل؟".

قلت: "ستفعلين هذا إلكترونياً، وسوف أعطيك المعلومات بعد أن نقرر ما إذا كنا سنعمل معاً أم لا".

فكرت كاسيدي للحظة ثم قالت: "لا بأس بهذا".

قلت متناولاً مفكرتي وقلمي: "حسناً، كيف يمكنني مساعدتك؟".

ترددت للحظة ونظرت بعيداً ثم قالت: "هل تسير في أثناء نومك يا دكتور كروس؟".

"هل هذا ما تعانينه؟ إن كان الأمر كذلك، فإنه يمكنني أن أحيلك إلى متخصص ممتاز في مشكلات النوم".

وضعت كاسيدي ساقاً على ساق وقالت: "أنا لا أسير في أثناء نومي، ولكنني أتساءل إن كنت أنت كذلك حتى أتمكن من فهم طبيعتك قبل أن أحاول تفسير الأمر لك".

بدا طلبها غريباً ومعقداً، ولكنني قلت: "لا أعتقد أنني سرت في أثناء نومي منذ كنت طفلاً".

قالت كاسيدي وهي تميل برأسها للأمام في اهتمام: "ولا منذ تزوجت".

قلت: "أخشى أنني لا أفهم ما تقولين".

قالت كاسيدي مبتسمة: "بالطبع لا، أيها السائر في أثناء نومك".

بينما كنت أعدل وضعية جلوسي، على مقعدي، بدأت أعتقد أن المرأة التي أمامي مختلة عقلياً.

فردت ساقها، ثم أعادت وضع ساق على الأخرى، وقالت: "لكي أكون صريحة: أنا مدمنة يا دكتور كروس، وأحتاج لمساعدتك".

قلت وأنا أتهد: "الأفيون؟ إن كان الأمر هكذا فهناك من هم أفضل..."
 قالت كاسيدي: "لا، ليس الأفيون".

قلت: "ماذا تدمنين إذن؟".

سألت كاسيدي وهي تبتسم: "أتحفظ كلمات أغنية روبرت بالمر القديمة؟"،
 ثم بدأت تقني قائلة: "عليك أن تواجه الأمر، إننا مدمنون على الحب".

ثم اختفت سعادتها وقالت: "هذا هو إجمال وتلخيص ما أمر به يا دكتور كروس: أنا مدمنة على الحب وأنتشي به، إذا كان هناك مثل هذا الإدمان".

الفصل 68

سمعت من قبل وعانيت قصص حب مرضي، خاصة عندما كانت الرغبة المكبوتة والهوس دافعين للقتل. ولكن، على مدار الساعة التالية، قصت عليّ أني كاسيدي ملخصًا سريعًا عن عالم مدمني الحب الذي لم يدرس إلا قليلًا، ولم يناقش إلا نادراً، وعالم من يُطلق عليهم اسم "السائرون نيامًا"، مثلي.

أخبرتني كاسيدي بأنها كانت مثل الغالبية العظمى من مدمني الحب الذين عرفتهم، وذلك لأنها كطفلة كانت تؤمن بكل جوارحها بخرافة أميرة الحكايات الخيالية، فقد كانت والدة كاسيدي تُلبسها كأميرة عندما كانت طفلة، وكانت تشركها في مسابقات ملكات الجمال، وفي كل ليلة، قبل أن تنام، كانت تقرأ عليها الحكايات الخيالية التي يظهر فيها الأمير الوسيم لكي ينقذ الأميرة من حياتها البائسة، ويحملها خلفه على ظهر حصانه الأبيض الشجاع ليعيشا معاً في سعادة إلى الأبد.

بينما كنت أستمع إليها، أدركت أن هذه القصة هي نسخة أخرى من قصة الأميرة التي أخبرني بها طالب الجامعة الدينية المهووس بالحاسب كطريقة لشرح طريقة تفكير الفتيات الشقراوات، ولكنني لم أتفوه ببنت شفة، واستمعت لها بعقل منفتح.

قالت كاسيدي في حزن وهي تسترخي في جلستها على الأريكة: "حلمت طوال حياتي بأن أعيش سعيدة إلى الأبد. عندما ظهر كيفن في حياتي، وكان في

السنة الأخيرة في جامعة نيويورك، كنت واثقة بأنه أميرى الوسيم. لم أشعر مع أحد قبله بمثل ما شعرت به معه. كانت أنفاسي تنقطع وأشعر بالغثيان عندما نفترق، وعندما نكون معاً، كنت أمسك بيده، وأشعر بحبه يغمرنى، وكنت أخبره بجميع أسرارى. هل كان هذا هو الوقوع في الحب بالنسبة لك يا دكتور كروس؟".

أخذت أتذكر الأيام الأولى لعلاقتي أنا وبري؛ كيف كنت مسحوراً بها، وكيف انقطعت أنفاسي وانعقد لساني بعد لقائنا الأول، وكيف كانت البهجة تغمرنا عندما نلتقي بعد فراق طويل.

قلت: "نعم، لم تكن نكتفي من أحدنا الآخر".

قالت كاسيدي: "وهذا الشعور استمر لعامين تقريباً، أليس كذلك؟ وخلال هذه الفترة، كنت تشعر كأنه لا أحد غيرها يهتمك في هذا العالم؟".

ابتسمت وقلت: "نعم".

قالت: "هذا لأنك عندما تقع في الحب، يفرز مخك الكثير من المواد الكيميائية؛ أولها، النوربينيفرين، ثم السيروتونين، والذي يمنحك طاقة لا نهائية، كأنك قد غمرت مخك في الكوكايين".

قلت: "أعتقد أن هذا صحيح".

قالت: "وما إن تحس بهذا الشعور للمرة الأولى، فسوف تفعل أي شيء تقريباً لكي يستمر. وربما قمت بأمر جنونى لا يمكن أن يقوم بها شخص عاقل؛ كأن تتنازل عن عرش، أو تفصل عن عائلتك، أو تتخلى عن حياتك السابقة، فقط لتكون مع حبك الجديد".

قالت كاسيدي إنها وقعت في هذا النوع من الحب الشغوف مع كيفن، وأنهما تزوجا بعد التخرج في الكلية، وظلا يعيشان بالقدر نفسه من الرومانسية طوال عامين متتاليين.

ولكن، في عام زواجهما الثالث، بدأ كيفن يعمل لساعات أطول، وعندما كان يعود إلى المنزل، كان يشعر بإرهاق شديد، ولا يمكنه فعل أي شيء عدا الجلوس أمام التلفزيون واضعاً حاسبه المحمول في حجره. ثم ازداد وزنه، ولم يعد يهتم بها.

وشياً فشيئاً أصبحت أكثر إحباطاً، ويرجع سبب ذلك جزئياً إلى أنه في حين أن كيمائيات الوقوع في الحب تحمل في طياتها فورة شبيهة بتعاطي منشطات

مثل الأمفيتامين، فإن كيماويات الحب طويل الأمد تشبه جرعة مخففة من الأفيون، تهدئ المخ، أو الأحرى تخدره.

قالت كاسيدي: "عندما أفكر في الأمر الآن، أوقن بأن هذا الشعور كان موجوداً في علاقتنا. فقد كنت أشعر بالخدر طوال الوقت، مثل السائرين نياماً. وحتى في أثناء هذه الحالة الضبابية، كان بإمكانني أن أدرك أنني قد أخفقت. لقد أدركت أخيراً أنني لم أتزوج من الأمير الوسيم في حكايتي الخيالية، بل تزوجت من الضفدع".

هذا الإدراك المتأخر حطم كاسيدي بشدة، وشعرت بأنها قد ارتضت بأقل من الحب الكامل والحياة الرائعة التي وُعدت بها. بعد ذلك بفترة قصيرة، التقت بتشيت، وهو رجل جاء للعمل في شركتها العقارية. كان تشيت وسيماً ومضحكاً، وبدأت بينهما حوارات عابرة. الأهم أنه كان يستمع لها، وفجأة اندفعت كيماويات الحب الجديد في مخها.

قالت كاسيدي: "شعرت بأنني استيقظت من سبات، وعدت حية مرة أخرى، ولكنني قمت بالتصرف الصحيح".

قالت إن الكثير من الفتيات اللاتي نشأن وسط التقاليد القائمة على خرافة أميرات الحكايات كن سيطلبن الانفصال عن الضفدع، ملمحات إلى أنهن ربما يصبحن في وقت لاحق مستعدات لإعادة الارتباط به، ويتركن الضفدع معلقاً لسنوات طويلة في حبالهن الواهية، ويعاقبونه بأن يحبطن آماله في حدوث صلح بينهم، أو يستصدرن ضده مذكرات عدم تعرض غير مبررة، أو يتهمنه زوراً بالإهمال وإساءة المعاملة.

قالت: "إنهن يفعلن كل هذا بدافع الحقد؛ لأنهن يشعرن بأنهن تعرضن للخيانة؛ فالحكاية الخيالية لم تكن حقيقية، وهكذا يصيبن جام غضبهن على الزوج، وفي الوقت ذاته يحصلن على بعض كيماويات الحب من طرف خارجي. "ولكنني لم أفعل ذلك على الإطلاق، ولم أمارس لعبة تعذيب الضفدع لمجرد أن كيفن لم يكن الأمير الوسيم؛ فقد كان من السهل جداً أن يكون غولاً، أليس كذلك؟ الخلاصة هي أنه بمجرد أن تأكدت من إخلاص تشيت في مشاعره نحوي، قلت لكيفن في وجهه إنني أريد أن أكون حرة لكي أحب من جديد، وإنني أريد الطلاق".

ظلت كاسيدي على علاقة بتثيت حتى انتهى الانجذاب الكيمائي بينهما بعد عامين، وسرعان ما حل ستيفن محل تثيت في قلبها. وبعد ٢٦ شهرًا، التقت كارلوس، وكان نموذجًا حادًا للسائرين نيامًا، وكان متزوجًا منذ ١٠ سنوات.

قالت كاسيدي ضاحكة: "أنا من أيقظ كارلوس من نومه، بقسوة".

نظرت إلى ساعة الحائط وقلت: "إن ساعتنا شارفت على الانتهاء، ولكن لدي سؤال سريع لأطرحه".

قالت كاسيدي: "تفضل".

"ماذا تريد من هذه الجلسة؟ أعني إن استمرنا في العلاج".

تهتت كاسيدي وحدقت إلى السقف وقالت: "إن علاقتي بكارلوس مستمرة منذ ١٨ شهرًا الآن. إنه رجل يحب مواجهة مشكلاته؛ فقد طلق زوجته، وأنا أحبه فعلاً. ليس هذا فحسب، بل إنه يشبهني كثيرًا. إنه أفضل صديق حظيت به على الإطلاق، ولكنني أعلم ما سيحدث بعد ٦ أشهر، أو عام على أكثر تقدير، وأنا... أعتقد أنني أريد تعلم كيف يمكنني أن أكون من السائرين نياما، وأن أتمكن من البقاء مع شخص واحد إلى الأبد".

ابتسمت وقلت: "هذا هدف جيد".

قالت: "هل يمكننا التحدث عن هذا المرة القادمة؟"

قلت: "تبدو خطة جيدة".

أخذت كاسيدي هاتفها المحمول من على الطاولة ونهضت وقالت: "شكرًا لك يا دكتور كروس".

قلت: "لا شكر على واجب. أريد منك عنوان بريدك الإلكتروني لأرسل لك بعض الاستمارات".

عقدت حاجبها وقالت: "هناك فيروس أصاب حاسبي في الوقت الحالي وليس لدي بريد إلكتروني ثابت في هذه اللحظة. سأفتح حسابًا جديدًا على جي ميل الليلة. هل يمكنني أن أرسل إليك تنبيهًا منه؟"

قلت: "لا بأس بذلك".

قالت: "شكرًا لك على تفهمك".

قلت: "هذا عملي".

قالت: "وأنت تقوم به على الوجه الأكمل"، ثم ابتسمت في حزن وانصرفت.

ظللت واقفاً في مكاني لبعض الوقت متسائلاً إذا كنت وברי من السائرين
 نياماً، وقررت أننا لو كنا كذلك، فإنني مسرور للغاية بسعادتي الزوجية الناتجة
 عن حالتي نصف الواعية.

عندما تذكرت أن هناك أوراق شجر جمعتها ووضعتها في أكياس للتخلص
 منها، خرجت من عيادتي. كانت الشمس تميل إلى الغروب، وبدأ المطر يهطل.
 حملت أكياس أوراق الشجر ودرت بها حول المنزل، ووضعتها على الرصيف.
 تصادف أن نظرت حولي إلى شوارع الحي، ورأيت كاسيدي تركب سيارة
 نيسان باثفايندر سوداء. تساءلت عما إذا كان حبيبها كارلوس هو من يقود
 السيارة، وسرت لبضعة أمتار نحو السيارة، وكنت مختلفاً في الظلال الكثيفة
 عندما مرت السيارة من أمامي وأنوارها مطفأة.

تمكنت من رؤية ظل كاسيدي وهي تميل في جلستها نحو السائق، والذي
 لم أتبين ملامحه حتى مرت السيارة من تحت أحد أعمدة الإنارة في الشارع،
 وللحظة ظهر وجهه عبر زجاج الباب المجاور له.

وما رأيته جعلني أقف في مكاني مندهشاً ومتحيراً.
 ما الذي تفعله آني كاسيدي مع ألدن ليندل؟

الفصل 69

اعتاد والد جريتشن ليندل أن يخبرها بأن المخ قد يكون أقوى أعضاء الجسم، أو أكثرها ضعفاً.

فقد قال لها قبل فترة قصيرة من اختطافها إلى عالم المختلين هذا: "إنه خيارك يا جريتشن".

كانت جريتشن ترقد على مرتبتها القذرة في زنزانتها الخشبية، وتمسك بساقها اليسرى في محاولة منها لمنع الألم الذي تسببه لها الأغلال التي تكبل كاحلها؛ لقد كانت الفتاة التي تبلغ من العمر ١٧ عاماً تبذل قصارى جهدها لتحافظ على قوتها الذهنية.

ظلت جريتشن تقول لنفسها: سأخرج من هنا. عليّ فقط أن أظل على قيد الحياة حتى تواتيني الفرصة. سأكون مثل أبي. لا شيء مما فعلوه آذاني بأي شكل، بل إنه زادني قوة. كل ما يحدث لي سيزيدني قوة.

ولكن، مرت عدة أيام قبل أن يأتوا إليها مجدداً. كانت الساعات الصامتة التي تمر الواحدة تلو الأخرى تثير جميع أنواع الأفكار السوداء في ذهنها.

بدأ الشك يتسرب إلى عقل جريتشن ويتغلغل فيه، جاعلاً إياها تعتقد أنها ستموت في هذا الصندوق. وعثر الخوف على طريقه إليها، وهمس لها بأنهم سيأخذونها مجدداً قبل أن يحدث هذا، وطفى رثاء الذات على عقلها وقلبها وأخبرها بأنها قد هُزمت.

ولكن مرة بعد أخرى، عندما كانت جريتشن تدرك أن أصوات اليأس تسيطر على فكرها، كانت تتذكر والدها وكل ما تحمّله من أجلها، وكانت تتشجع. سوف أنجو من هذا المأزق... لا يمكنهم إيدائي... هذه المحنة ستجعلني... انفتح مزلاج الباب، فأغمضت عينيها؛ فلم تكن تعلم إذا ما كان القادم سيعطيها الطعام أم يأخذها لتمارس معهم لعبتهم المريضة. إن كانوا يريدونها من أجل لعبتهم، فلن تلجأ إلى البكاء، ولن تشعر بالخوف، إذ يبدو أنهم يتغذون على خوفها. وعندما انفتح الباب، عاهدت نفسها على ألا تمنحهم ما يتغذون عليه.

قال الرجل المختفي خلف الخوذة المعتمة: "لقد حان الوقت يا جريتشن. نحن لم ننته بعد، لقد حان وقت تنظيف نفسك".
 لم تقل جريتشن شيئاً، بل ظلت تحديق عبره كما لو أنه لم يعد مهماً بعد الآن، كما لو أن شيئاً لم يعد مهماً بعد الآن.
 وقالت لنفسها بينما تحرك الرجل ليفك أصفاد كاحلها: كوني مثل والدك.
 بحق السماء كوني مثل والدك.

الفصل 70

أكان هذا والد جريتشن ليندل الذي يقود السيارة نيسان باثفايندر؟ ظللت أحاول إقناع نفسي بأنني مخطئ، ولكن كلما أغمضت عيني، كنت أرى ألدن ليندل بوضوح. ولكن لماذا؟ وكيف؟

عندما اتصلت بي أني كاسيدي لتحدد موعدًا للقائي، أخبرتني بأن السيد فيوري هو من أخبرها عني، أليس كذلك؟ ولكن عندما فكرت في الأمر الآن، تبين لي أنها لم تذكر اسمه. لقد قالت إنها حصلت على رقم هاتفي من "صديق مشترك، يواجه مشكلة كبيرة".

وماذا عن ليندل؟ لقد اتصل بي مباشرة، ولم يذكر مطلقًا أن أحدًا أحاله إليّ.

ما فرص أن يحضر شخصان إلى مكتبي يعرف كل منهما الآخر ولا يذكران أي شيء عن هذا؟

فكرت في والدة جريتشن ليندل، إليزا، وكم كانت مذهولة خلال الأيام التي تلت اختطاف ابنتها. هل كانت أني كاسيدي السبب في انفصالها عن زوجها؟ هل استخدمت كاسيدي أسماء مستعارة للإشارة إلى أحبائها؟ هل ألدن ليندل هو كارلوس؟

دخلت منزلي، وأخبرت جدتي بأنني سأخرج، وأخذت مفاتيح سيارتي.

عندما وصلت إلى الحي السكني الواقع غرب طريق متنزه كابين جون، كان الظلام حالكًا وكانت الأمطار قد توقفت عن الهطول. عثرت على العنوان الذي كنت أبحث عنه، وأوقفت سيارتي على الجانب الآخر من الشارع المواجه لمنزل ذي واجهة حجرية، مبني على الطراز الاستعماري، تزينت باحته الأمامية بحوض زهور كبير طالته يد الإهمال، وكان له مدخل سيارات مغطى بالحصى، تقف أمامه سيارة فولفو ستايشن برونزية اللون، كانت هناك أنوار تلمع عبر النوافذ الضيقة لباب المنزل الأمامي.

نزلت من السيارة وشممت رائحة أوراق الشجر المبتلة، وسرت نحو المنزل، متسائلًا عن الاستقبال الذي قد أحظى به كرجل يزور أناسًا بالليل، ومن دون موعد مسبق. رن هاتفني المحمول، فتجاهلته وصعدت الدرج المؤدي للباب وقرعت الجرس.

بدأ كلب ينبح، وكان كلبًا صغيرًا من نوع جاك راسل تيرير، وكان يشب وينبح في هياج على الطرف الآخر من النافذة المنخفضة الموجودة على اليمين. سمعت صوت امرأة تقول: "تينكر، تراجعى يا فتاة".

ظلت الكلبة تتبع، ثم عوت في اعتراض عندما أمسكت بها صاحبتها وحملتها بين ذراعيها. نظرت المرأة بحيرة نحوي عبر النافذة. ورغم الإرهاق واليأس الباديين على ملامحها، تعرفت عليها. قلت: "سيده ليندل؟ إيزا؟".

أبرزت الكلبة المستقرة بين ذراعيها أسنانها. قالت: "إن كنت مراسلًا صحفيًا، فارحل من فضلك، فأنت لن تساعدني بشيء. لا أحد يمكنه مساعدتي".

قلت: "لست مراسلًا. اسمي أليكس كروس، وأنا... أقصد أن ابني عليًا يدرس في مدرسة لاتين مع جريتشن".

ظلت إيزا تحديق إلى وجهي لبرهة قبل أن تفتح الباب، وكانت الكلبة لا تزال تزمجر كما لو أنها شيطان صغير.

قالت إيزا: "اصمتي الآن"، فصمتت الكلبة، ولكنها لم تنزل عينيها عني. كانت والدة الفتاة المختطفة في منتصف الثلاثينيات من عمرها، ولكنها بدت أكبر سنًا في سروالها الرياضي الواسع، وصندلها المنخفض من نوع

بيركنستوك، وقيصها المكتوب عليه جامعة جورج مايسون. كان شعرها غير مصفف، وكان الشيب يزحف على جذوره، وكانت عيناها محققتين بالدم ودامعتين.

قالت: "أليكس كروس؟ أنت الشرطي الذي يحاكم بتهمة القتل".

"أنا بريء من تلك التهم".

"لقد قرأت أنك قتلت ١١ شخصًا".

"على مدار خدمتي، نعم، هذا صحيح".

"وقرأت أيضًا أنك عثرت على فتيات مختطفات من قبل".

"هذا أيضًا صحيح، وكانت من بينهن ابنة أخي، التي أصبحت اليوم جزءًا من فريق الدفاع عني. يمكن للحياة أن تستمر بعد الاختطاف يا سيدة ليندل".

قالت: "هل هذا سبب حضورك إلى هنا؟"

قلت: "إلى حد ما. هل يمكنني الدخول؟"

ترددت للحظة، ثم وضعت وجهها أمام وجه كلبتها وقالت: "ستكونين هادئة الآن يا تينكر، هل سمعت؟".

لعبت تينكر وجنتها، فوضعتها إليزا على الأرض. رمقتني الكلبة بعينيها عندما أفسحت إليزا الطريق لي للدخول. شممت رائحة الشراب والسجائر في أثناء مروري بجوارها متجهًا إلى الردهة الرئيسية في المنزل، ورأيت عددًا من الخطاطيف الصغيرة التي كانت تُعلق عليها الصور فيما مضى.

سألتها: "هل هناك مكان يمكننا الجلوس فيه والتحدث؟"

"في المطبخ. أمامك مباشرة".

تبعنتني عبر الردهة مرورًا بمدخل مفتوح ثم إلى مطبخ قذر أبيض اللون، حيث كانت الأطباق المتسخة مكدسة في حوض الغسيل، وكانت هناك الكثير من الجرائد والخطابات غير المفتوحة متناثرة على الطاولة، واحتلت زجاجات العقاقير خزانتين كاملتين من خزانات المطبخ. شممت رائحة مادة مطهرة واعتقدت أنني سمعت أصواتًا مكتومة.

قلت: "كيف حالك يا سيدتي؟"

دفعت إليزا خصلة نافرة من شعرها للخلف، وقالت: "كيف تبدو لك حالي؟".

"لا أستطيع منع نفسي من التساؤل - ماذا عن الصور التي كانت في ردهة المنزل؟".

حدقت إلى وجهي، وارتعشت شفتها السفلى وقالت: "لم أعد أتحمّل رؤية وجه جريتشن بعد الآن. لقد كانت الصور تضغط على أعصابي كلما سرت في هذه الردهة".

قلت: "لا بد أنك تعانين ضغوطًا لا يمكن تحملها".

"لن يمكنك تخيل نصف ما أعانيه".

"وماذا عن زوجك؟".

تصلبت ملامحها وقالت: "أألدن؟ أألدن هو أألدن، ولن يتغير. إنه كالجبل الراسخ. لا يتخلى عن الأمل، ولا يستسلم لليأس أبدًا".

قلت: "إنني في الأصل طبيب نفسي. لا أعلم إن كان أألدن قد أخبرك، ولكنه يزورني منذ فترة من أجل العلاج".

عقدت ذراعيها أمام صدرها ونظرت لي في شك، ثم قالت: "كلا، لم يقل شيئًا".

قلت: "لقد أجرينا جلستين معًا".

قالت: "حقًا؟ وهل ظننت أنه قد يخبرني؟ لماذا لا نسأله عن سبب عدم إخباري؟".

تسارعت ضربات قلبي وقلت: "هل هو هنا؟ لقد رأيته للتويته نحو كاييتول هيل. بدا لي كأنه ذاهب لقضاء أمسية في المدينة مع امرأة أخرى".

ضحكت في سخرية وقالت: "امرأة أخرى؟ أتحدى أنه كانت تفوح منه رائحة عطر رخيص، أليس كذلك؟".

"لم أقرب بدرجة كافية لأعرف".

قالت وهي تشير إلى الباب على الطرف الآخر من المطبخ: "يمكنك أن تفعل ذلك الآن. إن أألدن جالس هناك يشاهد مسلسل صراع العروش. دعنا نذهب

ونتحدث إليه، ونكشف كل الحقائق".

قلت: "دعينا نفعل"، ثم عبرت المطبخ وخرجت من الباب.

الفصل 71

أصابتنى موجة من روائح مواد مطهرة بمجرد أن خرجت من الباب لأدخل غرفة معقمة كغرف المستشفيات.

عن يميني، كانت هناك أرفف مكدسة بمعدات وموئ طبية وشاش نظيف، وعن يساري، كان هناك أنبوب أكسجين ضخم أخضر اللون يخرج منه خرطوم يصل إلى سرير مستشفى مرفوع الظهر.

وخلف الأنبوب، كان هناك صف من الشاشات الإلكترونية التي تصدر أزيزاً وصفيراً يختلط بالأصوات الصادرة من السماعات المتصلة بشاشة كبيرة معلقة على الحائط المواجه للسرير. وطبقاً للكلمات المكتوبة على الركن السفلي الأيمن من الشاشة، كانت الشاشة تعرض الحلقة الرابعة من الموسم الثالث من مسلسل صراع العروش.

خطوت بضع خطوات داخل الغرفة، ورأيت رجلاً مستلقياً على الفراش، ذكرني مظهره بعالم الفيزياء الشهير ستيفن هوكينج؛ فقد كان نحيلاً ومحني الظهر، ومنكمشاً على نفسه بسبب المرض، وكان يتنفس الأكسجين عبر أنابيب تدخل أنفه، ويرقد على جانبه الأيمن مرتدياً نظارة، وينظر إلى الشاشة باهتمام، ولم يبد عليه أنه أدرك دخولنا الغرفة.

قلت: "هذا ليس ألدن ليندل الذي حضر للقائي".

قالت إيزا: "لم أعتقد ذلك".

"لا أعلم لماذا لم أحاول التحقق من شخصيته".

قالت: "ولماذا تفعل؟ إننا نحفظ بحالة ألدن سرًا بناءً على طلبه. كيف كنت ستعلم بأنه في المرحلة الأخيرة من مرض التصلب الجانبي الضموري؟".

قلت: "أعتقد أنه..."، ثم شعرت بالحيرة حتى أدركت أن الرجل الذي انتحل شخصية ألدن ليندل كان هو الذي أحضر لي الذاكرات الفلاشية التي عرضت مشهديّ القتل الزائفين لجريتشن ليندل.

إن أحدًا لم يرسل له هذه الذاكرات، إنه أحد أعضاء موقع قتل الشقراوات من أجل المرح، وكذلك مدمنة الحب.

انطلقت تينكر متجاوزة إيانا، وقفزت فوق السرير وهي تهز ذيلها. سمعت صوتًا إلكترونيًا يقول: "إليزا".

ابتسمت لي قبل أن تقف بجوار السرير وتقول: "أنا هنا يا ألدن". قال: "الحلقة التالية؟".

قالت: "إنك لم تنته هذه الحلقة بعد، والحلقة التالية ستعمل تلقائيًا بعد نهاية هذه الحلقة"، ثم نظرت نحوي وقالت: "إنه يجب هذا المسلسل".

قال ألدن: "إن به قزمًا ذكيًا ومشاهد مثيرة".

قالت إليزا ببساطة: "نعم، القزم تايرون، والكثير من المشاهد المثيرة. ألدن، أريدك أن تلتقي شخصًا ما. إنه يحاول العثور على جريتشن من أجلنا".

تحركت ووقفت إلى جوار فراش زوجها. كان والد الفتاة المختطفة الحقيقي يجاهد من أجل التنفس، وأدار عينيه نحوي.

قلت: "اسمي أليكس كروس، يا سيدي".

كان هناك حاسب لوحي رقمي بجواره على المرتبة، والذي حوّل عينيه نحوه وطرف بعينه ١١ أو ١٢ مرة، وربما أكثر.

بعد ثوانٍ، سمعت صوتًا صادرًا من الحاسب اللوحي يقول: "أنا أعرفك". قلت: "رائع، كيف يعمل هذا الشيء؟".

قالت إليزا: "إن هذا الحاسب اللوحي ملحق به ٣ كاميرات لتحديد إلى أين ينظر على الشاشة التي تعرض لوحة مفاتيح كبيرة. إنه ينظر إلى أحد الحروف

ويطرف بعينه. إذا طرف بعينه مرتين، يكون قد انتهى من الكلمة، وعندما يطرف بعينه ٢ مرات، يصدر الصوت".

قلت: "هذا رائع".

قالت إيزا: "أعتقد هذا".

صدر الصوت من الحاسب اللوحي مرة أخرى يقول: "إنه أمر فظيع، لو سألتني".

كان ليندل ينظر نحوي مرة أخرى، فأومأت برأسي في تعاطف.

عاد ليندل ينظر نحو الحاسب اللوحي، وبعد ثوانٍ، صدر الصوت يقول: "أين ابنتي جريتشن؟".

تذكرت ألدن ليندل الزائف وأناي كاسيدي وحضورهما إلى عيادتي وقلت: "ربما كانت أقرب مما نعتقد. في نطاق مسافة يمكن قطعها بالسيارة".

نظر والد الفتاة المختطفة إلى حاسبه اللوحي، وصدر الصوت يقول: "لا يمكنني حتى أن أبكي عليها".

وضعت إيزا يدها على شفيتها وقالت: "هذا حقيقي، إن قنواته الدمعية تنفلق، وعلينا أن نضع له قطرة في عينيه كل ساعتين".

أدار زوجها عينيه نحو حاسبه اللوحي لفترة أطول مما فعل من قبل، قبل أن يصدر الصوت قائلاً: "لقد اقتربت ساعتني يا كروس. وأمنيته الأخيرة أن أرى جريتشن مرة أخرى، مرة واحدة أخيرة".

والتفت لينظر نحوي مرة أخرى، وعلى الرغم من أن جسده ووجهه لا يتحركان، فإنني تمكنت من رؤية الرجاء في عينيه.

قلت: "سأبذل قصارى جهدي، فقط تماسك".

أعطيت إيزا ليندل رقم هاتفني المحمول، وودعتها وزوجها، وغادرت المنزل شاعراً بالعجز.

قبل يوم، ومع قوة الأدلة التي تراكمت عليّ لتدينني في محاكمتي، كنت أعتقد أن الحياة تظلمني، ولكنني التقيت للتو ألدن ليندل الحقيقي، الذي تغادر الحياة جسده بسبب مرض يسلبه الحيوية عن طريق إصابة عضلاته، واحدة بعد الأخرى، بالشلل. وها هي زوجته الشجاعة، التي ترعاه ولا تمر ثانية واحدة من دون أن تقلق بشأن ابنتها المختطفة.

خلاصة الأمر، ليس لدى ما يستحق الشكوى.

دخلت سيارتي وأنا أحمد الله على جميع النعم التي وهبني إياها في حياتي: زوجتي وأسرتي ومنزلي وصحتي وأصدقائي و...
رن جرس هاتفي المحمول، وكانت أنيتا مارلي.
قالت أنيتا: "إن القاضية لارش كانت قد أصيب بنوبة مرض عابرة، وليس سكتة دماغية".

قلت: "هذه أخبار رائعة".

قالت: "إنها كذلك بالفعل. تعجبني القاضية لارش كثيراً. إن مساعدتها يقول إننا سنعود لاستكمال المحاكمة بعد غد".

قلت: "هذه أخبار أروع".

قالت: "هل ما زلت متمسكاً بقصتك عن المسدسات؟".

قلت: "نعم، أقول لك إنني رأيتها بالفعل".

قالت: "إن خبرائي لتحليل مقاطع الفيديو يتفقون مع خبراء المباحث الفيدرالية. لا يوجد أي دليل على تعديلها، ولكنني سأحاول التشكيك في صحة هذه المقاطع بناءً على حقيقة أن الهواتف ظلت في المصنع لشهور".

لم أكن مقتنعاً بأن هذه الحجة ستفيدنا بأية حال من الأحوال. بعد ذلك، بينما كنت أدخل طريق فيفث، رن هاتفي مرة أخرى.

قال سامبسون: "هل أنت مشغول غداً؟".

قلت: "لا توجد محاكمة حتى يوم الأربعاء".

قال سامبسون: "أخبر بري بأنني سأصحبك لنصطاد السمك في بنسلفانيا لأصفي ذهنك مما تمر به. سأمر عليك في الخامسة صباحاً".

الفصل 72

وسط الضوء الرمادي البارد لفجر ذلك اليوم من أيام الخريف، وقفت أشاهد الضباب وهو يلتف حول جذوع أشجار البلوط، ويتخلل أغصانها العارية. كانت هناك مجموعات من ثمار البلوط لا تزال متعلقة بالأغصان، ولكن، كانت أعداد كبيرة منها متناثرة على أرض الغابة. كان المكان هادئًا إلا من صوت جدول يتدفق من بعيد، وبعض الأصوات العشوائية لسقوط ثمار الأشجار على الأرض. قال سامبسون من خلفي: "أليكس؟ لقد جعلته يعمل أخيرًا".

التفت نحوه لأرى أنه ينظر إلى جهاز آي باد موضوع على غطاء محرك سيارته الجراندي شيروكي. كنت لا أزال ممسكًا بفنجان قهوتي الثاني الكبير، وسرت نحوه، ونظرت إلى شاشة الآي باد التي كانت تعرض اتصالًا بالقمر الصناعي.

كان سامبسون قد شغل تطبيق "جوجل إيرث" الذي منحنا منظورًا من أعلى، بأسلوب عين الطائر، على منطقة منعزلة تقع على مسافة ٦٠ كم شمال غربي ويليامزبورت بولاية بنسلفانيا، حيث تلتقي عدة جداول، مكونة نهرًا صغيرًا يبعد مسافة ٤,٥ كم فقط عن مكان وقوفنا. كان النهر الصغير يمر بضبيعة تبلغ مساحتها ٥٠ فدانًا، وتحازي طريقًا ريفيًا غير ممهد. كان هناك طريق سيارات طويل من حارتين يخرج من هذا الطريق مارًا بالبساتين وصولًا إلى صف من أشجار الصنوبر الضخمة التي تخفي فجوة كبيرة بين تلين.

كان هناك منزل ريفي يقع في منتصف منطقة خالية من الأشجار في قاع هذه الفجوة، وكانت هناك حظيرة أكبر حجماً من المنزل وخمس سقيفات أخرى ومبانٍ أصغر حجماً. كانت هناك حديقة كبيرة تقع خلف الحظيرة، وبجوار الحديقة، كان هناك طبق أقمار صناعية ضخمة.

ضغطت على الشاشة عند موضع طبق الأقمار الصناعية وقلت: "هل هذا هو مصدر بثهم؟"

أوما سامبسون برأسه قائلاً: "هناك الكثير من البيانات تدخله وتخرج منه، كما أن هناك الكثير من الكهرباء تُستهلك في هذه الضيقة، كما أن الكثير من مقاطع الفيديو المرفوعة على موقع قتل الشقراوات من أجل المرح أتت من طبق الأقمار الصناعية هذا. لقد حصلنا على عنوان بروتوكول الإنترنت الخاص به." قلت: "يبدو هذا غريباً. عندما فحص كريزي كات رولينز هذا الموقع، لم يتمكن من معرفة مكان رفع أغلب مقاطع الفيديو هذه؛ لأنها كانت مشفرة بالتشفير البصلي. كيف تمكن رجالنا من تتبعها؟"

قال سامبسون: "ربما أصبح الأشخاص الذين يصنعونها أكثر تراخياً. فهذا وارد".

قلت: "إن الغابة هنا تشبه الغابة التي ظهرت في مقاطع الفيديو الخاصة بجريتشن ليندل ودليلة فرانكس، وبقية الشقراوات اللاتي كن يركضن وسط الغابة؟"

قال سامبسون: "أذكر هذا، كما أن الفتاتين الأخريين اختفتا من مكان يبعد بمسافة ٩٠ كم عن هنا. ربما كن جميعاً داخل هذا المنزل أوفي المياني الملحقة به".

قلت: "أتمنى لو كان معك أمر تفتيش". قال سامبسون: "ليس لدي ما يكفي من أدلة، كما قال القاضي؛ لهذا السبب أنت هنا معي، وليست فوكس. كما قلت، إننا ذاهبان للصيد".

عدنا إلى داخل السيارة، وأحسست بشعور رائع؛ لأنني سأخرج في مهمة مع سامبسون مجدداً. بدا العالم في عيني أفضل بكثير مما كان وأنا أغادر منزل عائلة ليندل في الليلة السابقة.

فَعَلَّت تطبيق خرائط جوجل على الآي باد، واستخدمته لتحديد وجهتنا عبر متاهة الطرق الترايبية التي تلتف حول الضيعة. في مكان ما من الضيعة، كان هناك حاسب يخص شاباً في السابعة والعشرين من عمره يُسمى كارتر فلينت، وعلى صورة القمر الصناعي، كانت هناك ٦ أو ٧ سيارات تقف في فناء فلينت. ولكن، عندما مررنا بذلك السور من أشجار الصنوبر ودخلنا الفجوة، رأينا سيارتين فقط: سيارة من نوع فورد رانجر ذات لون أحمر باهت، وسيارة قديمة من نوع تويوتا كورولا بدا كأنها تحتاج إلى ممتص صدمات جديد، وكانت مقدمة كل منهما تتجه نحو جسر يمر من أسفل المنزل الريفي.

أوقف سامبسون سيارته خلف السيارتين تماماً بحيث يمنعهما من الحركة، ونزلنا من السيارة. كان الضباب ينقشع عن قمتيّ التلين المحيطين بالفجوة، سمعنا صوت كلب ينبح من مكان بعيد خلف الحظيرة، ومن مكان أقرب، سمعت صوت أغنام وحيوانات أخرى.

سرنا على الطريق الحجري المتعرج، وطرقتنا باب المنزل الرئيسي. لم نطلق إجابة، ولم نسمع أصواتاً من الداخل. طرقت سامبسون الباب مرة أخرى، واعتقدت أنني لمحت حركة سريعة في النافذة التي تقع عن يميني. ولكن ما من مجيب.

قلت: "دعنا نلق نظرة في أرجاء المكان. ربما كان فلينت في الحظيرة". وبينما كنا نعبّر الفناء ونقترب أكثر من الحظيرة، صارت أصوات الحيوانات أقرب وأكثر هياجاً. طرقت الباب الجانبي، ثم أدت مقبضه، ودفعت الباب فانفتح، ودقت الأجراس المعلقة على المقبض من الداخل.

بدأ الخروف يمامئ في رعب، وكذلك فعل الكلب؛ الذي بدا يائساً؛ وانطلق ينبح ويعوي.

خطونا إلى الداخل، وفتحنا مساحة الحظيرة بنظرة واحدة سريعة ومرتبة.

قال سامبسون: "يا إلهي! هذا أمر مشين".

الفصل 73

كان هناك ماعز يزن حوالي ١٨ كجم أو نحو ذلك، وكان موضوعًا في قفص صغير، وكانت هناك قطعة كبيرة من جلده مسلوخة على طول عموده الفقري؛ وبدا واضحًا أنه يتألم كثيرًا.

وكان هناك حَمَلٌ في قفص مجاور لقفص الماعز، وكانت ٢ من قوائمه الأربع مكسورة، وكان يجاهد من أجل الوقوف.

أما الكلب، وكان من فصيلة بيجل، فكان مضروبًا بشيء غير حاد، وكان يحاول أن يقف على قوائمه المرة تلو الأخرى، ولكنه كان يسقط في كل مرة وينبح طلبًا للمساعدة.

كانت هناك ٢ كاميرات محمولة موضوعة على قوائم ثلاثية وموجهة نحو الأقفاص، وخلف الأقفاص، كانت هناك طاولة عمل طويلة بطول الجدار الجانبي بالكامل، وقد تراصت فوقها معدات غريبة لتحنيط الحيوانات، وحيوانات محنطة بالفعل في أوضاع تعذيب غريبة.

وخلف الطاولة، كان باب الحظيرة المنزلق الخلفي مفتوحًا، وتظهر من خلفه الحديقة، وكان هناك ٢٠ أو ربما ٤٠ حيوانًا آخر - كلاب وقطط صغيرة، وحيوانات برية مثل الظربان والأبوسوم، وحتى البوم - محنطة في أوضاع تظهر

معاناتها وموضوعة في الحديقة في صفوف صغيرة مرتبة. كان بعضها يرتدي ملابس الدمى، الأمر الذي جعل الموقف يبدو أكثر إزعاجًا. قال سامبسون: "إننا بحاجة لطلب الشرطة المحلية".

قبل أن أرد عليه، ظهر رجل يضع سماعات الأذن عند بوابة الحديقة. كان نحيلًا للغاية ويرتدي سروالًا مثل الذي يرتديه الدهانون وقميصًا أخضر اللون، وكانت بشرته شاحبة كشحوب الموتى، وعيناه ضاربتين إلى الحمرة، وكان شعره خفيفًا في لون الثلج.

خطا خطوتين إلى داخل الحظيرة، وبينما كان يبتسم ناظرًا إلى الحيوانات المصابة في أقفاصها، رأنا واقفين بجوار الباب. فخلع سماعتني أذنيه. وقال: "مَنْ أنتما بحق السماء؟".

قال سامبسون رافعًا شارته: "الشرطة. هل أنت كارتر فلينت؟".

كان فلينت مصدومًا، فلم يتمكن من التفوه ببنت شفة، وظل ينقل بصره للحظات ما بين شارة جون والحيوانات المصابة، ثم دار حول نفسه وانطلق يعدو بأقصى سرعة عابرًا باب الحظيرة.

انطلقت في إثره، رغم أنني لم أكن أملك أية سلطة قانونية؛ بل لم أكن شرطياً حتى، ولكن، بعدما رأيت ذلك المشهد الرهيب، لم أكن لأترك هذا السادي يفر بفعلته.

كذلك لم يكن سامبسون مستعدًا لتركه يفر، ووجدته يعدو خلف كتفي اليسرى مباشرة، خارجًا من الحظيرة إلى الحديقة. كان فلينت سريعًا ورشيقيًا، على العكس مما توقعنا، وفوجئنا به يعبر حدود الحديقة، ويعدو خلف اثنين من المباني الملحقة بالمنزل نحو حاز الأشجار الشمالي عند قاعدة الفجوة على مسافة تصل إلى ١٢٠ مترًا.

صاح سامبسون: "إذا وصل إلى الغابة فسنفقد أثره".

جززت على أسناني، وعدوت عبر صفوف الحيوانات المحنطة حتى وصلت إلى العشب، ثم حدثت لنفسي أن أكون مثل جيني - استرخ واركض. عدوت لمسافة ٢٥ مترًا، وكنت واثقًا بالحقاق به، ولكن، كان فلينت أكثر شبابًا مني، وبناءً على فارق المسافة الذي كان يزداد بيننا، كان أكثر مني لياقة بدنية.

ولكنه لم يكن أكثر لياقة بدنية من سامبسون الذي انطلق بأقصى سرعة وتمر بجانبه كالسهم.

عندما كان فلينت على بعد ٣٥ مترًا من الغابة، تعثر في عشب طويل متشابك، فأبطأ من سرعته، ولكنه لم يبطئ من سرعة جون، الذي مكنته ساقاه الطويلتان من القفز فوق العشب لكي يلحق بالرجل السادي. نظر فلينت خلفه في يأس ثم اتجه نحو الغابة مباشرة.

فركض سامبسون بسرعة أكبر عابراً العشب وقفز خلفه.

الفصل 74

ارتطمت كتف سامبسون، ووزنه البالغ ١٠٠ كيلوجرام تقريباً، بساقيّ فلينت من الخلف، فأسقطه فوق العشب الطويل المبتل. عدوت نحوهما لاهتاً بينما كان جون يجثم فوق الرجل السادي ويثبت كتفيه إلى الأرض.

توجع فلينت قائلاً: "ركبتي. لقد انكسرت، وكذلك انكسرت ضلوعي".

أخرج سامبسون أصفاداً بلاستيكية ربط بها ذراعي فلينت خلف ظهره، الأمر الذي جعله يصرخ من الألم.

وقال: "ضلوعي".

قال سامبسون: "سحقاً لضلوعك، وسحقاً لركبتك، أنت محظوظ لأنني منعت نفسي من تحطيم أسنانك".

ساعدت سامبسون على النهوض، ثم حملت فلينت ليقف على قدميه، ولكن انثنت ساقه اليسرى تحته وبدأ يئن.

قال فلينت: "لا يمكنني منع نفسي من ذلك يا رجل. إنني مصاب بمرض عقلي. حاولت أن أتوقف، بالفعل، ولكن..."

قال سامبسون: "احتفظ بكلماتك هذه لتقولها أمام القاضي".

قلت: "أين الفتيات الشقراوات؟ في أي مبنى من هذه المباني؟"

لم تبد عليه أية ردة فعل في البداية، ثم بدت عليه الحيرة وهو يقول: "أية فتيات شقراوات؟".

قال سامبسون: "الفتيات اللاتي صنعت أفلاماً عنهن، وبها مشاهد القتل الزائفة، ورفعتها على موقع قتل الفتيات الشقراوات".
 قال فلينت: "كلا، لقد شاهدت بعضاً من الأفلام المجانية على هذا الموقع بالفعل، ولكنني لست من صنعها".

قال سامبسون: "جميع الأفلام المرفوعة على الموقع مؤخراً رُفعت عبر عنوان بروتوكول الإنترنت الخاص بك".
 هزّ فلينت رأسه نفيًا وقال: "أنا لم أشارك يوماً في هذا الموقع، أنا أصنع أفلاماً عن تعذيب الحيوانات من أجل مواقع الحيوانات، ولكنني لا أفعل هذا مع البشر. أنا لا أعذب البشر أبداً".

قلت: "حاول أن تقنع هيئة المحلفين بهذا بعد أن يروا ما يوجد في حظيرتك".

قال فلينت: "أنا أخبركم بالحقيقة. ربما كنت أستحق العقاب بسبب ما فعلته، وبسبب طبيعتي هذه. ولكن، إن كانت مقاطع الفيديو عن الشقراوات تلك قد تم رفعها من عنوان بروتوكول الإنترنت الخاص بي، فلا بد أن هناك شخصاً قد اخترق حاسبي وسيطر عليه. هناك من يريد تليفيق التهمة لي".

الجزء الرابع

دفاعاً عن

أليكس كروس

الفصل 75

قبل أن يخيم الظلام بقليل، أوصلني سامبسون إلى ناصية الزقاق الذي يمر من خلف منزلي. كانت محاكمتي ستُستأنف في الصباح، ولا بد أن هناك الكثير من الصحفيين يقفون أمام منزلي.

كان هناك الكثير من الصحفيين الذين تجمعوا عند نهاية الطريق المؤدي إلى منزل كارتر فلينت عندما غادرنا. بعدما اتصل سامبسون برئيس الشرطة المحلية ليخبره بأننا ألقينا القبض على أحد المواطنين في نطاق سلطته، انتظرنا حتى أصبح فلينت في عهده، وحتى قُتلت الحيوانات الثلاثة المسكينة قتلاً رحيماً، ثم ساعدنا على البحث عن الفتيات. عثرنا على الكثير من الأدلة المفزعة التي ستضع فلينت في السجن؛ أو في مصحة نفسية لسنوات طويلة، ولكننا لم نعثر على أثر لجريتش ليندل أو دليلة فرانكس أو الشقراوات الأربع الأخريات المختلفات.

دخلت من بوابة حديقتنا الخلفية سعيداً بالظلام، ودلفت إلى المنزل عبر الباب الجانبي. كان والدي وجيني يشاهدان شريطاً مصوراً لسباقها في جامعة هويكنز، وكانت بري في المطبخ مع نانا ماما.

قال والدي: "كيف كان الصيد؟"

وقبل أن أجيب، قالت بري بخبت: "نعم، كيف كان الصيد؟"

نظرت إلى والدي نظرة ضيق، ثم سرت نحو المطبخ قائلاً: "هل عرفت؟"

عقدت بري ذراعيتها أمام صدرها وقالت: "عرفت كل شيء. فيم كنت تفكر عندما ذهبت إلى هناك وأقحمت نفسك في الأمر بهذه الطريقة؟"
 قلت: "كان هذا اختيار جون من دون إجبار مني. كنت مجرد مرافق له."
 لم تكن بري سعيدة بما تسمع حين قالت: "لقد قلت إنك ستكون صريحًا معي".

خفضت صوتي وقلت: "صريحًا معك؟ حسنًا، لقد كان الأمر سيئًا. كانت أسوأ حالة تعذيب للحيوانات رأيتها في حياتي. أشعر كأن العالم لم يعد آمنًا، ولكننا تمكنا من حماية المزيد من الحيوانات من أن تقع ضحية ذلك الحقيير".
 جاهدت بري لتتمالك أعصابها، ونظرت بحدة في عيني، ثم لوحت بذراعها في الهواء قائلة: "اذهب لتستحم".

التفتت نانا ماما نحوي وقالت: "سيكون العشاء جاهزًا بعد نصف ساعة".
 قلت: "إن الرائحة رائعة، ماذا تحضرين لنا؟".
 قالت: "هذا سر".

قلت وأنا أتكى على كتف بري الغاضبة وأقبل وجنتها: "سأعود على الفور".
 نادتني جديتي بعد أن غادرت المطبخ قائلة: "هناك شيء على الطاولة من أجلك يا أليكس".

عندما وصلت إلى الردهة الرئيسية للمنزل، رأيت خطابًا بريديًا صغيرًا من البريد الأمريكي موجهًا إلى الدكتور كروس، من دون عنوان للمرسل. فتحت الخطاب لأعثر على ذاكرة فلاشية من النوع نفسه الذي أعطاني إياه ألدن ليندل الزائف، وكانت موضوعة داخل حاوية بلاستيكية.

قلت منوحًا بالحاوية البلاستيكية إلى بري: "ربما تريدان رؤية هذا".
 توجهنا معًا إلى عيادتي في القبو. ارتدت بري قفازًا بلاستيكيًا وأوصلت الذاكرة انفلاشية بالحاسب. بعد لحظات، بدأ تطبيق تشغيل الفيديو عمله، وظهر مقطع فيديو ذواضاءة منخفضة تظهر فيه امرأة تكبل الأصفاد معصميهما، حافية القدمين، ترتدي رداء نوم أبيض ممزقًا. كان هناك غطاء أبيض اللون على رأسها، وكانت تُقاد إلى جدار حجري مغطى بالطحالب بصحبة رجلين يرتديان ملابس سوداء بالكامل.

عندما وصلوا إلى الجدار، بدأ أحد الرجلين يديرها حول نفسها، ورفع الرجل الثاني الغطاء من على رأسها، كاشفاً عن فتاة شقراء مراهقة مكمنة الضم.

شعرت بالفزع وقلت: "إنها جريتشن ليندل".

نزع الرجلان الكمامة، والتفتت الكاميرا إلى الخلف لتظهر ٣ رجال يقفون على بعد حوالي ١٥ مترًا من جريتشن. كانوا جميعاً يغطون وجوههم، وجميعهم متشحون بالسواد، وجميعهم يمسكون ببنادق.

قال حامل الكاميرا: "مستعدون".

أعد الرجال الثلاثة بنادقهم للإطلاق.

توقعت أن تقع جريتشن على ركبتيها وتطلب منهم الرحمة.

ولكنها، وقفت في مكانها مستندة إلى الجدار الحجري ورفعت ذقتها في وجه الرجال حاملي البنادق.

صاحت جريتشن في وجوههم قائلة: "هيا، لست خائفة منكم. يمكنكم فعل ما يحلو لكم، فلست خائفة من أي منكم".

قال حامل الكاميرا: "تصويب".

صرخت جريتشن قائلة: "لن تفعلوها. إن قتلتموني، فلن تمارسوا ألعابكم مرة أخرى، إن قتلتموني...".

قال حامل الكاميرا: "إطلاق".

وانطلقت البنادق، ووسط الضوء الضعيف الذي يضيء المكان، ظهرت ألسنة اللهب البرتقالية من فوهات البنادق. ومن خلال الشظايا والشرارات التي لمعت في المكان، بدا أن الطلقات أصابت الحجارة على بعد سنتيمترات قليلة من رأس جريتشن.

انهارت جريتشن، وركعت على ركبتيها وهي ترتجف في رعب.

بكت جريتشن قائلة: "لا تفعلوا، لا تفعلوا".

ثم ثبتت الصورة، وسمعت صوت ألدن ليندل الزائف يقول: "في المرة القادمة، سيكون القتل حقيقياً يا دكتور كروس. في المرة القادمة، ستموت كل شقراء حقيرة، بمن فيهن جريتشن الصغيرة، ولن تتمكن من العثور عليّ قبل

أن أفعل ذلك. إنني موجود فقط في الفراغ الرقمي، إنني خفي، وأسبقك أنت والمباحث الفيدرالية دوماً بعشر خطوات".

انتهى مقطع الفيديو بالبريق المبهر الذي رأيتَه للمرة الأولى عندما شغلت الذاكرة الفلاشية الأولى.

قلت وأنا أتفكر في إصرار فلينت على أن هناك من اخترق حاسبه: "لا بد من أنه جزء من مؤامرة قتل الشقراوات".

ثم تذكرت أن ألدن ليندل الزائف قد أرسل لي الذاكرة الفلاشية بالبريد بدلاً من إحضارها بنفسه.

فقلت: "لقد عرف أنني كشفت أمره".

كيف؟ ظلت صورة البريق الذي في نهاية مقطع الفيديو تتردد في ذهني حتى شعرت بالكثير من الشك.

قلت مخاطباً بري: "أعتقد أنه تمكن من التجسس على حاسبي بطريقة ما، وربما تجسس أيضاً على أجهزة المباحث الفيدرالية، هذا ما سيجعله يتقدم علينا بعشر خطوات، أليس كذلك؟".

الفصل 76

عندما دخلت أخيراً لأستحم، لم أعد أشك في أن حاسبي قد تعرض للاختراق بواسطة ألدن ليندل المزيف، بل أصبحت متيقناً من ذلك. كنت قد اتصلت برولينز وباترا في المباحث الفيدرالية لأحذرهما، ولكنهما لم يردا على اتصالاتي، فتركت لهما رسالة مفادها أنني أعتقد أن أجهزتهما في خطر أيضاً. وأنتي أتمنى أن يتصل بي أي منهما في أقرب وقت ممكن.

عندما وضعت نفسي تحت الماء الساخن، شعرت بالذعر مجدداً بسبب ما فعله فلينت بتلك الحيوانات، ومن حقيقة أنه ادعى أن هناك عشرات الآلاف من المشتركين في المواقع التي يبيع أفلامه عليها. هل كان هذا حقيقياً؟ ما المتعة التي قد يجدها المرء في مشاهدة معاناة الحيوانات البريئة؟

كنت أشعر بالعجز لدرجة جعلتني أشعر بالغضب، وازداد هذا الغضب أكثر عندما فكرت في عدم قدرتي على المشاركة في البحث عن الشقراوات المختطفات، خاصة جريتشن ليندل. يا لها من شجاعة تلك التي أبدتها في مواجهة هؤلاء الرجال بهذه الطريقة وتحديهم!

عندما عدت أخيراً للتفكير في محاكمتي، كنت لا أزال أشعر بالغضب، ثم بالكآبة.

هناك شاهدان يقولان إنني أطلقت النار على ٣ أشخاص من دون سبب، كما أن هناك مقاطع فيديو مصورة عن إطلاق النار من دون وجود دليل على التلاعب فيها أو أي شيء يشير إلى أن هناك من يرغب في تليفيق التهمة لي.

ظل ثقل هذه الحقائق الباردة القوية يتزايد على كاهليّ، بينما كان مزاجي يزداد تعكراً. هناك مؤامرة تُحاك حولي، والهدف منها النيل مني، والمؤامرة ناجحة للغاية. إن تروس العدالة تستعد لطحني، ولم أكن أرى أي مهرب منها. ارتديت ملابسني وهبطت إلى الطابق السفلي متعكر المزاج. قالت بري عندما دخلت المطبخ مرة أخرى: "ألا تبدو رائحة وصفة الجدة السرية رائعة؟".

أومأت برأسي شارداً.

عندما دخلت غرفة المعيشة الرئيسية، سمعت والدي يقول: "أعتقد أنني أحب رائحة هذه الوصفة السرية".

قالت نانا ماما: "ستحبها بالتأكيد. أين علي؟".

قالت جيني وهي تدير عينيها: "أين كان طوال الأيام الأربعة الماضية، إنه يجلس في مكتب أبي القديم ويفلق الباب على نفسه".

قلت: "هل لا يزال يعمل على بحثه عن هوديني؟ سأذهب لإحضاره".

قال والدي وهو يدخل المطبخ: "دعني أفعل، امنحني بعض الوقت لأقوي علاقتي بحفيدي".

اختصى دراموند، وساعدت بري على إعداد الطاولة متسائلاً عن المرات المتبقية التي سنؤدي فيها هذا الفعل معاً. فتحت زجاجة من الشراب وصببت لنفسي كأساً كبيرة.

كانت بري واقفة تراقبني.

قلت: "كأس واحدة كبيرة".

"أنت تستحق كأسين كبيرتين".

قالت نانا ماما وهي تحمل قدرًا حديدية كبيرة ذات غطاء وتضعها على صينية سهلة التدوير موضوعة على طاولة الطعام: "العشاء جاهز، والأرز في الطريق. أين علي؟".

وقبل أن أجيبها، توجهت إلى الدرج ونادت: "العشاء يا علي، سيبرد طعامك إن لم تهبط على الفور".

صاح والدي من أعلى: "دقيقتين فحسب، إنه يريني شيئاً ما".

عادت جدتي إلى الطاولة وهي تتمتع مستاءة بصوت هامس. كانت تحب دومًا أن نلتزم بوجودنا حول الطاولة بمجرد أن تنتهي من إعدادها، وبدا على

وجهها تعبير غاضب عندما أحضرت وعاءً كبيراً ساخناً من الأرز بالياسمين وجلست إلى الطاولة.

قالت الجدة: "دعونا نردد الدعاء. لسنا مضطرين إلى الانتظار".

بعدما انتهينا من دعائنا على طعامنا، رفعت نانا ماما غطاء القدر، وجعلتني الرائحة المتصاعدة منه أقرب وجهي منه وأبتسم.

قالت جدتي: "قريديس كبير منقوع في الطماطم الطازجة، والبصل والثوم وخطتي السرية".

قالت جيني بعدما أخذت قضمته الأولى من الطبق: "نانا ماما، ما هذا؟".

قالت مبتسمة: "هذه وصفتي السرية. لذيذة، أليس كذلك يا أليكس؟".

قلت وأنا شارداً الذهن: "رائعة".

قالت نانا ماما: "لا يبدو أنك منبهر للغاية بما تذوقت".

وضعت شوكتي جانباً وقلت: "إنها لذيذة يا نانا، حقاً، ولكنني أرغب في

التحدث عما ستصبح عليه حياتنا جميعاً إن دخلت السجن".

امتقع وجه نانا ماما، وشردت بري، واغرورقت عينا جيني بالدموع وقالت:

"لا أريد التفكير في هذا الأمر يا أبي. أنا ..."

دخل علي المطبخ علينا مهرولاً وقال: "أبي، لن تصدق ما أتيت لأخبرك

به".

قالت الجدة: "ليس هذا الوقت المناسب يا علي".

قاطعها ابني قائلاً: "ولكني..."

صاحت جيني: "ليس الآن يا علي"، ثم انفجرت بالبكاء.

ظهر والدي من خلف علي وقال: "من الأفضل أن تستمع لما سيقوله علي يا

بني".

الفصل 77

بدأت القاضية لارش متعبة ولكن عاقدة العزم وهي تطرق بمطرقتها وتعلن انعقاد جلسة المحكمة في تمام التاسعة من صباح اليوم التالي. كنت قد ظللت مستيقظاً حتى الثالثة صباحاً الليلة السابقة، ولم أحصل على قدر كاف من النوم، وكنت أشعر بأنني مشوش ومتوتر بسبب فنجاني القهوة البرازيلية المركزين اللذين شربتهما.

نظرت لارش عبر عدستي نظارتها السميكتين وقالت بصوت واهن: "آنسة مارلي، هل حلل خبراؤك مقاطع الفيديو؟"
بدأ الضيق على وجه أنيتا وهي تقول: "لقد اتفقوا على أن مقاطع الفيديو لم يتم التلاعب بها رقمياً. الدفاع لا يمتلك أية اعتراضات أخرى على مقاطع الفيديو".

بدأت خيبة الأمل على وجه القاضية، وبدأ وجه المحامي العام المساعد ناثان ويلز خالياً من أية تعبيرات، ولكنه كان يومئ برأسه ويهز ركبتيه، وربما كان يراجع في ذهنه مرافعته الختامية.
ثم قالت لارش: "سيد ويلز؟"

قال ممثل الادعاء: "لحظة سيدتي القاضية"، ثم مال على أذن مساعدته أثينا كارلايل، وهمس لها بشيء ما.
جفلت كارلايل وبدأ على وجهها تعبير واجم وهزت رأسها بقوة، واحتدم النقاش بينهما، ثم هبَّ ويلز واقفاً.

نظر إلى مساعدته المتجهمه وأرجع كتفيه إلى الخلف، الأمر الذي أبرز كرشه الكبير من تحت قميصه الأبيض المُنشئ.

ثم قال ويلز: "الادعاء يكتفي سيدتي القاضية".

أدهشني هذا الأمر، ولكن ليس كثيرًا، فطبقًا لقائمة الشهود التي قدمها كل من ويلز وكارلايل للمحكمة، كان لا يزال هناك ٦ أو ٧ شهود آخرين مطلوبين للشهادة، أغلبهم سيشهد بأمر تتعلق بالمقذوفات وأدلة أخرى أساسية من مسرح الجريمة.

قالت القاضية: "آنسة مارلي، دورك".

بدا أن أنيتا كانت تتوقع اكتفاء الادعاء إلى حد ما أيضًا، فقالت من دون تردد: "الدفاع يطلب كيميكو بينكس للشهادة".

تقدمت بينكس، وكانت ترتدي سروالًا واسعًا أسود اللون، وحذاءً رياضيًا أسود، وسترة سوداء ذات رقبة عالية، وعقد لؤلؤ أنيقًا. كنت أرى أنها تهتم بمظهرها أكثر من اهتمامها بمواجهة أنيتا مارلي المرعبة.

قالت لارش: "ما زلت تحت القسم آنسة بينكس".

أومأت مصممة مواقع الإنترنت برأسها وجلست بهدوء وثبات.

قالت أنيتا: "آنسة بينكس، هل أخبرت كلود واتكنز باقترابكما من المصنع في يوم إطلاق النار؟ هل اتصلت به لتخبريه بأنك في الطريق إليه مع موكلي؟".

قالت بينكس: "لا، لا أعتقد هذا".

أعطت ناعومي حقيبة أدلة بلاستيكية إلى أنيتا، فحملتها أنيتا لتقربها من بينكس حتى تراها جيدًا.

قالت أنيتا: "هل يمكنك التعرف على هذا؟".

قطبت بينكس حاجبها وأمسكت بحقيبة الأدلة ورأت ما فيها وقالت: "هذا سبوت".

نظرت أنيتا نحو هيئة المحلفين وقالت: "سبوت عبارة عن جهاز تتبع شخصي عبر الأقمار الصناعية، وبشكل أدق هو جهاز لتحديد المواقع يتتبع تحركات من يرتديه، ويستخدمه العداءون مثل الآنسة بينكس لحساب المسافات التي يركضونها، أليس كذلك؟".

أومأت بينكس برأسها إيجابًا وقالت: "كما يمكنك إرسال رسالة استغاثة عبره في حالة الطوارئ".

قالت أنيتا: "كما أن به زراً يمكنك من إرسال رسالة نصية معدة مسبقاً إلى الأشخاص الذين تدرجينهم على موقع سبوت الإلكتروني، أليس كذلك؟".
قالت بينكس: "أعتقد هذا".

قالت أنيتا: "في واقع الأمر، لقد ألقينا نظرة على حسابك على موقع سبوت يا أنسة بينكس. في يوم حادث إطلاق النار، ومن شقتك، قبل ٢٠ دقيقة من وصولك إلى المصنع، ضغطت على هذا الزر في الجهاز وأرسلت رسالة إلى كلود واتكنز تقول: بدأت اللعبة".

قالت بينكس وهي تدفع شعرها خلف رأسها: "لا أذكر أنني فعلت هذا، وما أهمية هذا الأمر؟".

ابتسمت أنيتا وقالت: "إنه يؤكد سبق الإصرار، يا أنسة بينكس".

الفصل 78

امتقع وجه بينكس، ولكنها قالت: "سبق إصرار على ماذا؟ تقديم عرض فني؟".

لم تجبها أنيتا، وإنما قالت: "كما علمت، تم القبض عليك بعد حادث إطلاق النار، هل هذا صحيح؟".

قالت بينكس: "وأخلوا سييلي بعدما عرفوا الحقيقة".
قالت أنيتا: "ولكن تم احتجازك، أليس كذلك؟ وأخذوا بصمات أصابعك، وأخذوا مسحة من داخل فمك، والتقطوا لك صوراً تعريفية جنائية".
قالت الشاهدة ببرود: "لقد كان أمراً مهيناً، أنا لم أفعل شيئاً خطأ".

عادت أنيتا إلى طاولة الدفاع، فأعطتها ناغومي عدة ملفات رقيقة وحقيقية بلاستيكية كبيرة مغلقة. أعطت أنيتا أحد الملفات إلى ويلز، ثم توجهت إلى المنصة.

قالت أنيتا وهي تعطي أحد الملفات إلى القاضية لارش: "يود الدفاع إدراج المستندات (أ) و(ب) و(ج) و(د) إلى ملفات المحاكمة. يتضمن المستند (أ) توثيقاً لمسحة أخذت من داخل فم الأنسة بينكس بواسطة قسم شرطة العاصمة بعد فترة قصيرة من حادث إطلاق النار، ويتضمن المستند (ب) توثيق المباحث الفيدرالية لمسحة أخذت من داخل فم موكلي بعد يومين عندما ألقى القبض عليه، ويتضمن المستندان (ج) و(د) نتائج تحليل هذه المسحات التي طلب الدفاع من معام المباحث الفيدرالية تحليلها".

قالت القاضية لارش: "أهذه تحاليل حمض نووي؟".

نهض ويلز وقال: "سيدتي القاضية، هذه المرة الأولى التي نسمع خلالها عن أية مسحات أو نتائج معملية".

قالت أنيتا: "هذا ليس صحيحًا، لقد وجدت مساعدتي ذكرًا لهذه المسحات في المواد التي أرسلتها لنا خلال مرحلة عرض الأدلة يا سيد ويلز. كلا، يا سيدتي القاضية، نحن لم نجر تحاليل حمض نووي، لقد أجرينا اختبارات على اللعاب، ولم نجر تحليلًا لخلايا الوجنة من أجل اختبار الحمض النووي".

قالت لارش: "سأعتمد إدراج الملفات".

قال ويلز: "سيدتي القاضية".

حدقت القاضية إلى وجه ممثل الادعاء بنظرة رادعة، فأدركت حينها أنها لم تعد تحتل أية تأخيرات أخرى بسبب الاعتراضات. كان موقف ويلز عصيبًا. قالت لارش: "لقد اعتمدت التقارير يا سيد ويلز. أكملني يا آنسة مارلي!". حملت أنيتا نسخة من الملفات إلى بينكس وأعطتها إياها وقالت: "هل يمكنك أن تلقي نظرة على الصفحة الرابعة من نتائج اختبار لعاب الدكتور كروس، السطر الثالث من الملخص؟".

كان ويلز وكارلايل يقلبان صفحات التقرير في سرعة، وكانت القاضية لارش تقرأ في نسختها أيضًا، ورفعت بينكس رأسها ونظرت إلى أنيتا بجدة. قالت محاميتي: "هل يمكنك أن تقرئي المكتوب بصوت عالٍ إذا سمحت؟". تحركت بينكس في مقعدها في انزعاج، وبدت كأن هناك أنشودة غليظة هبطت من فوق رأسها والتفت بقوة حول قفصها الصدري لتعتصره. وبصوت رتيب قالت: "كشفت تحليل اللعاب عن وجود مادة ميثيلين دايوكسي ميثامفيتامين، عقار الهلوسة المعروف أيضًا باسم مولي أو إكستاسي".

الفصل 79

إكستاسي...!

عدت بذاكرتي على الفور إلى تلك الحالة الغريبة التي كنت عليها عندما دخلت المصنع، وكيف أنني كنت أصرخ دون وعي بأنني سأقتل أي سونجي أراه. لا عجب من أن مشاعري كانت مضطربة طوال ذلك اليوم، ولا عجب من أنني كنت في حال سيئة للغاية طوال الأيام التالية.

حولت أنيتا وجهتها من بينكس لتواجه هيئة المحلفين وقالت: "عقار هلوسة! عقار يسبب حالة من الهياج وتغييب العقل، عقار يقول عنه الأطباء إنه يجعل الجسم يدخل في حالة غريبة لا يمكن توقعها بالكامل طبقاً للجرعة. أنسة بينكس، ماذا يقول السطر الرابع من الملخص؟"

بدا الانزعاج الشديد على وجه بينكس، ولكنها قرأت قائلة: "تشير نتائج التحليل إلى وجود جرعة تبلغ ١٤٠ ملليجراماً أو أكثر من عقار الهلوسة تم تعاطيها قبل يوم أو يومين من وقت أخذ العينة".

قالت أنيتا: "١٤٠ ملليجراماً من عقار إكستاسي تم تعاطيها قبل يوم أو يومين من وقت أخذ عينة اللعاب، أي خلال فترة زمنية تبلغ ٦ ساعات، والتي تشمل - إن لم أكن مخطئة - الساعتين السابقتين لحادث إطلاق النار عندما كنت مع الدكتور كروس يا أنسة بينكس".

توقعت من ويلز أن يعترض، وكانت مساعدته أثينا كالايل تتوقع حدوث هذا، لأنها كانت تنظر إلى رئيسها في العمل بحدة، وعندما وجدته لم يتحرك هبت واقفة.

قالت كارليسلي: "سيدتي القاضية، هل تحاول الأنسة مارلي بحق أن تمهد الطريق للدفاع بحجة الجنون اللحظي؟ هل تقول إن الدكتور كروس لم يكن في وعيه في أثناء الحادث بسبب عقار إكستاسي؟".

قالت أنيتا بحدة: "أنا لا أحاول هذا سيدتي القاضية. إن الدكتور كروس واحد من أرجح الناس الذين التقيتهم في حياتي عقلاً. إنني فقط أرسم السياق لما رآه أو لم يره الدكتور كروس في ذلك اليوم".
نهض ويلز واقفًا بجوار مساعدته وقال: "اعتراض! من الشاهد هنا، الأنسة مارلي أم الأنسة بينكس؟".

قالت أنيتا وهي تعود إلى منصة الشهود: "آنسة بينكس، هل يمكنك أن تلقي نظرة على الصفحة الخامسة من التقرير، نتائج تحليل اللعاب من العينة المأخوذة منك بعد عدة ساعات من الحادث؟ السطرين الثالث والرابع".
خفضت بينكس رأسها وهزتها نفيًا وقالت: "هذا ليس صحيحًا".

قالت أنيتا: "المباحث الفيدرالية تقول إنه صحيح تمامًا"، ثم بدأت تقرأ من نسختها التي تمسك بها قائلة: "مكتوب في السطر الرابع: أشارت المزيد من التحاليل إلى أن جرعة من عقار إكستاسي تبلغ ١١٩ ملليجرامًا دخلت إلى مجرى الدم قبل ٦ ساعات من أخذ العينة".

لم تقل بينكس شيئًا.

فسألته أنيتا: "هل تعاطيت عقار إكستاسي في وقت سابق من يوم الحادث؟".

نظرت بينكس حولها في حيرة وقالت: "هذا غير قانوني، أليس كذلك؟".
"أجيبني عن السؤال".

ترددت بينكس للحظات قبل أن تعتدل في جلستها وتقول: "أرفض الإجابة عن السؤال من منطلق أنه قد يضعني تحت طائلة القانون".

تصاعدت بعض الهمهمات في قاعة المحكمة، فطرقت لارش بمطرقتها ليلتزم الجميع الصمت.

قالت أنيتا باستمتاع: "هل تحتمين بالتعديل الخامس من الدستور لمجرد أنك تعاطيت إكستاسي؟".

قالت بينكس: "لم أقل هذا".

قالت أنيتا: "لقد ألمحت إليه بشكل ما".

صاحت كارليسلي: "اعتراض!".

قالت القاضية لارش: "اعتراض مقبول، ستتجاهل هيئة المحلفين هذا التعليق".

لم تبد أية ردة فعل على وجه أنيتا وهي تقول: "أنسة بينكس، في صباح يوم الحادث، وبعد أن عدت من جولة ركضك الصباحية، هل تذكرين أنك كدت تسقطين في شقتك، وأن الدكتور كروس هو من أمسك بك قبل أن تسقطي؟".

ترددت بينكس للحظة ثم قالت: "لا".

قالت أنيتا: "نعم، لقد تعثرت في سلك كهربائي، وعندما أمسك بك الدكتور كروس وضعت شريطاً لاصقاً شفافاً على الجزء السفلي من ساعده، أليس كذلك؟".

قال ويلز في ملل: "اعتراض. ما الدليل على ذلك؟".

قالت أنيتا: "سيدتي القاضية، سيشهد الدكتور كروس وزوجته بري ستون، كبيرة المحققين في شرطة العاصمة، بأنهما عثرا على قطعة من الشريط اللاصق على الجزء السفلي من ساعد الدكتور كروس الأيمن بعد ساعات من الحادث. ونحن نعتقد أن العقار كان موضوعاً على الشريط اللاصق في صورة جيل أو مسحوق، وأنه قد دخل مجرى دم الدكتور كروس عبر الجلد".

قال ممثل الادعاء: "وأين هذا الشريط؟ أين جسم الجريمة أيتها المحامية؟".

تجاهلته أنيتا، ووجهت حديثها إلى القاضية قائلة: "لم يعتقد الدكتور كروس أو كبيرة المحققين ستون أن هذا الشريط مهم في وقتها، والقياء في سلة المهملات بمستشفى جامعة جورج واشنطن".

هز ويلز رأسه في المزيد من الملل وقال: "أطلب حذف كل ما قالته الآنسة مارلي عن الشريط اللاصق الخيالي، يا سيدتي القاضية".

قالت لارش: "سيتم حذفه".

قالت أنيتا: "سيدتي القاضية..."

قالت القاضية بحدة: "إذا لم يكن لديك الشريط اللاصق، فلا مجال لذكره".

زفرت أنيتا وقالت: "آنسة بينكس، هل خدرت الدكتور كروس بعقار إكستاسي؟".

طرفت بينكس بعينها، وعضت على شفتها، ونظرت نحو ويلز ثم قالت مرة أخرى: "أرفض الإجابة عن هذا السؤال حيث إنه قد يضعني تحت طائلة القانون".

الفصل 80

عندما أعلنت القاضية لارش راحة الغداء، وغادرت قاعة المحكمة ببطء، لم يبدُ ممثلو الادعاء واثقين مثلما كانوا من قبل.

كانت أنيتا قد طرحت على بينكس عدة أسئلة أخرى عن عقار إكستاسي، من بينها كيف تصادف أن وجدت في دمائها الجرعة المناسبة لوزنها بالضبط من عقار الهلوسة، وكيف وجدت في دمائي الجرعة المناسبة لوزني تمامًا.

لم تجب بينكس عن أي من هذه الأسئلة، متمسكة بحقها في اللجوء إلى التعديل الخامس من الدستور.

قال ويلز مخاطبًا أنيتا بينما كان يجمع ملفاته: "إن كثرة الحديث عن عقار إكستاسي لن تبرئ موكلك".

قالت أنيتا: "حقًا؟ لحسن الحظ أن المحلفين هم أصحاب القرار".

قال ويلز: "من دون الشريط اللاصق، لا يمكن إثبات حدوث التخدير. حتى أنت تدركين هذا".

نظرت له أنيتا نظرة خالية من التعبيرات وقالت: "وفر حديثك لمرافعتك الختامية".

قالت أنيتا كارلايل: "بناءً على مقاطع الفيديو، أئن يكون من الأفضل أن نتحدث عن اتفاق؟ فربما يخرج الدكتور كروس من السجن ليلتقي بأحفاده".

نظرت أنيتا نحوي، فهزرت رأسي نفيًا.

زفرت كارلايل بقوة وقالت: "حسنًا، لقد أعطيناكم الفرصة".

قال ويلز ضاحكًا وهو يتحرك ليفادرننا: "كما تشاءون، ولكنني سمعت أن الأمر يكون مريعًا بالنسبة لأي شرطي سابق يدخل السجن".

تناولت وناعومي وبري ووالدي شطائر اللحم المقعد التي طلبناها من أحد المطاعم القريبة في غرفة الاجتماعات. ورغم أن أنيتا قد أبلت بلاءً حسنًا في استجواب الشاهدة الأخيرة، فإننا كنا نشعر بالكآبة ونحاول التركيز.

للمرة الأولى منذ أسبوع كامل، شعرت كأن المحلف الخامس والحادية عشرة متعاطفين معي، أو شعرا على الأقل بالشك في القضية التي يحاول الادعاء إقناعهما بها. ولكن، كان ويلز محققًا؛ فربما كان عقار إكستاسي عاملاً مخففاً للعقوبة بالنسبة لهيئة المحلفين، ولكنه لن يكون كافيًا لتبرئتي تمامًا من جريمتي قتل وجريمة شروع في قتل.

عدنا إلى قاعة المحاكمة قبل دقيقتين فقط من موعد إعادة انعقادها، وكانت أنيتا قد وصلت بالفعل.

سألتها: "هل وضعنا جيد؟"

مالت على أذني وقالت هامسة: "ادع الله من أجل ضربة قاضية".

قلت لها: "ضربة تنصر الحق الضعيف"، ثم سمعت حاجب المحكمة يقول: "ليقف الجميع".

كانت القاضية لارش تبدو أقل ضيقًا عندما عادت لتجلس على المنصة وتعلن انعقاد الجلسة.

قالت: "آنسة مارلي، هل ترغبين في استجواب السيد واتكنز الآن، أم لدى الدفاع شاهد بعينه يرغب في استدعائه؟".

قالت أنيتا: "لدى الدفاع شاهد سيدتي القاضية. الدفاع يستدعي علي كروس للشهادة".

التفت إلى الخلف ورأيت عليًا يدخل قاعة المحكمة ممسكًا بيد والدي ومن خلفهما جيني ونانا ماما. كان ابني يبدو رائعًا وأنيقًا في ملابسه: سروال رمادي وقميص أبيض مكوي، وربطة عنق فراشية أنيقة، ما جعل المحلفة الحادية عشرة تبتسم عندما رأته.

عندما وصلوا إلى الحاجز، همست نانا ماما بشيء ما في أذن حفيدها، فأوما برأسه. لم ينظر علي ناحيتي أو ناحية أنيتا عندما فتح باب الحاجز وسار بخطى واثقة نحو منصة الشهود.

قال ويلز: "سيدتي القاضية، لم يخبرنا الدفاع بهذا الشاهد".

قالت أنيتا: "علي هو ابن الدكتور كروس، سيدتي القاضية".

بدا الشك على وجه القاضية لارش وقالت: "وهل لديه ما يخبر به هذه المحكمة؟".

قالت أنيتا: "نعم يا سيدتي، لديه بضعة أمور ليقولها".

نظرت القاضية نحو علي الذي كان يقف في منصة الشهود الآن.

وقالت: "كم عمرك يا علي؟".

"٩ سنوات، ولكنني أصبحت في الصف الخامس الآن".

"ما المدرسة التي تدرس فيها؟".

"واشنطن لاتين".

ابتسمت لارش وقالت: "رائع. اتل عليه القسم".

بعد ذلك، كان على حاجب المحكمة أن يحضر حشية ليضعها على مقعد الشاهد لكي يرتفع في جلسته بحث تتمكن هيئة المحلفين من رؤيته.

بمجرد أن استقر في جلسته، قالت أنيتا: "علي، هل تفعل دومًا ما يأمرك به والدك؟ أعني عندما يوجه لك أمرًا مباشرًا، هل تنصاع له؟".

قال علي: "نعم يا سيدتي، إنني أحاول".

قالت أنيتا: "ولكنك عصيت أحد أوامره مؤخرًا، أليس كذلك؟".

قال علي: "بلى يا سيدتي، فعلت".

قال ويلز: "أعترض (سيدتي القاضية، ما علاقة هذه الأسئلة بقضيتنا؟".

نظرت أنيتا نحوه وقالت: "ستعرف المحكمة على الفور الغرض من هذه الأسئلة".

قالت لارش: "ادخلي في صلب الموضوع، آنسة مارلي".

قالت أنيتا: "ما الذي فعلته ولم يكن والدك يريدك أن تفعله؟".

قال علي: "أخبرني والدي بالأشاهد مقاطع الفيديو عن حادث إطلاق النار في المصنع، ولكنني شاهدتها خلسة على موقع يوتيوب".

قالت أنيتا: "مرة واحدة؟".

قال علي: "لا، بل حوالي ١٧٠ مرة".

تسببت هذه الإجابة في ضحكات عصبية من بين الحضور، وشعرت بأن المحلف الخامس، المهندس المتقاعد ذا الظهر المنحني، لم يحبذ فكرة أن يشاهد طفل في التاسعة من عمره مقاطع الفيديو هذه ولو لمرة واحدة، فما بالك بمائة وسبعين مرة.

قالت أنيتا: "لماذا شاهدت مقاطع الفيديو لهذا العدد الكبير من المرات؟".

قال علي: "لكي أكتشف أين اختفت المسدسات حتى لا يدخل والدي السجن".

نظرت أنيتا نحو ويلز، ثم إلى هيئة المحلفين وقالت: "هل تمكنت من اكتشاف أين اختفت المسدسات؟".

قال علي: "أعتقد هذا".

قالت أنيتا كارلايل: "أعترض! سيدتي القاضية، لقد تناولنا هذه النقطة من قبل. لقد فحص خبراء حقيقيون مقاطع الفيديو ووجدوا أنها حقيقية ولم يتم التلاعب بها. هل تتوقعون منا أن نصدق أن طفلاً في التاسعة من عمره قد اكتشف أمراً لم يكتشفه الخبراء؟".

قالت لارش: "أنسة مارلي؟".

قالت أنيتا بنبرة هادئة: "دعي الصبي يكمل سيدتي القاضية، وسأقتبس كلماتك عندما سمحت بإدراج مقاطع الفيديو كأدلة: من حق الادعاء أن يفند ما يقوله علي إن كان مخطئاً".

عدلت القاضية من وضع نظارتها على وجهها، ثم نظرت نحو علي وقالت:

"هل اكتشفت الأمر بالفعل؟".

قال علي: "أعتقد هذا".

قالت لارش: "دعونا نستمع له".

شغلت ناغومي مقاطع الفيديو على الشاشة، وأعطت علياً جهاز التحكم عن بُعد، فبدأ يوقف عرض مقاطع الفيديو عند مشاهد بعينها مثلما فعل ممثل الادعاء عندما كان يعرض حجته لاتهامي، وتمكن علي من أن يعرض على هيئة المحلفين كيف أن سطوع الإضاءة يتغير في مقاطع الفيديو، وكيف أنه يزداد عتمة قبل ظهور كل من الضحايا، ثم يزداد سطوعاً بقوة قبل أن أطلق النار.

قالت أنيتا: "ماذا تعتقد أنه يحدث مع الإضاءة؟"

قال علي: "أيّ كان من يتحكم في الإضاءة، كان يخفض الإضاءة قبل ظهور كل من السيدة وينسلو والسيد واتكنز والسيد ديجزفي المشهد. من الصعب رؤية أي منهم في هذه الإضاءة السيئة، ولكنهم موجودون، ثم يزداد سطوع المصابيح بحيث يمكنك أن ترى أيديهم الخالية في لحظة إطلاق النار من قبل والدي".

قالت أنيتا: "حسناً، وماذا في ذلك؟"

قال علي: "هذا ما ظللت أقوله لنفسي: وماذا في ذلك؟"

"إلى أن...؟"

"إلى أن قرأت تقارير التشريح".

مكتبة | 719
سُرَّ مَنْ قَرَأَ

الفصل

81

أدارت القاضية لارش مقعدها وحدقت إلى وجهي بنظارتها السميكة.

وقالت: "هل تركت صبيًا في التاسعة من عمره يقرأ تقارير التشريح يا دكتور كروس؟".

استدار علي في مقعده ليوجاهها وقال: "لم يكن مسموحًا لي بأن أفعل سيدتي القاضية، ولكنني فعلت على أية حال".

أشاحت لارش بوجهها بعيدًا عني، وحدقت إلى وجه الصبي وقالت: "هل أنت في طريقك لتصبح مجرمًا أيها الصبي؟".

ابتسم علي بعصبية وقال: "كلا يا سيدتي، أقصد يا سيادة القاضية".
قالت لارش بنبرة أرق وقد لانت تعبيرات وجهها وبدت أقرب للاستمتاع:
"لا، أعلم أنك لن تصبح مجرمًا، أكمل".

أقر علي بأنه خالف أوامري وأوامر بري وأخرج تقارير تشريح كل من فيرجينيا وينسلو وليونارد ديجز، باحثًا عن أمر غريب يتعلق بوجود مسدسات في أيدي الضحايا الثلاث.

قالت أنيتا: "هل عثرت على شيء غريب؟".

قال علي: "نعم".

قالت أنيتا: "بقايا بارود؟".

هز علي رأسه نفيًا وقال: "كانت هناك مادة لزجة في راحات أيديهم".

قالت أنيتا: "صمغ لاصق؟".

قال علي: "نعم، كما لو كان من شريط لاصق، وكان هناك أيضًا شيء يشبه السليكون".

قالت أنيتا: "هل هناك تفسير لوجود الصمغ والسليكون في تقارير التشريح؟".

قال علي: "لا".

قالت أنيتا: "هل يمكنك أن تفسر سبب وجود هذه المواد؟".

اعتدل ابني في جلسته وقال: "أعتقد أنني قادر على تفسير السبب، ولكني لا أستطيع شرح الكيفية بدقة. إن الأمر يشبه قواعد الفيزياء، ولكنني لم أدرس هذا بعد، ربما في العام القادم".

بدأ أعضاء هيئة المحلفين يضحكون، وابتسمت أنيتا، سامحة لهذه اللحظة بأن تستمر قليلاً، ثم قالت: "لماذا كان يوجد صمغ وسليكون في راحات أيديهم؟".

قال علي: "حسنًا، إن فكرنا في الأمر، بسبب هذا"، ثم أرجع مقاطع الفيديو إلى الخلف قليلاً ثم أوقفها، وقال: "هل ترون المصايح الثلاثة في مقطع الفيديو الأوسط؟ على اليمين أسفل المصباح الأيمن، هل ترون بقعة الضوء الزرقاء تلك؟ هذا هو الموضع الذي جعلني أكتشف الأمر، ولكن بقية الأمر متعلق بقواعد الفيزياء، ولم أتمكن من فهمه جيدًا".

ابتسمت أنيتا وقالت: "شكرًا لك يا علي. سيدتي القاضية، أرجو من عدالة المحكمة أن تسمح لي باستدعاء شاهد آخر يمكنه تفسير ما تعنيه بقعة الضوء الأزرق والصمغ والسليكون وخفوت الإضاءة وسطوعها أفضل من علي، ثم يمكن للسيد ويلز استجواب الشاهدين بعد ذلك".

قالت لارش: "هل هناك أية اعتراضات يا سيد ويلز؟".

تشاور ويلز وكارلايل فيما بينهما، وبدأ ويلز منزعًا عندما حوّل وجهه بعيدًا عن مساعدته وقال: "كما تريدين أيتها المحامية، خذينا جميعًا في مطاردة خلف هدف وهمي".

قالت أنيتا: "الدفاع يستدعي كيث كارل رولينز".

دخل كريزي كات قاعة المحكمة مرتدياً بذلة إيطالية أنيقة، وحذاءً أسود شديد اللعان، وقميصاً وردياً ذا ياقة مفتوحة، وقد تخلى عن قصة الموهوك ووصف خصل شعره في عناية، وصبغها باللون الأسود وتركها تنسدل على الجانب الأيسر من رأسه، وأرجعها خلف أذنه.

عندما مر بجوار علي، الذي كان يغادر منصة الشهود، غمز له رولينز بعينيه. كان ويلز وكارلايل يشعران كأن مهرجاً قد دخل القاعة، ولكنهما لم يكونا يدركان ما عليهما فعله بعد.

بعدما تلا القسم، قالت أنيتا: "دكتور رولينز، هل يمكنك أن نخبرنا بمؤهلاتك الأكاديمية وعملك الحالي؟".

قال رولينز: "لدي شهادتا دكتوراه من جامعة ستانفورد، إحداها في الفيزياء، والأخرى في هندسة الكهرباء، وأعد حالياً رسالة دكتوراه ثالثة عن علوم الحاسب في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وأعمل حالياً كمتعاقد حر في قسم الجرائم السيبرانية في المباحث الفيدرالية".

قفز ويلز وكارلايل واقفين على أقدامهما.

وقال ويلز: "أعترض! لم نخبرنا أحد من المباحث الفيدرالية بأن هذا الشاهد سيحضر للشهادة".

قالت كارلايل: "سيدتي القاضية، على عملاء المباحث الفيدرالية أن يخبروا مكتب المحامي العام الأمريكي بأنهم...".

قال رولينز: "لست عميلاً خاصاً، كما أنني لست موظفاً حكومياً، وبالتالي لست ملزماً بإخبار المباحث الفيدرالية أو مكتب المحامي العام. لقد حضرت إلى هنا بناءً على رغبة صبي عبقرى حضر إلى منزلي بنفسه، بعد ساعات العمل، وعرض عليّ نظريته العبقريّة عن مقاطع الفيديو هذه. أنا لا أتحدث نيابة عن الحكومة، بل نيابة عن نفسي، كمواطن ملزم بقول الحقيقة".

قال ويلز: "سيدتي القاضية، ما زلت أعترض على...".

قالت لارش: "لقد سألت سؤالاً، وتلقيت الإجابة، يا سيد ويلز".

امتقع وجه محامي الادعاء، ولكنهما صمتا وجلسا.

قالت أنيتا: "ما العمل الذي تؤديه لصالح المباحث الفيدرالية يا دكتور

رولينز؟".

"عملي سري، ولا يمكنني أن أتحدث عن تفاصيله، ولكن يمكنني أن أقول لك إنني أساعد المباحث في الجانب التقني".

"في مسائل تتعلق بالفيزياء؟"

"في بعض الأحيان".

"وهل هناك مسائل تتعلق بالفيزياء في مقاطع الفيديو هذه؟"

قال رولينز: "نعم، أساسيات الفيزياء، وتحديدًا نظرية الموجات".

الفصل 82

نظرت أنيتا نحو هيئة المحلفين. كانت قلة منهم، من بينهم المحلف الخامس، هم المنتبهين، أما أعين الباقين، ومن بينهم المحلفة العادية عشرة، مديرة العلاقات العامة، فبدت حائرة بسبب هذا التحول المفاجئ في مسار المحاكمة. فيزياء؟ نظرية الموجات؟

ولكن، كانت أنيتا تتوقع ردة الفعل هذه، فنظرت إلى ناعومي وأومات برأسها. وبينما نهضت ابنة أخي وغادرت القاعة، قالت المحامية: "دكتور رولينز، هلا شرحنا الأمر بشكل مبسط، اتفقنا؟".

هز رولينز كتفيه ونظر نحو هيئة المحلفين وقال: "كل ما تحتاجون إلى معرفته هو أن الضوء ينتقل في موجات، مثل أمواج المحيط. فعندما تصطدم موجات الضوء من مصادر مختلفة بعضها ببعض، تتغير جميعها، مثلما تصطدم أمواج المحيط القادمة من اتجاهات مختلفة بعضها ببعض".

عادت ناعومي إلى القاعة دافعة أمامها عربة محملة بالعديد من الصناديق الكرتونية ومصباح صغير.

قال رولينز وهو ينهض من فوق منصة الشهود: "ضعوا هذه الفكرة في أذهانكم. الأمواج المتصادمة في المحيط. هل تسمح لي القاضية؟".

قالت لارش: "أسمح لك. أحب دوماً العروض التوضيحية".

قال رولينز: "مثلي تماماً".

توجه رولينز نحو ناعومي وأمسك بالمصباح ووضعه على حامل ثلاثي. قال رولينز: "سيدتي القاضية، هل يمكنني أن أحظى بمساعدتك؟". لوحث لارش بيدها، فاستدعى خبير المباحث الفيدرالية عليًا من بين الحضور.

أمسك رولينز ظرفًا ورقيًا من على العربة، وأخرج منه شيئًا وخبأه، ثم وضعه في يد علي. عندما فتح ابني يده، كان علينا أن نعمن النظر لنرى أنه قد وضع في يده إحدى لاصقات الحماية الرقيقة التي يضعها الناس على شاشات هواتفهم المحمولة. كانت رفيعة ونصف شفافة ومستطيلة، وكانت مثبتة على راحة يد علي وتصل حتى المفاصل الأولى من أصابعه.

قالت لارش وهي تحديق من فوق منصتها: "ما هذا بالضبط؟".

قال رولينز: "مجرد وسيط - لاصقة مصنوعة من البوليمر الممزوج بالسليكون. على الوسيط نفسه، هناك مجال ضوئي يتم تشفيره وامتصاصه في صورة نمط متداخل. هل تذكرين تصادم الأمواج؟ إن تخيلتم النظر إلى أمواج البحر وهي تتصادم حول الصخور ثم كونتم صورة ثلاثية الأبعاد لها وثبتتم هذه الصورة، فستكونون قد اقتربتم من فهم ما أقصد".

قالت لارش: "حسنًا؟".

جعل رولينز عليًا يقف معطيًا جانبه الأيسر لمنصة القاضية، ومواجهًا هيئة المحلفين، ثم ركز المصباح بزواوية معينة نحو علي. قالت أنيتا: "هل يمكن خفض إضاءة القاعة؟".

أومأت لارش برأسها موافقة، فخفض الحاجب أنوار القاعة حتى صاح رولينز الذي كان يمسك بمقياس ضوئي صغير في يده: "توقف".

كان لا يزال يمكنك رؤية رولينز وعلي وجميع الحضور في قاعة المحكمة الخالية من النوافذ، ولكن، كان الأمر يبدو كأنك تنظر إليهم من خلال صورة مشوشة، ثم ضغطت ناعومي مفتاحًا، فسقط ضوء المصباح على علي الذي كان يرتدي نظارة شمسية.

كان جميع المحلفين قد مالوا بأجسادهم إلى الأمام لكي يشاهدوا ما يحدث باهتمام، ووضع المحلف الخامس ذقنه على يده الممسكة بمقبض عكازه.

قال رولينز: "إن الشفرة الموجودة على الوسيط - والتي أشبه ما تكون بصورة لموجات ضوئية تتصادم - تتم كتابتها باستخدام أشعة الليزر، أي باستخدام أشعة ضوئية صغيرة ومكثفة وذات تردد موجي عالٍ".

ثم تحرك ليقف في مواجهة هيئة المحلفين، وصفف خصلة من شعره الأسود وقال: "الأمر المثير المتعلق بهذه الشفرة ثلاثية الأبعاد هو أنه يمكننا أن نرى لمحة من الموجات المتصادمة حول الصخور لو سلط عليها شعاع من الليزر ذو طول موجي مماثل للطول الموجي لشعاع الليزر المستخدم في صنع الصورة في المقام الأول".

قالت القاضية لارش: "لم أفهم شيئاً من هذا الجزء الأخير".

قالت أنيتا: "هذه الأمور من الأفضل رؤيتها بالعين على أية حال".

تحركت لتقف أمام منصة القاضي وواجهت جانب علي الأيسر، ووقف رولينز بجوار مكتب الحاجب مواجهاً جانب علي الأيسر بزاوية ٤٥ درجة.

أطفأت ناعومي المصباح، وعدنا مرة أخرى إلى تلك العتمة والرؤية غير الواضحة في قاعة المحكمة، ثم خرجت ثلاثة خيوط رفيعة من أشعة الليزر، ذات لون أزرق مشوب بالرمادي، من ثلاث جهات: الأول من ناحية أنيتا والثاني من ناحية رولينز، والثالث من ناحية ناعومي. كان من السهل رؤية الأشعة وهي تخرج من مصادرها، ولكن، كلما ابتعدت بنظرك عن مصدر خروجها، أصبح من الصعب تحديد مكان شعاع الليزر وهو يمر خلال العتمة.

ولكن كان من السهل رؤية ثلاث نقاط زرقاء في نهاية كل شعاع منها. ظلت النقاط الثلاث تتراقص على جانب علي وذراعه، قبل أن تستقر على راحة يده المفتوحة.

قال رولينز: "والآن، سنركز النقاط الثلاث في البقعة نفسها".

ارتعشت النقاط الثلاث وتمايلت حتى التقت معاً في مركز الوسيط المشفر المستقر في راحة يد علي الخالية تماماً.

وعندها سمعت شهقات تنتشر في قاعة المحكمة.

قال ويلز وهو يقف في دهول: "اللجنة!".

حتى أنا لم أكن أصدق ما أرى، ولكنه كان ظاهراً أمام عيني.

فقد بدا كأن يد ابني البالغ من العمر تسعة أعوام تحيط بصورة مجسمة،

زرقاء باهتة، لمسدس كولت بايثون مصقول بالنيكل من عيار ٣٥٧.

الفصل 83

أضاعت ناعومي المصباح، فاختفى المسدس من يد علي، الذي كان يبتسم ابتسامة واسعة.

قال رولينز: "لقد اختفى المسدس لأن موجات الضوء المنبعث من المصباح تصادمت مع موجات شعاع الليزر وشتتها، وبالتالي لم يكن بإمكانها الوصول إلى الصورة المشفرة الموجودة على يد علي".

أطفأت ناعومي المصباح، فعادت الصورة المجسمة للمسدس إلى الظهور على يد علي، الأمر الذي أثار موجة جديدة من الهمهمات، في حين بدأ العديد من أعضاء هيئة المحلفين يهزون رؤوسهم في تعجب. حتى المحلف الخامس بدا منبهراً.

بعد ذلك، عرض رولينز على المحكمة كيف تبدو هذه الصورة المجسمة عبر كاميرا الفيديو المضبوطة على وضع التصوير بالأبيض والأسود مع تعديلها لتحصل على قدر معين من الضوء. في القاعة المعتمة، كان يمكنك أن ترى صورة المسدس المجسمة بوضوح، ولكن عبر عدسة الكاميرا التي تبث ما تصوره على الشاشة، كان هناك تشويش رمادي على راحة يد علي، وعندما أضيء المصباح، اختفى المسدس وكذلك التشويش الرمادي من على الشاشة. قالت أنيتا: "سيدتي القاضية".

قالت لارش: "ثانية واحدة، أيتها المحامية"، ثم وقفت خلف منصتها، ونظرت نحو الأسفل لتخاطب علي قائلة: "كيف تمكنت من اكتشاف هذا الأمر، أيها الشاب الصغير؟".

خلع علي نظارته الشمسية وقال: "عندما لم أتمكن من رؤية أي شيء عن طريق مشاهدة مقاطع الفيديو وحدها، فكرت أنه يجدر بي التفكير في الأمر بطريقة مختلفة".

قال علي إنه توقف عن مشاهدة مقاطع الفيديو وبدأ يفكر في كيفية أن تكون المسدسات موجودة وغير موجودة في الوقت ذاته، وظل يفكر ليوم كامل قبل أن يتذكر الصور المجسمة التي رأى بعضاً منها في ألعاب ديزني وورلد، وبدأ يقرأ عنها على شبكة الإنترنت.

قال علي: "كانت هناك موضوعات عن الوسائط الهولوجرافية الشفافة المصنوعة من السليكون، ذكر فيها أن الطول الموجي لأشعة الليزر هو المفتاح، ثم تذكرت الصمغ والسليكون على راحات أيدي الضحايا والمذكورين في تقارير التشريح، ورأيت أن الصمغ موجود ليثبت الوسائط على أيديهم، ولكن تمكن الدكتور رولينز من فهم الأمر بشكل أفضل مني".

قال رولينز وهو ينحني أمام علي: "لم أكتشف إلا التفاصيل، ذلك الصبي كان قد استوعب الأمر برمته قبل أن يصل إلى عتبة باب منزلي".

قالت لارش: "أين ذهبت رقائق الوسائط تلك؟".

قال علي: "أعتقد أنه بعد الحادث، وبعدما خرج أبي لطلب الدعم، أزال شخص ما رقائق الوسائط الهولوجرافية من أيدي الضحايا وغادر المكان بصحبة المصور الذي صور مقاطع الفيديو".

قال ويلز: "أعترض! إن هذا العرض بأكمله دقيق للغاية، وأقر بذلك. إنها مراوغة مبتكرة، ولكنها لا تعتمد على أية حقائق ثابتة. لم يتم تقديم أية رقائق هولوجرافية كأدلة؛ لذا، يجب ألا يتم السماح بأية شهادات عنها. إنني أطالب هيئة المحلفين بتجاهل كل هذه الأسئلة".

قال علي في حدة: "هناك دليل، ذلك الضوء الأزرق الدقيق الذي عرضته عليكم، لقد ترك شخص ما شعاع الليزر يعمل عن طريق الخطأ لفترة ٤,٧ ثانية. وماذا عن السليكون؟ والصمغ؟ هل كنت تستمع لما نقول؟".

رمق ويلز ابني بنظرة حادة ولكنه صمت.

قالت أنيتا: "سيدتي القاضية، لقد قدم الدفاع تفسيراً منطقيًا لعدم وجود المسدسات في مقاطع الفيديو، وسبب وجود بقايا الصمغ والسليكون على راحات أيدي الضحايا. لندع هيئة المحلفين تقرر".

لعدة لحظات، لم يظهر أي تعبير على وجه القاضية ولم تقل شيئاً، وإنما ظلت تحديق إلى سطح منصتها لفترة طويلة، ورأيت أن لديها الكثير لتفكر فيه، ثم قالت أخيراً: "اعتراض مرفوض، يا سيد ويلز".

قال ويلز: "سيدتي القاضية..."

قالت لارش: "لقد قلت إن اعتراضك مرفوض يا سيد ويلز. لنترك الأمر للسادة والسيدات أعضاء هيئة المحلفين ليقرروا أي تفسير يصدقونه. أنسة مارلي؟"

قالت أنيتا: "أطلب إسقاط جميع التهم عن موكلي".

قالت لارش: "طلب مرفوض".

قالت أنيتا: "أطلب شطب شهادة كل من كيميكو بينكس وكلود واتكنز".

قالت لارش: "طلب مرفوض".

طلبت أنيتا حضور واتكنز مرة أخرى لمنصة الشهود من أجل استجوابه، وقال على الفور إنه لم يكن يحمل أية رقائق هولوجرافية على يده في أي وقت على مدار حياته بالكامل.

قالت أنيتا: "ولكن، تم العثور على صمغ وسليكون على يدك بعد أن أصبت بالطلق الناري".

ضحك واتكنز وقال: "أنا نحات، ولا أحد يعلم ماذا كان يوجد على أرضية المصنع وعلق بي".

قالت أنيتا: "ولكنك كنت تريد تصوير موجهتك مع الدكتور كروس. هل كنت تريد أن تستفزه لإطلاق النار باستخدام الصور الهولوجرافية المجسمة؟"

قال واتكنز بحزم: "قلت لم تكن هناك صور مجسمة. وما لا شك فيه أنني كنت أريد تصويره. كنت أريد أن أرى مدى سيطرته على نفسه، وما إذا كان سيعود إلى سلوكياته الشرطية المشينة ويلجأ للعنف. ولكن، لم يتوقع أحد أن يُطلق النار علينا. وأولهم أنا".

"هل تكره الدكتور كروس؟"

"أنا أكره العنف الذي يمثله".

"تكرهه بما يكفي لتلفق له تهمة القتل؟".

"ليس بما يكفي لأتلقى رصاصة في بطني وتخرج من عمودي الفقري، هذه هي الحقيقة. لا أحد يتمنى هذا لنفسه بغض النظر عن مدى كراهيته للشخص الآخر".

قالت أنيتا: "لا مزيد من الأسئلة".

عندما تحرك واتكئ بكرسيه المتحرك عبر باب القاعة، قالت القاضية لارش: "آنسة مارلي؟".

نظرت أنيتا إليّ، فأومأت برأسي.

فقالت أنيتا: "الدفاع يكتفي بهذا القدر، سيدتي القاضية".

الفصل 84

سيخبرك أي خبير بالمحاكمات بأن الأحكام السريعة عادة ما تصب في صالح ممثلي الادعاء؛ لذا، وبعد أن استمعت هيئة المحلفين للمرافعات الختامية، وتلقوا التعليمات والتوجيهات ثم انعزلوا من أجل المداولات، كنا نتعامل مع كل دقيقة من دون سماع أية أخبار جديدة على أنها معجزة. مرت الساعات، ثم مر يوم كامل.

حاولت إبعاد فكري عن الحكم، ولكنني وجدت أنه من المستحيل ذلك؛ فقد هيمنت أخبار محاكمتي على الأخبار المحلية، وتحدثت عنها أخبار المحطات القومية ومحطات الكابل، كما تحدثت عناوين الأخبار عن عرض علي للصور المجسمة، وعن وجود عقار إكستاسي في دمائي في يوم الحادث، وما إذا كان وجود هذين العاملين معاً كافياً لخلق شكوك كافية لدى هيئة المحلفين.

كانت قلة فقط هم الواثقين من ذلك الأمر، إلا أنه كان هناك الكثيرون ممن كانوا يميلون أكثر إلى جانب ممثلي الادعاء، قائلين إن ويلز في مرافعته الختامية قال إنه لكي تكون نظرية الصور المجسمة حقيقية، فسيكون الضحايا الثلاث قد وضعوا أنفسهم متعمدين في طريق الخطر حتى يلفقوا لي التهمة، وجادل بأن هذا الأمر يتعارض مع غريزة الحفاظ على النفس، مشيراً إلى كلود واتكنز الجالس في كرسيه المتحرك، وتساءل إذا كان هناك من يصدق أنه خاطر بأن يُصاب بالشلل لمجرد أن يراني سجيناً. استمر معلقون آخرون في

ذكر حقيقة أنني كنت متورطاً في ٩ حالات إطلاق نار أخرى خلال مسيرتي المهنية، وأصروا على فكرة أنني يجب أن أدخل السجن لأكون عبرة لجميع رجال الشرطة الذين يسيئون استخدام سلطاتهم في جميع أنحاء البلاد.

عندما حلّ ظهر يوم الجمعة، كنت لا أستطيع تحمل المزيد، فخرجت من منزلي إلى الزقاق الخلفي حاملاً حاسبي المحمول. أقلني سامبسون بسيارته من شارع بنسلفانيا أفينيو وذهبنا معاً إلى كوانتيكو. استقبلتنا العميلة باترا عند البوابة، ولم يمر وقت طويل حتى كنا في معمل رولينز تحت الأرض.

قال رولينز وهو يأخذ مني حاسبي المحمول: "لا أعلم إن كان قد تم إدخال ملفات تجسس إلى نظامنا أم لا، ولكن بناءً على حقيقة أن كلينا قد حملنا محتويات تلك الذاكرة الفلاشية التي حصلت عليها من الرجل الذي انتحل شخصية ألدن ليندل، فقد فحصت نظامنا بدقة، ولكنني لم أحصل على أية نتيجة مؤكدة بعد".

قلت: "هذا الحاسب المحمول سيكون أصغر وأسهل بكثير".

قال: "أعرف هذا".

كان قد حافظ على قصة شعره المنسدلة واللون الأسود، ولكنه وضع مظلل جفون داكن اللون ما أعطاه مظهرًا شيطانيًا وهو يوصل حاسبي المحمول بشبكة مغلقة. أجرى رولينز عددًا من الاختبارات ولكنه لم يعثر على أي شيء، وقرر أن يفحص الملفات التي تم رفعها من جهازي عبر الشبكة اللاسلكية أو البلوتوث. قال رولينز مشيرًا إلى ملف ذي اسم وامتداد غريبين: "ها هو ذا ملف التجسس".

أشار التاريخ إلى أن عملية الرفع قد تمت من حاسبي المحمول خلال الفترة ما بين الساعة ٤:٣٣ و ٥:٢٩ يوم الاثنين الماضي.

فكرت في الأمر، ثم أدركت أن هذا الوقت كان متوافقًا للساعة التي قضيتها مع آني كاسيدي. كانت بداية الوقت ونهايته متوافقتين من بداية الجلسة ونهايتها عندما كانت تعبت في هاتفها المحمول.

قلت: "من المرجح أن هذا الملف قد تم إرساله إلى هاتفها المحمول، ولا بد أنها كانت تقوم بتزليل الملف طوال الوقت الذي قضته في جلستها معي".

قالت باترا: "ماذا يوجد في هذا الملف؟"

ضغط رولينز على الملف، وأظهر على الفور أنه يحتوي على سجل عن كل ما فعلته على حاسبي على مدار الـ ١٤ يوماً السابقة.

قال رولينز: "إنهم يتجسسون علينا، هؤلاء الحقراء".

قام رولينز بإجراء تحليل أكثر دقة على الملف، واكتشف أنه قد نتج بناءً على أمر من برنامج خبيث "تمت برمجته ببراعة وعبقريّة" وعثر عليه كريزي كات مدفوناً على عمق كبير داخل نظام تشغيلي وتم إعداده ليبدو كأنه ملف دعم غير ضار.

بمجرد أن تمكن من تحديد البرنامج الخبيث، بحث رولينز عنه في نظام حواسب المباحث الفيدرالية، وصُغق عندما عثر على نسخة منه تقبع ساكنة في خادمه.

قال رولينز وهو يحك ذقته: "هذا مذهل. إنني أتتقن من البرمجيات الدخيلة بصورة مستمرة، ولم أر مثله من قبل؛ إنه ملف حصان طروادة يتوغل على عمق كبير في النظام أعده مبرمج بارع".

سألته: "هل يمكنك تحديد هوية المبرمج؟"

قال: "ربما يمكنني هذا، أعطني الذاكرة الفلاشية التي وصلتك عبر البريد، وسأشغلها وأرى ما يحدث".

قبل أن يفعل رولينز ذلك، أعد برنامج تتبع صممه ليربط نفسه بأية ملفات ينشئها البرنامج الخبيث، ثم أوصل الذاكرة الفلاشية بخادمه وشغلها.

بدأ مقطع الفيديو الذي يُظهر فرقة الإعدام الخاصة بجريتشن ليندل، ثم تبعه التحذير الموجه لي بأنه في المرة القادمة، جميع الشقراوات سيقتلن، وظهر ضوء ساطع على الشاشة قبل أن ينتهي مقطع الفيديو، مثلما حدث عندما رفعته.

وقف رولينز في مكانه يطرق بأطراف أصابعه على مكتبه، مديراً رأسه بسرعة جهة اليمين واليسار لينظر إلى الشاشات الكثيرة من حوله.

قال: "هيا، لقد حدث شيء ما هنا. أين أنت؟"

رن هاتفي المحمول، فأخرجته من جيبتي ورأيت أن ناعومي هي المتصلة.

أجبت على اتصالها قائلاً: "هل هناك أخبار جديدة؟"

قالت ابنة أخي بنبرة متوترة: "لقد اتصلت هيئة المحلفين بالقاضية لارش".

أغمضت عيني مفكراً: هيئة محلفين منقسمة على نفسها، وتساءلت عما إذا كان يمكن لأسرتي أن تتحمل محاكمة أخرى.

ولكن قالت ناعومي: "لقد توصلوا إلى حكم يا عمي أليكس، وعليك الحضور إلى مبنى المحكمة على الفور".

الفصل 85

أحكمت ربطة عنقي في السيارة بينما كان سامبسون يدور حول ناصية الشارع متوجهاً نحو مبنى المحكمة. ومن على بعد مربعين سكنيين كاملين، تمكنا من رؤية الحشد الكبير من الصحفيين والمراسلين مترقبين وقلقين، ولا شك في هذا؛ لأن الساعة كانت تقترب من الرابعة عصر يوم الجمعة، وكان الوقت يداهمهم مع اقتراب موعد بث نشرة الأخبار المسائية بالساحل الشرقي.

قال سامبسون: "لا يزال عرضي قائماً بأن تدخل المحكمة من باب نقل المساجين؛ فقد وافق رئيس الشرطة على ذلك".

قلت: "لا، أريدهم أن يروني".

نظرت نحو سامبسون فوجدته يتحسس الندبة على جبهته.

"هل أنت بخير؟"

قال سامبسون: "سأكون بخير عندما أتناول أدويتي"، ثم توقف على الجانب الآخر من الشارع أمام المحكمة ووضع يده على ذراعي وقال: "سأكون في ظهرك دائماً، بغض النظر عما سيحدث".

ولكن، بدلاً من أن أشعر بالتشجيع بفضل دعمه لي، نزلت من سيارة الشرطة وفي ذهني تدور كل الهجمات التي قام بها المحامي العام المساعد في مرافقته الختامية، خاصة فيما يتعلق بنظريتي عن صور المسدسات المجسمة.

ربما جاء الصمغ من مساحيق التجميل التي استخدموها، كما قال، وربما جاء السليكون من شيء لمسوه جميعهم، ربما من الأقتعة التي ارتدوها أو، كما اقترح واتكنز، من السخام على أرضية المصنع. كما أكد ويلز بشدة على استحالة أن يعرض شخصان نفسيهما للموت، وأن يُعرض الثالث نفسه للإصابة والشلل من أجل تفتيق التهمة لي.

"أليكس".

كانت أنيتا وناعومي تهبطان من سيارة أجرة خلفنا.

قالت أنيتا: "دعنا نلتزم الانضباط نفسه الذي ظللنا عليه منذ يوم المحاكمة الأول. لا أحد يتحدث حتى نصل إلى بوابة مبنى المحكمة".

مثلما فعلنا خلال يوم المحاكمة الأول، سرنا معًا نحو عدد كبير من الكاميرات وسطع فلاش أغلبها وانعكس ضوءها على وجوهنا، وغطى صياح المراسلين على صراخ المعارضين؛ لذا كان كل ما سمعته في أثناء عبورنا بين الحشود مجرد زئير مبهم مليء باليأس والكرهية.

كان وصولنا إلى مبنى المحكمة هو الراحة التي نريدها، ولكنني كنت شاردًا في أثناء مروري بمكتب الأمن. حاولت التركيز على الضباط الذين يتمنون لي الحظ، ولكنني كنت أفكر في أن حياتي التي اعتدتها قد تنتهي في خلال دقائق معدودة، وتنتهي بي الحال في زنزانة سجن ضيقة، وأصبح هدفًا لجميع المساجين الذين يريدون الانتقام من رجال الشرطة.

رن هاتفني المحمول، وكانت رسالة نصية من بري: سأصل خلال خمس دقائق، أحبك وأثق ببراءتك.

ولكن، عندما كنت في المصعد وسرت بعد ذلك في الرواق نحو قاعة محكمة القاضية لارش، شعرت بالخواء والوحدة.

كانت نانا ماما قد وصلت إلى القاعة، وجلست في الصف الأمامي مع علي وجيني ووالدي. تجاهلت جميع الأشخاص الآخرين المجتمعين في القاعة وتوجهت نحوهم. أمسكت جدي بيدي وضغطت عليها.

كان الخوف والقلق باديين على وجوه أبنائي، لدرجة أنني حاولت جاهدًا أن أبتسم وأقول لهم: "تحلوا بالقوة الآن".

قال أبي: "وأنت أيضًا. لقد كنا ندعو من أجلك".

توجهت إلى طاولة الدفاع وأنا أشعر بأكبر قدر من الارتباك أحسسته في حياتي. نظرت من أمام أنيتا ورأيت ممثل الادعاء ناثن ويلز يتحدث في هاتفه، وكانت مساعدته تنظر إلى الأسفل لتقرأ بعض الملفات.

ومن خلفهما جلس ابن سونجي. ديLAN وينسلو، مبتسماً، وكانت كيميكو بينكس تجلس بجواره، مرتدية ملابس سوداء، وترمقني بنظرات تملؤها الكراهية. أما كلود واتكنز فكان يتحرك بكرسيه المتحرك في الممر بين المقاعد.

وقبل أن يوقف كرسيه المتحرك بجوار كيميكو، رمقني بنظرة مشمئزة، ثم قال بصوت مرتفع ليسمعه المراسلون وبقية الحضور قال: "لن تفلت بفعلتك يا كروس. إن كان لا يزال هناك عدل في العالم، فستدخل السجن لفترة طويلة جداً".

وضعت أنيتا يدها على يدي، ولكنني لم أكن بحاجة لهذا، فلم أكن لأرد على استنزاز واتكنز بأية ردة فعل بدنية أو شفهية.

قال حاجب المحكمة: "لينهض الجميع. لقد وصلت القاضية بريسيلا لارش".

كانت القاضية تبدو في حالة أفضل؛ فقد كانت أقل شحوباً مما كانت عليه في أثناء المرافعات الختامية، كما كانت ترتدي نظارة جديدة أيضاً، نظارة جعلتها تبدو أقل غرابة. طرقت لارش بمطرقتها معلنة انعقاد الجلسة، وطلبت من حاجب المحكمة أن يستدعي هيئة المحلفين.

على مدار عملي في سلك الشرطة، جلست في المقاعد الخلفية أشاهد هيئات المحلفين وهي تصدر أحكامها لأكثر من خمسين مرة، وفي كل مرة، كنت أفحص وجوه أعضاء الهيئة باحثاً عن أية دلالات على قرارهم، ولكنني كنت أتفاجأ بالحكم أحياناً، وأحياناً أخرى تكون توقعاتي صحيحة.

صعد المحلف الخامس إلى منصة هيئة المحلفين، وكان يبدو مرهقاً ومتجهماً، ولم يختلف عنه بقية المحلفين الذين جلسوا في مقاعدهم من حوله. بدا الوجوم على وجوه بقية المحلفين، ولكنهم كانوا راضين بالحكم.

كان المحلفون قد انتخبوا المحلفة الحادية عشرة، مديرة العلاقات العامة، لتكون رئيستهم، فصعدت إلى منصة المحلفين متأخرة عن بقيتهم، وكانت ترتدي حلة زرقاء وبلوزة وردية. رمقني بنظرة لم أفهم معناها بينما كانت

تصعد إلى مكانها في منصة المحلفين، ازدرت لعابي بصعوبة، وأشحت بوجهي بعيداً بسبب الشك الذي كان يعتل في صدري.

قالت القاضية لارش: "سيدتي رئيسة المحلفين، هل توصلتم إلى حكم؟".

نهضت المحلفة الحادية عشرة وقالت: "نعم، يا سيدتي القاضية".

تسلمت القاضية نسخة من الحكم من حاجب المحكمة، وفتحته، ولم يبد

على وجهها أية تعبيرات قبل أن تقول: "دكتور كروس، قف من فضلك".

بينما كنت أنا وأنيثا وناعومي تنهض واقفين، سمعت أبواب قاعة المحكمة

تُفتح من خلفي، نظرت إلى الخلف فرأيت بري ودايمون يدخلان ليجلسا في

المقاعد بجوار سامبسون وزوجته بيلي.

بدا كل ما حولي مشوشاً عندما سمعت القاضية لارش تقول: "في التهمة

الأولى، قتل فيرجينيا لارش، جريمة قتل من الدرجة الأولى، كيف تجدون

المتهم؟".

الفصل 86

لم تكن المحلفة الحادية عشرة تنظر نحوي، ولم يكن أحد من المحلفين ينظر تجاهي.

قالت رئيسة المحلفين أخيراً وهي تنظر نحوي مباشرة: "لقد وجدنا المتهم، أليكس كروس، غير مذنب فيما هو منسوب إليه".

سمعت شهقات وتهليلاً والكثير من الصخب من خلفي، وشعرت كأن ساقبي لم تعودا قادرتين على حملي، وكدت أنفجر باكياً عندما سمعت نانا ماما تقول: "كنت أعرف هذا".

أمسكت ناعومي بذراعي اليسرى وأنيبا بذراعي اليمنى. قفز ديLAN وينسلو واقفاً على قدميه وصرخ: "ماذا؟ لقد أطلق النار على أمي بدم بارد".

صاح علي، الذي وقف على قدميه، في وجهه قائلاً: "غير مذنب، غير مذنب!".

طرقت القاضية لارش بمطرقتها ولوحت بها نحو علي وابن سونجي وقالت: "أي خروج آخر عن النظام داخل القاعة وستمنعان من دخولها، هل هذا واضح؟".

كان وجه ديLAN محمراً من شدة الغضب، ولكنه جلس في مكانه بجوار بينكس، وابتسم علي في رضا وجلس في مكانه ببطء.

التفتت لارش مرة أخرى نحو المحلفين وقالت: "في التهمة الثانية، قتل ليونارد ديجز، جريمة قتل من الدرجة الأولى، كيف وجدتم المتهم؟".
 قالت رئيسة المحلفين: "لقد وجدنا المتهم غير مذنب فيما هو منسوب إليه، سيدتي القاضية".

صاحت بينكس: "هراء. لقد رأيت الحادث بعيني".
 قالت لارش وقد نهضت عن مقعدها وحدقت إلى وجهها بحدة: "كلمة أخرى وسأوجه لك تهمة إهانة المحكمة يا أنسة بينكس".
 هزت بينكس رأسها في ثورة ولكنها لم تقل شيئاً.
 قالت القاضية: "في التهمة الثالثة، الشروع في قتل كلود واتكنز، كيف وجدتم المتهم".

قالت رئيسة المحلفين: "كان هناك شك منطقي، ووجدنا المتهم غير مذنب فيما هو منسوب إليه، سيدتي القاضية".
 انفجرت قاعة المحكمة بالصياح والتهليل، وزفرت زفرة طويلة وهدأت من نفسي، ثم خفضت رأسي في كثير من الامتنان، حامداً الله على براءتي، قبل أن ألتفت إلى الخلف وأصل عبر الحاجز إلى بري التي كانت تبتمس وتبكي في آن واحد.

قالت بري: "مرحباً بعودتك من حافة الخطر يا عزيزي".
 صاح كلود واتكنز: "هذا ظلم بيّن، هل عليّ أن أقضي ما تبقى من حياتي أتبول في كيس ويحصل هو على البراءة؟ هل يطلق النار على ٣ أشخاص ولا يُعاقب؟".

طرقت القاضية لارش وقالت: "هذا يكفي يا سيد واتكنز".
 صرخ واتكنز قائلاً: "أنا أرفض هذا الحكم"، ثم أدار كرسيه المتحرك متجهاً إلى خارج القاعة وقال: "أنا لا أعترف بهيئة المحلفين هذه ولا بهذه المحكمة".

صاحت بينكس: "ولا أنا"، ثم اندفعت إلى خارج القاعة من خلفه.
 أشارت القاضية إلى الحارس الواقف على باب القاعة وقالت: "فولر، اقبض عليهما، أريد منك أن تتحفظ عليهما للاشتباه في ارتكابهما جرائم التآمر والقتل والحث باليمين".

استدارت بينكس نحوها وصاحت: "لا يمكن أن تكوني جادة، هذا جنون".
قال واتكنز: "إنه اضطهاد حكومي، هذا هو الأمر بوضوح. لقد أعدوا كل
هذه الأكاذيب ليدنونا. هذا ما تفعله الدولة البوليسية. تطلق الشرطة النار
عليك، ثم يخرجون بمبررات رائعة لإطلاق النار عليك".

بينما كانت بينكس تقاوم الأصفاد التي تحيط بمعصمها، وبينما كان
هناك ضابط آخر يقيد واتكنز في كرسيه المتحرك، نظرت نحو ابن سونجي.
كان ديلان وينسلو واقفاً على قدميه ينظر إلى كل من بينكس وواتكنز بينما يتم
اقتيادهما إلى خارج القاعة. وكانت أصابع يد الفتى اليسرى ترتجف بينما كان
يحاول إمساك ظهر المقعد الذي أمامه.

فكرت: إنه جزء من هذه المؤامرة. هناك ما يخفيه هذا الفتى.

كان ممثل الادعاء واقفاً على قدميه غاضباً هو الآخر.

قال ويلز: "سيدتي القاضية، إن الحكم لا رجعة فيه، ولكنني أعتقد مثل
الآنسة بينكس والسيد واتكنز أن العدالة لم تتحقق هنا، وهو الأمر الذي يمكنك
تعديله عن طريق رفض الحكم وإعادة المحاكمة".

صاحت أنيتا: "ماذا؟ وهل يخضع موكلي للمحاكمة مرتين على الجرم
نفسه؟ على أي أساس دستوري تطلب هذا أيها المحامي؟"

رفعت القاضية لارش يدها لتوقف أية جدالات أخرى، ثم أنزلت نظارتها
على أرنبه أنفها، وحدقت إلى وجه ممثل الادعاء بحدة وقالت: "سيد ويلز، إن
ما تخشاه هذه المحكمة أن يكون هناك انتهاك للعدالة بالفعل، ولكن بسبب
طموحك الشخصي أنت والآنسة كارلايل، إلى جانب حاجة الحكومة إلى كبش
فداء لتقدمه أمام الرأي العام بعد انتشار ظاهرة إطلاق رجال الشرطة النار
على المواطنين، إن كليكما، إلى جانب رؤسائكما، لم تحاولا بكل وقاحة تليفيق
التهمة إلى المتهم وحسب، بل بذلتما كل ما في وسعكما من أجل تعجيل النطق
بالحكم، وأتوقع أن شخصاً ما سيأتي للتحقيق معكما في القريب".

وللمرة الأولى منذ بداية المحاكمة، لم يتمكن ممثل الادعاء من النطق ولو
بكلمة واحدة.

قالت لارش: "دكتور كروس".

"سيدتي القاضية".

"آسفة لما تعرضت له".

"شكرًا لك أيتها القاضية لارش. أنا أيضًا يؤسفني هذا".

قالت لارش: "اذهب واستمتع بحريتك، واعتنِ بابنك الرائع هذا"، ثم دقت بمطرقتها وقالت: "أعلن حل هيئة المحلفين، وانتهاء المحاكمة".

رفعت يديَّ لأعلى واستدرت خلفي لأري بري وجيني ودايمون ونانا ماما وأبي يهللون من خلفي.

ترقرقت الدموع في عينيَّ بينما كنت أعانق أنيتا وناعومي، ثم التففت حول الحاجز وحملت علي وعانقته كما لو كان أغلى شيء في الحياة.

الفصل

87

بصراحة، وعلى الرغم من الحكم ببراءتي، كانت تتتابني مشاعر متضاربة بينما كنت أجلس على المقعد أمام مكتب رئيس الشرطة مايكلز في يوم الاثنين التالي.

كان القبض عليّ ومحاكمتي، وحتى الحكم عليّ، قد دفعني إلى إعادة تقييم الكثير من الأمور المتعلقة بألوياتي وهدفي من الحياة.

كثيراً ما كنت أرى أن التحقيق في جرائم القتل وسيلة لتمثيل القتل ومساعدة أهله وأصدقائه في العثور ليس على السلوان فحسب، بل على العدالة أيضاً. لطالما كنت أرى مهنتي مهنة شريفة، المهنة التي كانت - حتى تم إلقاء القبض عليّ - تمنحني الكثير من الرضا.

ولكن العودة إلى علم النفس الإكلينيكي والاستشارات النفسية، المهنة الأولى التي أحببتها، قد ذكررتني بالسبب الذي من أجله كنت أستمتع بهذا العمل لهذه الدرجة. في نهاية المطاف، كان عملي هو مساعدة الناس على محاولة فهم وتحسين أنفسهم وحياتهم. إن العمل كعمالج نفسي مهنة لا تقل شرفاً عن العمل كمحقق في جرائم القتل، وتورث المرء الرضا، ولكن بطريقة مختلفة تمام الاختلاف، ولكن، ها نذا، على استعداد لأن أضع جانب المستشار النفسي من شخصيتي على الرف مجدداً.

قالت سكرتيرة مايكلز: "دكتور كروس، سيقابلك الآن".

دخلت مكتب رئيس الشرطة، وبينما كنت أعبّر الغرفة مقترباً من مكتبه، كنت أنظر إلى قائد قوات شرطة العاصمة بعناية، محاولاً قراءة لغة جسده. كان رئيس الشرطة يتعامل مع الأمر بحرفية سياسية خلال شهور إيقافني انتظاراً للمحاكمة. عندما كنا وحدنا، كان يعبر عن دعمه لي، ولكن على الملأ، كان يحمي نفسه. لذا، كانت التجربة مؤرقة عندما ابتسم مايكلز ابتسامته السياسية، ومد يده ليصافحني وقال: "كنت واثقاً من عودتك يا أليكس. ماذا كانت شرطة العاصمة ستفعل من دونك؟".

كتمت في داخلي أية مشاعر غير مريحة شعرت بها، وشكرته على إعادتي إلى وحدة القضايا الكبرى. في غرفة قوات الشرطة، أنهت بري معاناة سامبسون عبر تكليف المحققة أينسلي فوكس بالعمل مع شريك آخر، وإعادتنا للعمل معاً مجدداً. وكان هذا رائعاً، رائعاً للغاية، ربما كان أمراً أفضل من الحكم ببراءتي. ولم تعد هناك أية مشاعر مؤرقة على الإطلاق.

قضيت ما تبقى من يوم عملي الأول في ملء النماذج والاستمارات لأحصل على راتبي المتأخر من الأشهر السابقة بناءً على الحكم ببراءتي، إلى جانب إنهاء كومة كبيرة من الهراء الإداري. ولكن، بحلول يوم الأربعاء، كنت وسامبسون قد عدنا إلى عملنا الطبيعي، وكانت قضية الشقراوات المختطفات هي أولى مهامنا معاً. بدأنا العمل في وقت مبكر، حيث تركنا العاصمة قبل بزوغ الفجر، ووقدنا السيارة نحو الشمال.

بعد أربع ساعات ونصف الساعة، خرجنا من الطريق ١٨٠ العابر بين الولايات إلى طريق الولاية ٢٢٠ المتجه نحو مدن مانسي فالي وسونتاون ولابورت، بولاية بنسلفانيا. كانت المنطقة بالكامل عبارة عن منطقة حطابين ريفية، وكان الطريق ضيقاً ومتعرجاً ومنحدرًا في كلا جانبيه اللذين تحدهما أراضٍ شاسعة مخصصة لصيد الطرائد، وغابات كبيرة ذات أشجار خالية من الأوراق.

تناولنا القهوة في مدينة لابورت قبل أن نتوقف أمام مكتب مأمور مقاطعة سوليفان لتحدث مع المحقق إيڤيرت مورس، الذي كان يعمل مع شرطة ولاية بنسلفانيا على جريمة قتل طفل في الثانية عشرة من عمره يُدعى تيمي ووكر الابن، واختفاء كل من جيني كراوس وأليسون داين.

كان مورس ودوداً بما يكفي ليرينا ملف جريمة القتل، ولكن، كانت قد مرت أشهر بين اختفاء جيني وأليسون والعثور على جثة تيمي، ولم يعد بالإمكان

العثور على أية أدلة. أخبرنا مورس بالأنا نجهد أنفسنا في محاولة التحدث مع آباء الفتاتين، حيث إنهما تحدثا بالكاد مع مورس ومع شرطة الولاية. عندما وصلنا إلى مقر شرطة ولاية بنسلفانيا في الجانب الشمالي من مدينة لا بورتري، أكدت المحققة نينا فورد بما لا يدع مجالاً للشك جدارة مورس بالعمل على القضية، وسمحت لنا بأن نلقي نظرة على ملفاتها أيضاً، ولكنها نصحتنا، مثلما فعل مورس، بالأنا نحاول التحدث مع آباء الفتاتين المختلفتين. سأل سامبسون: "وماذا عن والدي تيمي؟".

قالت المحققة فورد: "لا يعرف أحد مكان تيمي ووكر، الأب. وبالنسبة للأم ليانور، فهي في منزلها. يمكنكما المرور بمتنزه وولدز إند، حيث تم العثور على جثة تيمي، وبعدها تلقيان نظرة وتصلان إلى هيلز جروف، ستكون ليانور قد استيقظت وصحت".

باستخدام إحداثيات جهاز تحديد المواقع التي أعطتنا إياها فورد، تمكنا من الوصول إلى المكان المحدد الذي تم العثور على جثة تيمي ووكر فيه - على بعد حوالي كيلومتر ونصف من موقف سيارات متنزه وورلد إند، وعلى بعد عدة كيلومترات من مكان العثور على سيارة الفتاتين المختلفتين.

باستثناء شاحنة شيفروليه صغيرة عتيقة الطراز، بيضاء اللون، تحمل صندوق أدوات في صندوقها الخلفي، وكُتبت على نافذتها كلمات مؤسسة ناشيونال وايلد تركي، كان الموقف خالياً من السيارات عندما وصلنا إليه بعد ٢٠ دقيقة.

هبّت في وجهنا رياح باردة قوية بينما كنا نسير على الطريق الترابي متتبعين إشارة جهاز تحديد المواقع لنصل إلى الأرض الوعرة؛ حيث عثر أحد الجواله على ذراع تيمي التي برزت من تحت كومة من فروع الأشجار وأوراقها. قال سامبسون وهو يلهث: "إن الوصول إلى هنا بمثابة تمرين رياضي مرهق جداً، إن الطريق شديد الانحدار".

أومأت برأسني إيجاباً، وقلبي لا يزال يدق بسرعة كبيرة، وقلت: "لقد كان تيمي يزن ٤٢ كيلوجراماً؛ لذا، فإن من حمله إلى هنا شخص قوي للغاية". قال سامبسون: "كما أنه شخص يعرف جيداً كيفية الوصول إلى هذا المكان المختفي وسط الغابة"، لم يكذب ينهي عبارته حتى بدأ إطلاق النار.

الفصل 88

بوم، كاتشينج، بوم!

أسرعت أنا وسامبسون بالالتفاف والاحتماء خلف جذع شجرة ساقط.

بوم!

همس سامبسون: "أين مَنْ يطلق النار بحق السماء؟"

عندما سمعت أصوات فرقة وتكسر أغصان الأشجار، رفعت رأسي من خلف جذع الشجرة لألقي نظرة، ورأيت مجموعة من طيور الديك الرومي البرية تركض عبر الغابة. وفوق التل، لمحت شيئاً يتحرك، أمسكت بمنظاري المقرب وركزت نحو مكان الحركة، ورأيت فتاة مراهقة في ملابس مموهة تهبط التل المنحدر بصعوبة ومن خلفها رأيت رجلاً يمسك ببندقيتي صيد.

سمعت الفتاة تصيح وهي ترفع يدها ملوحة: "لقد أصبته يا أبي، لقد فعلها كلانا".

نهضنا واقفين على أقدامنا ولوحنا للصيادين المنشغلين بطائري ديك رومي ميتين، ولم يلاحظا وجودنا حتى اقتربنا منهما.

وقف الأب ونظر إلى البندقيتين المستندتين إلى إحدى الأشجار، وخمنت أنه لم يعتد رؤية رجلين يرتديان معطفين وربطتي عنق في غابة الديوك الرومية. أريناه شارتيانا، فازداد حدة وهو يقول: "إننا نصطاد طبقاً للقانون".

قلت: "سأصدق ما تقول، إننا هنا للتحقيق في جريمة قتل تيمي ووكر".

لان الرجل قليلاً وقال: "إنها مأساة، إن ابنتي إليي كانت تذهب إلى المدرسة معه. بالمناسبة، اسمي هوارد يانج".

قلت: "يسرني لقاءك يا سيد يانج"، وصافحته يده ثم نظرت إلى ابنته وقلت: "أخبرينا عن تيمي".

داعبت إليي كوفيتها المموهة الملفوفة حول عنقها، وامتنع وجهها قليلاً ثم قالت: "كان تيمي صبيّاً لطيفاً في صغره، ولكنه أصبح غريب الأطوار فيما بعد".

قال والدها: "كان منحرفاً إلى حدٍّ ما".

قال سامبسون: "كيف؟".

نظرت إليي حولها ثم قالت: "لا أعلم إن كان ما سمعته حقيقة، ولكن يُقال إنه أحدث ثقباً في أحد جدران المدرسة حتى يتمكن من رؤية الفتيات في غرفة الملابس، ويُقال إنه التقط لهن صوراً وأراها لأصدقائه".

قطب سامبسون جبينيّه.

وقلت: "هل تم التحقيق في هذا الأمر؟".

قالت إليي: "قال المدير إنه سيفعل، بل إن المدرسة استدعت الشرطة لتفحص هاتف تيمي، ولكنه لم يكن يحتوي على أي شيء".

قال والدها: "وهذا لا يعني عدم وجود هاتف آخر أو كاميرا. كنت أريد أن يُطرد هذا الصبي من المدرسة، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً. ثم مات، أظن أننا لن نعرف الحقيقة أبداً، أليس كذلك؟".

قال سامبسون: "إننا نأمل في أن نتمكن من المساعدة في التعرف على سبب وفاته".

هز يانج رأسه في شك وقال: "حسناً، لدينا طيور لتنظيفها، ولدي إليي دروس لتحضرها عصر اليوم".

شكرناهما على وقتهما وتعاونهما وعدنا سائرين على التل المنحدر نحو موقف السيارات. هل قُتل تيمي لأنه التقط صوراً لم يكن يجدر به التقاطها؟ هل أحضر القاتل جثة تيمي وصعد بها هذا الطريق وسط الظلام؟ أبلغت أمه عن اختفائه بعد غروب الشمس؛ لذا، فلا يوجد شك في هذا. هذا يعني أن القاتل كان يضع قبعة ذات مصباح، أو كان معه مساعد. هل هذا مهم؟

نحيت هذه الأفكار جانباً، وعدت إلى جهاز الآي باد، وألقيت نظرة على مشهد من الجو للمنطقة التي حُددت عليها نقاط في المواضع حيث عُثِر فيها

على سيارة الفتاتين، وعلى مكان دفن تيمي، ومكان منزله. كان هناك نحو كيلومتر ونصف بين مكان السيارة ومنزل تيمي، إلا أن القاتل ألقى بجثته على مسافة بعيدة منهما.

لماذا؟ هل ليعيد تفكير الشرطة عن وجود علاقة بين الحادثين؟

افترضت أن هذا الأمر محتمل، على الرغم من أن أي محقق يحترم نفسه سيدرك أن هناك علاقة بينهما. اليوم نفسه، الإطار الزمني نفسه، قرب منزل تيمي من مكان العثور على سيارة الفتاتين.

ماذا حدث إذن؟ هل رأى تيمي حادث الاختطاف، وتورط فيه بشكل ما، وقُتل

لهذا السبب؟

كانت هذه النظرية التي قررنا العمل عليها بينما كنا نقود السيارة على الطريق المؤدي إلى منزل تيمي ووكر، وهو منزل مبني على الطراز الاستعماري وتم تجديده مؤخراً؛ فقد كان دهانه لا يزال لزوجاً، وكان له سقف معدني جديد غير ملحوم. كان هذا أجمل منزل رأيته في هذه المنطقة الجبلية حيث كانت أغلب المباني تشبه أكواخ مخيمات الصيد. كانت هناك أوراق أشجار بنية اللون تغطي مدخل الحديقة الأمامية، وكانت هناك دراجة ثلاثية العجلات مقلوبة بجوار حوض شرب الطيور.

طرق سامبسون الباب. ولكن لم يجب أحد.

طرق الباب بقوة أكبر، فانفتح، فظهرت خلفه فتاة صغيرة في السادسة، وربما السابعة، من عمرها مرتدية ملابس النوم. كانت تلف نفسها ببطانية مرسومة عليها ويني الدبوب، وكانت تنظر إلينا بعينين محمرتين.

قلت: "مرحباً أيتها الفتاة الصغيرة. نحن ضابطا شرطة، ونريد التحدث مع أمك".

قالت الفتاة: "إنها نائمة".

قلت: "هل يمكنك أن توقظها...؟"

قالت المرأة وهي تهبط الدرج: "أنا مستيقظة".

كانت الأم ترتدي روباً قماشياً أزرق اللون، وكانت حافية القدمين، وكان شعرها فوضوياً، وعيناها متورمتين وناعستين، ومتوحشتين. وقالت: "هل أمسكتما به، قاتل تيمي؟"

قلت: "سيدة ووكر؟"

وقفت خلف الفتاة وعانقتها وقالت: "أنا والدة تومي، ليانور. وهذه شقيقته كايث".

عرفناها بنفسينا وقلنا إننا نرغب في التحدث إليها.
سألنا متحيرة: "ألم تمسكا به بعد؟"
قلت: "ليس بعد يا سيدتي".

ازدردت والدة الصبي القليل لعابها بصوت مسموع وبدا عليها اليأس وهي تقول: "لا أحد يخبرني بما يحدث. لقد مرت أشهر منذ موت تيمي ولم يخبرني أحد بأي شيء منذ أسابيع؛ لا المأمور، ولا شرطة الولاية، ولا المباحث الفيدرالية... ولا حتى زوجي السابق الجبان"، ثم انفجرت باكية.
رمقتنا الفتاة بنظرة حادة ثم استدارت نحو والدتها لتعانقها.
قالت الفتاة الصغيرة: "لا بأس يا أمي، سيكون كل شيء على ما يرام".

الفصل

89

عندما تمكنا من تهدئة ليانور ووكر بما يكفي لتتحدث إلينا، دعنا للدخول، وأدركنا، طبقاً لما قالت له لنا، أنها كانت تعيش حياة رائعة حتى ليلة اختفاء تيمي. قالت إنها نشأت في ضواحي فيلادلفيا والتقت بـ تيم ووكر في سنتها الأولى في جامعة ولاية بنسلفانيا.

كان ووكر قد حصل على وظيفة جيدة كمهندس بترول بعد تخرجه مباشرة، وبرع في عملية التصديع المائي، وجنى من المال ما مكنهما من شراء المنزل وتجديده، ورزقا بطفلين. كان تيمي - أو ديوس - قرّة عين والده، وكانا يقضيان ساعات طويلاً في رفقة بعضهما الآخر خلال السنوات الأولى من عمر الصبي. ثم بدأ ووكر يترقى في المناصب في شركته، وأصبح يغيب عن المنزل كثيراً، ثم اكتشف "ألعاباً أخرى"، كما قالت ليانور، وبدأ غياباه عن المنزل يزداد. بعد موت ديوس، ترك زوجها - الذي انفطر قلبه ووقع في حب فتاة في الرابعة والعشرين من عمرها - المنزل إلى الأبد.

سألناها عن الشائعات التي دارت حول ابنها، وعن الثقب في جدار المدرسة، فقالت: "لم يحدث أي من هذا على الإطلاق".

سألها سامبسون: "هل لدى ابنك حاسب؟"

قالت: "أعتقد أنه كان لديه اثنان، أو واحد ونصف. فقد كان دوماً يبيعهها ويشترها عبر موقع إي باي".

قلت: "حقاً؟ وهو في الثانية عشرة من عمره؟".

قالت: "بالطبع. الحواسيب والهواتف وأجهزة أي بود وأي جهاز إلكتروني، مادام كان بحالة جيدة ورخيصة الثمن. لقد كانت هذه هوايته، وكان يكسب الكثير من المال من هذا".

قلت: "هل فحصت الشرطة حواسبه؟".

قالت: "لقد أخذوها، وأعتقد أنهم فحصوها".

قلت: "وماذا عن هاتفه؟".

قالت: "عثروا على هاتف واحد".

سألها سامبسون: "وهل كان يمتلك أكثر من هاتف؟".

قالت: "كان يملك ٣ هواتف في بعض الأحيان، ولكنني كنت أعرف أن لديه هاتفين فقط في ذلك الوقت. جهاز سامسونج، الذي عثروا عليه، وجهاز آي فون، ولم يعثر عليه أحد".

قلت: "هل هناك شيء آخر؟".

قالت: "كلا، لا شيء سوى بعض الصور ومقاطع الفيديو وذكريات".

بدأت تبكي من جديد، فسارت ابنتها نحوها وعانقتها حتى هدأت بما يكفي لتخبرنا باليوم الذي اختفى فيه.

قالت: "كنت أريد منه أن يذهب إلى المتجر ليشتري لنا بعض الأشياء، فدخل المنزل وتناول وجبة خفيفة، ثم أخبرني أنه سيخرج ليلعب. ولكن، عندما ناديته لم يجبني".

طلبنا منها أن تحدد الطريق الذي تعتقد أن تيمي سلكه ليصل إلى المنطقة الخالية من الأشجار في الغابة، حيث تم العثور على السيارة التويوتا الخاصة بالفتاتين. وبينما اتجهت ليانور نحو النافذة لتشير إلى الطريق، عبرت لنا عن إحباطها من التحقيقات، وقالت إن شرطة الولاية والمحققين المحليين يهتمون بأمر الفتاتين أكثر من ابنها.

وقالت في تجهم بينما كانت تراقبنا نحو باب المنزل: "ولكن، ربما كانت الفتاتان لا تزالان على قيد الحياة، ولكن ابني مات ودُفن ونُسي. شكراً لكما على اهتمامكما به".

قلت: "لا شكر على واجب، سنخبرك فور إحرارنا أي تقدم".

قالت: "أصدقكما. حتى إن لم يكن هناك أي أحد آخر قد يرغب في المساعدة".

وبينما كنت أسير على ممر السيارة في حديقة منزلها الأمامية، كنت أشعر بعيني ليانور ووكر تحدقان إلى ظهري، وشعرت مرة أخرى بالامتنان على النعم الكثيرة التي لديّ، وأدركت كيف أن هبات الحياة يمكن أن تختفي في لمح البصر.

قال سامبسون بصوت هامس: "الحمد لله على نعمه".

قلت: "نعم يا أخي، الحمد لله".

عثرنا على الطريق الذي دلتنا إليه، ودخلنا الغابة. كان الطريق يخرج من حافة التل وينحدر بشدة وصولاً إلى طريق طويل. عندما وصلنا إلى حافة التل، رأينا انفجاراً أسود قوياً عند قاع الطريق.

تراجعت إلى الخلف وسقطت على الأرض ووضعت ذراعيّ حول رأسي لحمايتها.

الفصل 90

كان هناك سرب كبير من طيور الديك الرومي البرية تبحث عن طعامها على طريق الحطابين عندما ظهرنا من فوقها، فانطلقت من داخل الغابة نحونا وبدأت تقفز فوق رؤوسنا، ما جعلنا نتحني على ركبنا ونحتمي حتى ابتعدت. قلت مبتسماً: "كان يجب أن ترى وجهك عندما انطلقت هذه الطيور من هناك".

ضحك سامبسون قائلاً: "كدت أصاب بنوبة قلبية، وكذلك فعلت أنت". "لقد تربيت في المدينة ولست معتاداً أن تهاجمني قطعان الحيوانات البرية".

قال سامبسون: "قطعان؟".

"أحاول أن أخرج الرجل الريفي الموجود بداخلي".

قال سامبسون: "مرحى"، ثم بدأ يهبط من فوق حافة التل متجهاً نحو طريق الحطابين وهو يقول: "يا فتى، لقد دمرت هذه الطيور المكان، أليس كذلك؟". ورأيت ما يعنيه، فعلى مسافة ٤٥ متراً في جميع الجهات، كانت أوراق الأشجار متناثرة ومقلوبة؛ حيث كانت الديوك الرومية تنقب فيها وتقلبها بحثاً عن طعام.

قلت: "ربما كان عددها ٤٠ طائراً".

قال سامبسون: "على الأقل"، ثم سار على الطريق نحو المكان الذي يلتقي فيه بالجدول.

ظللنا نسير بموازاة الجدول لمسافة كيلومتر ونصف تقريباً حتى وصلنا إلى مفترق طرق في ذلك الطريق مزدوج الحارات، توجهنا نحو اليسار وعثرنا على جسر يمر فوق الجدول، كما قالت ليانور ووكر تماماً، ثم صعدنا تلاً صغيراً على قمة التل، تمكنا، عبر الأشجار الكثيفة الممتدة لمسافة تصل إلى ٨٠ متراً، من رؤية المنطقة الخالية من الأشجار التي عُثر فيها على سيارة أليسون داين، التويوتا كامري، خالية. كان سرب الديوك الرومية قد وصل إلى هناك قبلنا، ممزقاً حشائش الغابة على جانبي الطريق وصولاً إلى المنطقة الخالية من الأشجار.

كانت لديّ صورة للسيارة التويوتا كامري حين تم العثور عليها، وكان يمكننا استخدامها لتحديد النقطة التي كانت بها. عبرنا المنطقة الخالية من الأشجار حتى وصلنا إلى النقطة التي حددناها.

نظرت خلفي نحو نقطة التقاء طريق الحطابين مع الفتحة وقلت: "حسناً، لقد وصل تيمي إلى حافة الغابة هناك، ولكن ما الذي رآه؟"

قال سامبسون: "السيارة والفتاتان. وربما من اختطفهما".

"بالطبع، إن المسافة ليست بعيدة، ربما ٥٠ أو ٦٠ متراً".

"يبدو هذا صحيحاً، ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟ هل رأى أحدهم تيمي؟"

أومأت برأسي وقلت: "وطارده وأمسك به وحطم عنقه".

أخذ سامبسون شهيقاً عميقاً وزفره ثم قال: "يا للصبى المسكين".

قلت وأنا أنظر حولي شاعراً بالاستياء: "نعم".

أعتقد أنني كنت أمل أن قيادة السيارة طوال ٤ ساعات ونصف الساعة وصولاً إلى هذا المكان قد تساعد، وفي حين أن رؤية مسرح الجريمة قد منحتنا فهماً واضحاً لمكان وجود الفتيات ووجود تيمي في يوم الحادث، إلا أنني لم أر أية بادرة أمل في العثور على أية أدلة جديدة.

قال سامبسون: "إن الظهر يقترب. علينا العودة، وركوب السيارة، والعثور على مكان لنتناول طعامنا قبل العودة إلى ديارنا".

قلت: "فكرة جيدة".

عبرنا المنطقة الخالية من الأشجار، وخفضنا رأسينا ورفعنا ياقاتنا معطفينا لنقي نفسينا الرياح الباردة التي هبت في وجهينا. كان الهدوء يخيم على الغابة، ولكنني كنت أسرع الخطى للوصول إلى السيارة وتشغيل جهاز التدفئة. وكذلك فعل سامبسون، حتى لفت شيء ما انتباهه، فتوقف وقال: "انتظر لحظة، لقد رأيت شيئاً ما هناك".

عاد أدراجه لبضع خطوات، ثم استدار نحو اليمين لست أو سبع خطوات أخرى عبر أوراق الأشجار التي قلبتها الديوك الرومية. توقف جون ونظر حوله، ثم سار خطوة ثم تلتها خطوة أخرى قبل أن يتوقف ويخرج منديلاً من جيبه وينحني بين أوراق الأشجار. ثم نهض واقفاً وهو يمسك في يده بهاتف آي فون أبيض ملطخ بالطين.

الفصل 91

في حوالي الساعة من مساء اليوم التالي، اندفع علي داخل المطبخ؛ حيث كان بقيتنا ينظفون الطاولة والأطباق بعد العشاء.

صاح علي: "جيني. لقد توقفت سيارة أجرة أمام المنزل، لقد وصل".
قالت جيني ممسكة ببطونها: "يا إلهي! لم يكن يجدر بي أن أكل كثيرًا، أشعر بأنني سأتقيًا".

ضغطت نانا ماما على ذراعها برفق وقالت: "ستبلين بلاءً حسنًا. إن لم يكن منبهراً بك، لم يكن ليحضر إلى هنا من الأساس؛ لذا كوني على طبيعتك".
قلت قبل أن يرن جرس الباب مباشرة: "إنها نصيحة رائعة".
صاح علي: "سأفتح الباب".

قلت: "لا، سأفتح الباب ومعني جيني".
قال والدي: "هيا يا علي، اجلس وتناول قطعة من الكعكة التي أعدتها نانا ماما".

قال علي: "ومعها مثلجات؟".
قلت وأنا أتبع جيني نحو الباب: "إنه يستحق مثلجات".
شكت نانا ماما قائلة: "إنك تواصل قول هذا كل ليلة منذ انتهاء المحاكمة".
قلت: "وسأظل أقول هذا كل ليلة لفترة طويلة".

قبل أن أغادر المطبخ، طبعت قبلة على يدي ونفختها نحو بري التي تظاهرت بأنها تمسك بها في الهواء وابتسمت. كنا قد تمكنا من توفير بعض الوقت لتقصيه معاً على الرغم من انشغالنا الشديد، وبدأت حياتي الشخصية تتزن كأفضل مما كانت منذ عام كامل.

الأفضل من كل هذا أن ليانور ووكر قالت إنها تعتقد أن الهاتف الآي فون الذي عثر عليه سامبسون في الغابة يخص ابنها، ولكنها ليست واثقة بهذا. وعندما أخذنا الجهاز إلى كيث رولينز في كوانتيكو في وقت سابق من هذا الصباح، قال إن الضرر الذي ألحقته المياه بالهاتف قد يزيد من صعوبة الحصول على البيانات التي داخل الجهاز، إن تمكنا من الحصول على أي منها.

على الرغم من وعد رولينز لنا بأن يستخدم كل حيلة يعرفها عن الهواتف، فإننا غادرنا معمل الجرائم السيبرانية في المباحث الفيدرالية شاعرين بالإحباط. كنا نعتقد أن الهاتف يخص تيمي ووكر، ولكن، إذا لم نتمكن من الحصول على ما يحتويه من بيانات، فهذا يعني أننا وصلنا إلى طريق مسدود فيما يتعلق بجريمة قتله. وبالرغم من عدم امتلاكنا دليلاً دامغاً على وجود علاقة بين مقتل الصبي واختطاف الشقراوات، فإننا شعرنا بأنه من دون الهاتف لن نتمكن أبداً من العثور على جريتشن ليندل أو جيني كراوس أو أليسون داين أو دليلة فرانكس أو باتسي منسفيلد أو كاثيري دوبريس.

ولكنَّ هناك أموراً رائعة حدثت أيضاً. كانت نانا قد تلقت مكالمة هاتفية بخصوص جيني، وأوصلت فحواها إليّ، والتي أدت إلى الكثير من الهرج والمرج حيث كان جميع أفراد الأسرة يحاولون ترتيب كل شيء في المنزل قبل أن يرن جرس الباب.

كنا قد وصلنا إلى رواق المنزل الأمامي الآن، فنظرت جيني خلفها نحوي، فقلت لها: "هيا، افتحي الباب".

فتحت باب المنزل الأمامي، فظهر أمامنا رجل أمريكي من أصول إفريقية، طويل القامة، رياضي القوام، في بداية الأربعينيات من عمره. كان يرتدي حلة زرقاء وربطة عنق من اللونين الذهبي والأخضر، وابتسم ابتسامة واسعة عندما رأى ابنتي.

قال الرجل: "جيني كروس؟"، ثم ابتسم وهو يصفحها قائلاً: "أنا سعيد للغاية لأننا تمكنا من توفير وقت للقاء".

كانت جيني مرتبكة للغاية، ولكنها تمكنت من أن تقول: "أنا أيضاً يا سيدي، أقصد أيها المدرب".

قلت: "إنها سعيدة للغاية بقدمك، جميعنا سعداء في الحقيقة".

قال الرجل وهو يدير ابتسامته الرائعة نحوي، ويمد يده ليصافحني: "دكتور كروس، أنا روبرت جونسون".

قلت: "تفضل بالدخول أيها المدرب، إن جدتي أعدت فطيرة رائعة إن كنت تريد جزءاً منها".

قال: "لا يمكنني أبداً مقاومة الفطائر. ما نوعها؟".

قالت جيني: "فطيرة الشوفان، ولكن من دون الكثير من السكر. لقد عثرت على الوصفة في أحد كتب الطهي الخاصة بطائفة الأميث، وبدلت بالسكر الشراب المحلى".

قال: "أود الحصول على بعض منها".

قادت الطريق نحو المطبخ، حيث قدم المدرب نفسه للجميع، وتبع تعليمات نانا بكياسة عندما أمرته بأن يجلس ليحصل على قطعة من الفطيرة وكوب من الشاي الأخضر.

قال جونسون بعدما تناول فطيرته: "جيني. لن أكذب عليك، إن الطعام في جامعة أوريجون ليس رائعاً مثلما اعتدت هنا في المنزل".

أحبت جدتي هذا التعليق كثيراً.

قال جونسون: "ولكن إن تمكنت من إقناع نانا بالحضور معك إلى إيوجين، فسيكون ذلك مفيداً لفريق داكس للعدو بالكامل".

أسعدت هذه الكلمات نانا أكثر من سابقتها، فقالت: "إنك تحرز لدي نقاطاً عالية أيها المدرب".

قال جونسون وهو يغمز لها: "كنت أهدف لهذا، هل تسمحون لي بإخباركم جميعاً ببرنامجنا؟".

قالت بري: "تفضل".

قال جونسون: "منذ أن توليت منصب مدرب فريق العدو في جامعة أوريجون منذ ٢ سنوات، فزنا بثماني بطولات قومية: بطولة الرجال لمضمار الصالات المغلقة والهواء الطلق، وبطولة النساء لمضمار الصالات والهواء الطلق، وسباق العدو في الريف للنساء، كما حصلت جامعة أوريجون على جائزة أفضل برنامج رياضي للرجال والنساء في البلاد للعامين الماضيين، وفاز برنامج النساء بالجائزة في العام الذي سبق هذين العامين الماضيين".

بمجرد أن بدأ المدرب جونسون عرضه لضم جيني إلى جامعته، كان نادراً ما يحوّل تركيزه بعيداً عن جيني التي كانت تستمع له باهتمام. تابع جونسون حديثه قائلاً: "فاز ٢٨ رياضياً من فريق داكس بالبطولات الفردية التابعة للرابطة الوطنية لرياضة الجامعات، وكنت مدربهم، بمن فيهم فيليس فرانسيس".

اعتدلت جيني في جلستها وقالت: "إنها صاحبة الرقم القياسي الأمريكي للعدو في سباق ٤٠٠ متر في الصالات المغطاة".

قال جونسون: "إنها كذلك بالفعل"، ثم صمت للحظة وأدار بصره فينا جميعاً وقال: "... وأعتقد أنك قادرة على تحطيم هذا الرقم يا جيني".

الفصل 92

بدأت جيني مذهولة مثلي تمامًا. الرقم القياسي الأمريكي؟

قال جونسون موجهًا حديثه إليّ: "إنني أوّمن بهذا بالفعل، لقد شاهدت أفلامًا عن جيني، وراجعت فترات تدريبها، وبرنامجها التدريبي، ومسار تقدمها مع المدرب ماكدونالد. ونعتمد أنها قادرة على تحطيم الأرقام القياسية إن اختارت والتحقّت بالبرنامج التدريبي المناسب".

قال والدي: "برنامجك".

ردّ عليه المدرب قائلاً: "لا يوجد برنامج تدريبي أفضل منه. إن تقاليد جامعة أوريغون للمضمار والميدان عميقة وراسخة. إننا نمتلك أفضل منشآت رياضية في البلاد في ملعب هايوارد، كما أن الطقس مناسب تمامًا للتدريب طوال العام. ونحن أيضًا نمتلك أفضل مدربين في البلاد. هذا كل شيء".

سألته بري: "وماذا عن الدراسة الأكاديمية؟"

قالت نانا ماما: "نعم، هذا مهم أيضًا".

قال جونسون: "تعرض الجامعة ٢٧٠ تخصصًا مختلفًا، بداية من العلوم، إلى الهندسة، إلى التعليم، إلى الآداب. إن برنامجنا للتسويق الرياضي يحتل المرتبة الأولى في البلاد؛ فكلية كلارك أونورز هي الأعرق في مجالها في البلاد، وتجذب الكثير من الطلبة الموهوبين مثلك يا جيني.

إن الحرم الجامعي، الذي يدمج بين المنشآت الأكاديمية والرياضية معاً، رائع الجمال، كما أن إيوجين تعد واحدة من أنشط المدن التي عشت فيها، ونحن نوفر لجميع رياضيينا معلمين خاصين حتى نضمن أنهم مؤهلون باستمرار للمنافسة، والأهم من كل هذا، أن يتخرجوا في الجامعة".

سأله علي: "هل تعرض على شقيقتي منحة دراسية؟"

ضحك المدرب جونسون وقال: "إنك تدخل في صلب الموضوع مباشرة، أليس كذلك؟".

ابتسم علي وهز رأسه.

قال جونسون: "ربما يجدر بك العمل في مجال التسويق الرياضي أيها الشاب، ولعلك تكون وكيل أعمال شقيقتك ذات يوم".

ابتسم علي وقال: "أنت لم تجب عن السؤال بعد".

ضحك المدرب مرة أخرى ونظر نحوي قائلاً: "إنه نمر صغير".

قلت: "إنها طبيعته".

التفت المدرب جونسون نحو جيني وقال: "هل تعلمين كيف سمعت عنك للمرة الأولى؟".

هزت ابنتي رأسها نفيًا.

قال: "عندما ظهرت على محطة إي إس بي إن".

أخذ علي يقلد المعلق الرياضي لمحطة إي إس بي إن: "هذه الفتاة تعدو بسرعة كبيرة، لدرجة أنها كسرت قدمها".

أوماً المدرب برأسه وقال: "هذا ما حدث، ما حالة قدمك الآن؟".

قالت جيني: "بخير حال".

قال: "لا ألم؟".

قالت: "ليس منذ فترة طويلة".

قال جونسون: "أنت محظوظة أيتها الشابة؛ فهذه الإصابة تسببت في إنهاء المسيرة الرياضية للكثيرين، ولكنها لم تفعل هذا معك؛ لهذا، يا جيني كروس، أتيت إلى هنا لأعرض عليك منحة دراسية كاملة - مصروفات الدراسة وغرفة وإقامة شاملة الطعام - في جامعة أوريجون في مقابل توقيع خطاب نوايا قومي لكي تكوني عداءة في فريق داكس".

لا أعتقد أن جيني كانت تتوقع هذا، فأنا نفسي لم أكن أتوقعه. إنها حتى لم تشارك في أية سباقات خلال سنتها الأولى في جولات المضمار في الهواء الطلق الربيعية. كنت أعتقد أنها إن عدت بشكل جيد من الآن فصاعدًا، فقد تحصل على عروض حقيقية في نهاية عامها الدراسي الأخير.

قالت جيني وهي تبتسم وتعض شفتها: "أنا منفعلة للغاية، هل يجب أن أعطيك ردي الآن أيها المدرب؟".

قال جونسون: "بالطبع لا، ولكنك ستسهلين الأمور عليّ كثيرًا إن فعلت. ولكن، ليست حياتي هي التي على المحك، بل حياتك أنت: لذا سأسديك نصيحة، لأنني أعتقد أنك موهبة نادرة، بغض النظر عما إذا حضرت إلى إيجين لتمارسي العدو في فريقي أم لا. جيني، ستحصلين على الكثير من عروض المنح الدراسية، وتجدر بك زيارة كل جامعة تميلين إليها، وأن تستكشفي الأشخاص والأماكن وبرامج التدريب قبل أن تتخذي قرارك. أعلم أن إيجين بعيدة عن واشنطن، ولكن، هل تودين زيارتنا؟".

بدت الراحة على وجه جيني عندما أدركت أنها ليست بحاجة إلى اتخاذ القرار على الفور، ثم نظرت نحوي وأومأت برأسها وقالت: "نعم، سأحب هذا كثيرًا أيها المدرب".

قال جونسون: "رائع"، ثم وجه سؤاله لي قائلاً: "متى يمكنك إحضارها؟". نظرت نحو بري التي قالت: "في العطلة الشتوية". قال جونسون: "رائع، وستكون تكاليف تذاكر الطائرة على حساب فريق داكس".

سأله علي: "هل يمكنني الحضور معهم؟". قالت جيني: "بالطبع لا". بقي المدرب جونسون معنا لبضع دقائق أخرى ليحيب عن أسئلتنا، مادحًا نانا ماما كثيرًا.

قال جونسون للجددة بينما كان يهم بالانصراف: "سأعود من أجل تناول المزيد من هذه الفطائر".

قالت نانا ماما: "أنت موضع ترحيب دائمًا، أيها المدرب جونسون". عندما انغلق الباب من خلفه، كنا جميعنا نبتسم كالبهاء. قبلت بري جيني التي قالت: "هل حدث هذا بالفعل؟".

قلت شاعرًا بالدموع تتجمع في عيني: "أفضل برنامج عدو في البلاد".
 قالت نانا ماما بطريقة جعلتني أشعر بأنها قد لا تذهب لمشاهدة جيني
 وهي تنافس في السباقات شخصيًا إن ذهبت إلى أوريجون: "إنها بعيدة عن
 المنزل".

قالت جيني: "إنها بعيدة بالفعل، لا أعلم ما عليّ فعله".
 قلت: "لست بحاجة إلى الذهاب على الفور. سنستمع لجميع العروض،
 وستتخذين قرارك عندما تكونين مستعدة، اتفقنا؟".
 عانقتني جيني وقالت: "شكرًا لك يا أبي، أنا سعيدة لأنك هنا معي؛ فالأمر
 كان سيختلف لو أنك..."
 أغمضت عيني وقبلت جبهتها قائلاً: "أعلم ذلك يا صغيرتي، أعلم ذلك".

الفصل 93

عندما انفتح باب المصعد عند الطابق السفلي الثاني، في قسم الجرائم السيبرانية التابع للمباحث الفيدرالية، كان كيث رولينز يشغل الموسيقى بصوت عالٍ في معمله. كانت نغمات الموسيقى القوية الرائعة لأغنية "ماي هاوس" التي يغنيها المطرب فلوريدا مسموعة عبر النافذة الزجاجية، وشعرت بأنها تهز صدري.

كانت الساعة تشير إلى بضع دقائق بعد الساعة صباحًا، وبدا أن رولينز ظل ساهرًا في معمله طوال الليل، ولكن لم تكن هناك سبيل للتأكد من هذا؛ فقد كان العبقري الرقمي يرتدي سروالًا قطنيًا قصيرًا، وكان مغطى بالعرق، وكان يقفز لأعلى وأسفل على أرجوحة ترامبولين صغيرة ويلكم الهواء في تناغم مع الإيقاع.

قال نيد ماهوني، العميل الخاص المسئول وشريكه السابق في المباحث الفيدرالية، والذي تولى قضية الشقراوات المختطفات: "ما زلت لا أصدق أن هذا الشخص يعمل لصالحنا".

قالت العميلة الخاصة باترا: "إنني أعاني هذا الهراء كل يوم".
قال سامبسون وهو يتثاءب: "كان يمكن لهذا الأمر أن ينتظر لبضع ساعات".
قلت: "لقد كان متحمسًا لما عثر عليه، لدرجة أنه اتصل بنا في الخامسة صباحًا".

قال سامبسون: "من الأفضل أن يكون قد عثر على شيء جيد، هذا كل ما أقوله".

أدارت باترا عينيهما ودفعت باب المعمل بكتفها. كانت الموسيقى تصم الآذان، كان رولينز يعرض مقطع فيديو لأغنية فلوريدا على جميع الشاشات أمامه. ثم لمحنا، فأسرع الخطى نحونا، مطوحًا خصلات شعره الأسود المصفف بطريقة الموهوك إلى الأمام والخلف بينما يفني قائلاً: "مرحبًا بكم في منزلي".

بدا ماهوني وباترا كأنهما قد ناما طوال الليل على لوح من المسامير، فابتسمت لرولينز وحركت أصبعي على طول عنقي لكي يوقف الموسيقى.

توقف رولينز عن الرقص وبدا عليه الامتعاض، وأمسك بجهاز تحكم عن بعد، وأوقف عرض مقطع الفيديو، فعمَّ الهدوء المعمل.

قال رولينز: "كان أفضل جزء من الأغنية هو التالي، لقد عزف كلاي بريتشارد أفضل عزف منفرد بالساكسفون منذ..."

زجمرت باترا قائلة: "لقد اتصلت بنا واستدعيتنا للحضور، ليس بغرض الرقص، أليس كذلك؟ لأنه إن كان هذا هو السبب، فسأغضب كثيرًا".

قال ماهوني: "أما شعوري أنا فسيكون أكثر من الغضب بكثير".

تهدد رولينز وقال: "أساءل أحيانًا إن كان التدريب في أكاديمية الشرطة يعتصر الروح والبهجة من داخل كل عميل يتخرج في كوانتيكو".

قلت: "دعنا نر ما عثرت عليه يا كريزي كات".

عقص رولينز شعره كتلك الخاصة بمحاربي الساموراي، الأمر الذي لم يستسفه أي من باترا أو ماهوني، ثم حرك خبير الحاسب أصبعه نحوي وجذب منشفة بيده الأخرى.

وقال رولينز: "لقد استغرق مني الأمر ٢ أيام متتالية، ولكنني تمكنت في النهاية من إيقاظ الميت".

قالت باترا: "ماذا تقول؟".

قال رولينز بينما كان يجفف الجزء العلوي من جسده: "لقد حققت المعجزة".

ثم ارتدى قميصًا من قمصان المباحث الفيدرالية وحذاء خفيفًا يحمل اللونين الأبيض والأسود قبل أن يتجه نحو لوحة مفاتيح تواجه الشاشات الرئيسية.

قال رولينز وهو يضغط على أزرار لوحة المفاتيح: "كانت الكثير من البيانات تالفة، ولكنني تمكنت من إنقاذ بعض الأشياء من اليوم الذي قُتل فيه تيمي ووكر".

ضغط رولينز على زر الإدخال، فاختفى مقطع فيديو فلوريدا ومنزله من على الشاشات، وحلَّ محله مقطع فيديو مهزوز لمشهد في الغابة، يظهر منه أن حامل الكاميرا كان يتسلل خلسة عبر الأشجار الكثيفة.

لم أعلم مكان التقاط هذا الفيديو حتى ظهرت يد الصبي لتزيح بعض أوراق الأشجار لتظهر من خلفها حافة أرض طينية. مالت الكاميرا نحو الأرض الطينية، ثم ارتفعت على بعد حوالي ٦ أمتار من سيارة تويوتا كامري زرقاء وسط منطقة مألوفة من الغابة وخالية من الأشجار.

اهتزت الكاميرا، وسمعت لهاث تيمي ووكر بينما كانت كل من جيني كراوس وأليسون داين تجلسان معاً في المقعد الخلفي للسيارة.

قالت باترا: "لقد كان الصبي توم متلصصاً غريب الأطوار".

قال رولينز: "إنه غريب الأطوار بالفعل، ولكنني أعتقد أنكم ستحبون ما تلصص عليه تيمي، قبل أن ينتهي مقطع الفيديو".

استقرت الكاميرا وتم تقريب المشهد. كانت أليسون داين تداعب صديقتها، ثم بدا كأنها قد سمعت أمراً ما، وكذلك حامل الكاميرا.

دارت الكاميرا لتصور الفراغ قبل أن تعود للتركيز على الفتاتين اللتين كانتا تجمعان ملابسهما، ثم تصادف أن نظرت جيني كراوس خارج نافذة السيارة نحو حافة الغابة، بل نحو الكاميرا مباشرة.

وصاحت: "هناك صبي غريب الأطوار يرتدي ملابس مموهة يقف بالخارج. إنه يصورنا".

بدا أن تيمي قد استدار مسرعاً وبدأ يعدو نحو الغابة. مرت ٢٧ ثانية تالية دون أن تصور الكاميرا شيئاً مهمّاً، وكان المشهد يعرض في الغالب نباتات الغابة الخضراء.

ثم، من بين نقيق ضفادع الأشجار وصفير الصراخ، سمعت صوت محرك سيارة داخل المنطقة الخالية من الأشجار ثم صوت توقفها، ثم صراخ إحدى الفتاتين.

استدارت الكاميرا وبدأت تتحرك مجددًا مقتربة من المنطقة الخالية من الأشجار، واقترب المشهد ليُظهر شاحنة فورد كبيرة بيضاء تقف أمام السيارة الكامري.

بدأت واحدة من الفتاتين تصرخ مرة أخرى قائلة: "لا، أرجوك لا تفعل هذا، النجدة! أيها الصبي، ساعدنا! أيها الصبي، ساعدنا!". ثم انطفأت الشاشة.

قال رولينز: "للأسف، هذا هو كل ما تمكنت من استرجاعه".

قال سامبسون: "اللعنة. هل يمكنك أن تمنحنا لقطة مقربة من الشاحنة؟".

قال رولينز: "لم أكن بحاجة لهذا؛ فقد فعلها تيمي".

ضغط على أزرار لوحة المفاتيح معطيًا الحاسب بعض الأوامر، وملأت الشاشة الوسطى صورة رقمية مقربة وغير واضحة للشاحنة. كانت نوافذها معتمة، فلم يتمكن من رؤية ما بداخلها، إلا أن اللافتة على جانبها كانت ظاهرة.

قال ماهوني: "شركة دش نتوروك لأطباق الاستقبال؟".

قلت: "لوحة تسجيل السيارة تشير إلى أنها من ولاية ماريلاند. ٥، ٧، إي،

١... لا يمكنني تبين الرقم الأخير".

قال رولينز: "إنه ٦. سيمكنك رؤيته بوضوح أكبر في الصور الأخرى".

قال سامبسون: "كم عدد الصور الأخرى؟".

قال رولينز: "٥ صور، كان بإمكان تيمي أن يفر هاربًا بعد أن رآته الفتاتان، ولكنه سمعهما تصرخان، وقرر أن يلتقط هذه الصور. أعتقد أنه كان سيذهب بها إلى الشرطة، وإلا فلماذا يخاطر من الأساس؟ لماذا لم يفر هاربًا، وهو الأمر الطبيعي الذي كان سيفعله أي صبي في الثانية عشرة من عمره تم ضبطه يفعل شيئًا خطأ؟".

طبقًا للغة جسد باترا، بدا أنها لم تقتنع بهذه النظرية، إلا أن ماهوني قال:

"أعتقد أنك محق".

قلت: "وأنا أيضًا أعتقد أنك محق. أعتقد أن هذه الصور هي ما تسببت في

قتل تيمي ووكر".

قال رولينز: "أعلم أنهم فعلوا، فقد توقف الهاتف عن العمل بعد ٢٥ ثانية

من التقاط الصورة الأخيرة".

الفصل 94

بعدهما حلّ الليل في ذلك اليوم، كنت وسامبسون وماهوني جالسين نراقب خبراء مسرح الجريمة التابعين للمباحث الفيدرالية وهم يستعدون لفحص شاحنة فورد بيضاء تحمل لافتة شركة دش نتوورك لأطباق الاستقبال على جانبيها. كانت السيارة تقف في ساحة انتظار سيارات أمام متجر شهير لبيع أطباق الاستقبال في روكفيل بولاية ماريلاند، والذي تم تطويقه بشريط الشرطة.

كان مدير المتجر - وهو رجل ضئيل الحجم، يشبه طائر الكركي، يُدعى ليستر بوتز - يفرك يديه معاً وهو يراقب ما يحدث في عصبية. قال بوتز: "أنتم تعلمون أن هذه الشاحنة قد سُرقت، أليس كذلك؟". سأله سامبسون: "متى كان هذا؟".

قال بوتز: "منذ ٥ أو ٦ أشهر! كانت واحدة من الفنيين العاملين لديّ متجهة لتركيب طبق استقبال في أحد المنازل في جايترسبيرج، ودخلت المنزل لأقل من ١٠ دقائق، ثم خرجت لتجد أن الشاحنة قد اختفت. سُرقت في وضع النهار. وتمكن اللصوص من تعطيل جهاز التتبع فيها. مرت ٦ أسابيع، وأخرجتها الشركة من حساباتها باعتبار أنها قد سُرقت وتم تقطيعها وبيعها كقطع غيار. ثم وصلتنا مكالمة هاتفية تفيد بأن شرطة دورية الطريق في ولاية بنسلفانيا قد عثرت عليها متروكة في ساحة لركن السيارات لفترات طويلة في مطار

هاريسبرج. لقد كان أمرًا جنونياً، ولكنهم لم يأخذوا منها شيئاً. كانت الشاحنة نظيفة وفي حالة جيدة مثلما كانت يوم سرقتها، فظننا أنه ربما أخذها أحدهم في جولة فقط".

قال سامبسون: "لا، لقد استخدمها أحدهم لاختطاف فتاتين لا تزالان مفقودتين حتى هذه اللحظة، ويتم تعذيبهما من أجل إشباع نزوات المختلين على شبكة الإنترنت".

قال بوتر وقد شحب وجهه: "يا إلهي! لم أكن أعرف هذا".

قلت: "مَنْ كان يقود السيارة يوم سُرقت؟"

قال: "لورديس رودريجز، وهي واحدة من أفضل موظفيّ على الإطلاق".

قلت: "هل يمكننا التحدث مع الأنسة رودريجز؟"

قال بوتر: "إنها لم تعد تعمل هنا؛ فقد ورثت الفتاة المحظوظة مبلغاً كبيراً من المال من عم والدها وتركت العمل هنا منذ بضعة أشهر".

قال سامبسون: "أعتقد أن سحر تركيب أطباق الاستقبال لم يكن كافياً لبقائها في العمل بشركة دش نتوروك".

حدجه مدير المتجر بنظرة حادة ثم قال: "من قد يلومها على ذلك؟"

قلت: "لا أحد، هل تمتلك بيانات اتصال بالأنسة رودريجز؟"

قال: "أنا واثق بأنها لديّ في مكان ما".

قلت: "هل يمكنك أن تسدينا معروفاً وتعثر عليها؟"

تأفف بوتر قليلاً كما لو أنه يعتقد أن هذه المهمة لا تناسبه، ولكنه دخل متجره على أية حال.

قلت: "لماذا لم يأخذوا شيئاً من السيارة؟"

قال سامبسون: "كم عدد الأشخاص غير المديرين الذين يعرفون كيفية تركيب أطباق الاستقبال؟ كما أنني لا أستطيع أن أتخيل أنه من السهل الحصول على تلك السيارات من السوق السوداء. إنهم يقولون أطباقاً في كل..."

نادت كارين جيتي، إحدى خبراء مسرح الجريمة: "أيها العميل ماهوني؟". كانت جيتي واقفة عند مؤخرة الشاحنة مرتدية غطاءً شفافاً فوق ملابسها وقفازات بلاستيكية، وغطاءً أزرق اللون فوق حذائها. كان الباب المزدوج لمؤخرة الشاحنة مفتوحاً، ويظهر من خلفه أرفف وصناديق لوازم و٦ أطباق استقبال، ولفات مكدسة من الكابلات.

قالت جيتي: "يجب أن تروا هذا".

توجهنا جميعنا نحو نهاية الشاحنة التي بدت نظيفة للغاية.

قالت: "أطفئ الأنوار".

انطفأت الأنوار الداخلية للسيارة، وكذلك انطفأت المصابيح التي تم إحضارها لإنارة مكان البحث. التقطت جيتي قارورة مكتوباً عليها لومينول وبدأت ترشها في كل مكان داخل الشاحنة.

ولومينول عبارة عن مادة تضيء عندما تتعرض لمواد بعينها، مثل الحديد الموجود في هيموجلوبين الدم. فعندما يحاول شخص ما أن ينظف الدماء، يترك آثاراً خلفه، وعند رش هذه المنطقة بمادة لومينول، تضيء المادة الكيميائية بضوء أزرق لبعض الوقت عند ملامستها لهذا المكان.

ظهرت على الفور بقع زرقاء على أرضية الشاحنة بالقرب من بابها الخلفي. وكلما رشت جيتي أكثر، ظهرت المزيد من البقع، حتى بدأ الجزء الداخلي للشاحنة في نهاية المطاف كما لو أنه ليلة مرصعة بالنجوم على أرضيته وسقفه وجدرانه.

قال بوتر: "ما هذا بحق السماء؟"؛ حيث كان مدير المتجر قد عاد ووقف

خلفنا.

نظر سامبسون إليه وقال: "هذا دليل على حدوث جريمة قتل".

الفصل 95

في صباح اليوم التالي، توجهت وسامبسون بالسيارة إلى عنوان المرأة التي كانت تقود الشاحنة عندما سُرقت. كانت لورديس رودريجز تعيش في مدينة سيلفر سبرينج بولاية ماريلاند، في الطابق الثامن من مبنى سكني ضخم، متوسط السعر، ذي واجهة حجرية.

وصلنا إلى باب البناية الموصد وضغطنا الزر المكتوب عليه شقة رقم ٨٠٥، الخاصة بالآنسة رودريجز، ولكننا لم نتلقَ ردًّا. فكرنا في أنه مع بناية بهذا الحجم الضخم، ربما كان هناك مشرف مقيم بها، وحالفنا الحظ عندما أجابنا آرني فايفر، مشرف البناية، وفتح لنا الباب الأمامي.

دخلت وسامبسون ردهة ذات ديكورات تعود لحقبة السبعينيات، ظهرت عليها الخدوش وطلاتها يد الإهمال.

قال سامبسون: "لم أكن لأقطن في هذا المكان لو ورثت مبلغًا كبيرًا من المال".

وافقته الرأي، وكنت أفكر في أن امرأة في مكانها، في بدايات الثلاثينيات من عمرها وورثت ثروة مفاجئة، كانت ستختار العيش في بناية سكنية أحدث وأكثر فخامة في وسط مدينة سيلفر سبرينج، أو...

انفتح باب عن يميننا، وبرقت شاشة التلفزيون وسمعنا صوت المذيع يعلن عن بدء برنامج *أمريكا نينجا واريور*، وخرج من الباب رجل ضئيل الحجم، في

الستينيات من عمره، يرتدي روب استحمام أحمر اللون فوق ملابسه، وخفين، ويضع غطاء رأس صغيراً على رأسه من اللونين الأزرق والأبيض. نظر إلينا عبر نظارته المستديرة وقال: "هل أنتما الشرطيان؟" سأله سامبسون بينما كنا نريه شارتينا: "هل أنت مشرف البناية؟" قال: "أنا سيد هذه القلعة، آرني فايضر. كيف يمكنني مساعدتكما أيها المحققان؟".

قلت: "نود الصعود إلى شقة لورديس رودريجز".

قال: "لماذا؟ ماذا فعلت؟".

قلت: "نود أن نطرح عليها بعض الأسئلة بخصوص عملها السابق".

تردد فايضر للحظات ثم قال: "سأتي معكما إن لم تمانعا".

قلت: "لا مانع على الإطلاق".

قال فايضر: "هيا بنا إذن"، ثم اندفع من جوارنا متجهاً نحو مكان المصاعد، ووجدنا لافتة "خارج الخدمة" موضوعة على أحد المصعدين.

ركبنا المصعد القديم الذي يصدر الكثير من الصرير حتى الطابق الثامن، ثم انفتحت أبوابه، وخرجنا إلى رواق معتم مفروش بسجادة مهترئة.

سرنّا في الرواق حتى وصلنا إلى الشقة رقم ٨٠٥ وقمنا برنّ الجرس، ولم نتلقَ إجابة. طرقتنا على الباب، ولكن لم يفتح أحد. كنت على وشك أن أقترح أن نغادر تاركين بطاقتينا مع رسالة نطلب فيها أن تتصل بنا عندما سمعت من الداخل صوت مواء مرتفع لقطعة بدت مستاءة للغاية.

قال فايضر غاضباً: "قطعة؟ لا قطط، ولا كلاب، إن عقد الإيجار واضح في هذه النقطة".

قال سامبسون بعدما رأى نظرتي له: "من صلاحياتك أن تخرج القطعة من البناية، وسنساعدك، إنه أقل ما يمكننا فعله من أجلك".

نظر إلينا مشرف البناية بتشكك وقال: "أنتما لا تحاولان دخول الشقة من دون مذكرة تفتيش، أليس كذلك؟".

قال سامبسون: "لو كنا نريد ذلك، لأخبرناك بأننا نشم رائحة غاز".

قال فايضر بينما كان مواء القطعة يزداد حدة من الداخل: "كل الأفران في البناية تعمل بالكهرباء".

قلت: "يبدو أن القطة جائعة، يمكننا الاتصال بالمسؤولين عن الرقابة على الحيوانات ونتهم الأنسة رودريجز بالإهمال، وسيدخلوننا الشقة".

لم يرق هذا الأمر لمشرف البناية، وبحث في جيبه عن سلسلة مفاتيحه، ثم أمسك بالمفتاح الرئيسي واستخدمه لفتح الباب.

دفع فايفر الباب على مصراعيه، فقفزت قطة صفراء برتقالية قدرة وركضت من بين أقدامنا قبل أن يتمكن أي منا من الإمساك بها. جرت القطة حتى نهاية الرواق واستدارت نحو اليمين واختفت.

قال فايفر شاكياً وقد وضع راحة يده على جبهته وقال: "لقد كبرت على هذا الهراء".

رأيت أنه لم يكن يتحدث عن القطة، بل عن الشقة، فقد كانت الشقة خالية ونظيفة تماماً.

الفصل 96

سار فايفر إلى داخل الشقة الصغيرة المكونة من غرفة نوم واحدة، وسرنا وراءه.

وعندما وصل إلى غرفة المعيشة تلفت حوله في ذهول وقال: "إنها لم تقل شيئاً عن ترك الشقة".

قلت: "سمعنا أنها ورثت مبلغاً كبيراً من المال".

قال مشرف البناء وقد رفع أحد حاجبيه الرماديين الكثين: "هل هذا صحيح؟ لا أظن أنها ذكرت شيئاً عن هذا، ولكن لماذا تخبرني بذلك من الأساس؟ منذ متى حدث هذا؟".

قلت: "منذ بضعة أشهر".

قال فايفر في حيرة: "هل ورثت الكثير من المال وظلت تسكن هنا طيلة أشهر؟".

ماذا كنت سأقول له؟ كان الرجل يعرف جيداً القيمة السوقية للمبنى الذي يشرف عليه.

سأله سامبسون: "هل يمكننا أن نلقي نظرة على نسخة من عقد إيجارها؟". قال الرجل متشككاً مرة أخرى: "لماذا؟".

رد سامبسون: "أعتقد أنك لا تملك عنوانها الجديد، حيث إنها تسلمت بعاجياتها إلى خارج البناية، ولكن سيكون في العقد حساب مصرفي ومعلومات مرجعية أخرى قد تساعدنا في معرفة أين ذهبت".

فكرَ فايفر في الأمر ثم أوماً برأسه.

وبعدما تأكدنا من أن رودريجز قد نقلت جميع متعلقاتها من الشقة، كنا في طريقنا إلى الخارج عندما رأيت بعض الجرائد موضوعة في كيس ورقي بني اللون خلف الباب. أمسكت الكيس بين يديّ، آملاً أنه قد يعطينا فكرة عن فترة غيابها.

أخرجت بضع جرائد من الكيس وقلبت في بعضها.

كانت جميع النسخ من جريدة *واشنطن بوست*، وأغلبها يعود لشهر أوزيد، وكانت أغلبها صفحات أولى من الجريدة، مع بعض الأقسام عن منطقة مترو فيما بينها. ظللت أتصفح الجرائد بينما كنا نهبط بالمصعد، وسرعان ما لاحظت أمراً بدا كأنه نمط مقلق.

لم أقل شيئاً عما لاحظت حتى دخل فايفر شقته وأصبحت مع سامبسون وحدنا في الردهة.

قلت وأنا أعيد الجرائد إلى الكيس مرة أخرى: "سنحتفظ بهذه الجرائد". فسألني سامبسون: "لماذا؟".

قلت: "جميع هذه الصفحات تحوي أخباراً إما عن جريشن ليندل أو واحدة من الفتيات المختطفات الأخريات".

"إذن فربما كان هناك سبب لتسلل لورديس رودريجز بهذه الطريقة إلى خارج البناية في منتصف الليل".

قلت: "ربما يكون هذا ما حدث بالفعل".

ظهر فايفر من داخل شقته حاملاً ملفاً كُتبت عليه عبارة "شقة ١٠٥ - إل. زدريجز". فتحت الملف وألقيت نظرة على نموذج عقد الإيجار، ثم ركزت على صورة للمستأجرة ملصقة في العقد.

قلت وقد بدأت أرى رودريجز من منظور جديد تماماً: "هكذا إذن"، ثم التقطت صورة للعقد ولصورة المرأة، ثم أعدت الملف إلى فايفر.

قال فايفر: "هل انتهى كل شيء؟ عليّ أن أبدأ البحث عن القطة".

شكرنا مشرف البناية على وقته وانصرفنا. وبمجرد أن انغلق باب البناية الرئيسي من خلفنا، قال سامبسون: "ماذا رأيت في هذا العقد؟".

"ألم أنجح في إخفاء تعبيرات وجهي؟".

"إنني أعرفك منذ كنا في العاشرة من عمرنا".

عرضت عليه صورة الصورة الملصقة في العقد.

وقلت: "لورديس رودريجز! أنا أعرفها باسم آخر".

مكتبة | 719
سُرَّ مَنْ قَرَأَ

الفصل 97

كان مجمع بنايات يونيون واراف السكني شديد الضخامة في فيلز بوينت هو أغلى منطقة سكنية في بالتيمور، وكان إيجار الشقة يكلف ٥ أضعاف ما كانت تدفعه لورديس رودريجز في بناية فايفر. كنا قد استخدمنا رقم الحساب المصرفي ومعلومات أخرى من عقد إيجار رودريجز القديم لنتتبعها وصولاً إلى مكان إقامتها الجديد.

كانت هناك شاحنة نقل أثاث صغيرة تسد شارع ساوث وولفي، وكان الباب الأمامي لإحدى البنايات السكنية مفتوحاً ليمر منه الأشخاص الذين يحملون قطع الأثاث الملفوفة في البطاطين. تبعنا الحمالين إلى داخل البناية وصعدنا الدرج إلى الشقة ٢ إي.

كان الباب مفتوحاً، وكانت هناك موسيقى ريفية تعزف من الداخل، ودخل الحمالون، وكذلك فعلنا.

تبعنا سامبسون عبر الصناديق المقدسة التي تسد مقدمة الردهة، وسمعت صوتاً مألوفاً يقول: "احترسوا عند نقل هذه القطعة، لقد كانت تخص والدتي". دخلنا غرفة معيشة بها نافذة زجاجية كبيرة تطل على مشهد بانورامي لميناء بالتيمور، كانت لورديس رودريجز ترتدي سروالاً من الجينز وسترة وردية واسعة، وتقف بجوار النافذة تراقب الحمالين وهم ينقلون طاولة إلى المكان الذي حددته.

بدأت عليها الحيرة عندما رأت سامبسون واقفاً أمامها رافعاً شارته، ثم رأته.

خطوت إلى داخل الغرفة، وقلت: "أنت لم ترسلي لي بريدك الإلكتروني الجديد يا أني".

مرت لحظات ارتسمت خلالها الدهشة الشديدة على وجه مدمنة الحب، حتى ظننت أنها قد تسقط ميتة أمامي على الفور.

قالت بصوت مبحوح: "دكتور كروس؟ ماذا تفعل هنا؟"

قلت: "سأطرح عليك السؤال نفسه يا أني. أم أدعوك لورديس؟"

ازدردت ريقها وأشاحت بوجهها بعيداً وقالت: "لورديس".

قلت: "لماذا استخدمت اسماً زائفاً عندما أتيت لزيارتي؟"

طرفت رودريجز بعينيها، وزفرت، ونظرت إلى الحمالين الذين كانوا يغادرون الغرفة وقالت: "أليست هذه معلومات سرية ويجب ألا تكشف عنها؟"

قال سامبسون: "ليس عندما يتعلق الأمر بجرائم قتل واختطاف وتعذيب".

جعلتها هذه الكلمات تجفل، وقالت وهي تنظر نحوي: "ما الذي تتحدثان..."

دكتور كروس. لقد أتيت للقاءك منتحلة شخصية زائفة بسبب الإدمان الذي أخبرتك به، أنا لا أعلم أي شيء عن أي تعذيب أو قتل أو اختطاف".

قال سامبسون: "والشاحنة التي سرقت منك عندما كنت تعملين في تركيب

أطباق الاستقبال، لقد فحصناها من الداخل وعثرنا على الكثير من آثار الدماء".

خفضت عينيها نحو الأرض وقالت: "آثار دماء؟ أنا لا... لقد سرقت

الشاحنة، ولا علاقة لي بهذا الأمر".

قلت: "حقاً؟ لقد تم التقاط صورة الشاحنة نفسها في مقطع فيديو يظهر

عملية اختطاف فتاتين من بنسلفانيا".

فغرت فاهاً وتراجعت خطوتين إلى الخلف.

قال سامبسون: "إنها مصادفة عجيبة، كما أنك تركت خلفك في شقتك

السابقة عند السيد فايفر الكثير من المقالات الإخبارية عن الفتاتين المختطفتين نفسيهما".

قلت: "كما أنني رأيتك تنصرفين من أمام عيادتي وتركيبين سيارة مع

الرجل الذي انتحل شخصية ألدن ليندل، والد إحدى الفتيات المختطفات".

هزت رأسها كما لو كانت تحاول تصفية ذهنها وقالت: "مهلاً. ماذا؟ والد إحدى الفتيات المختطفات؟".

قلت: "الرجل الذي ادعى هذا. لقد ركبت سيارته النيسان باثفايندر بعد أن خرجت مباشرة من عيادتي. لقد رأيتك، ما الذي يحدث يا أني، أيًا كان اسمك الحقيقي؟".

أشاحت بيديها في الهواء في غضب، وقالت: "عندما خرجت من عيادتك؟ لقد طلبت سيارة أجرة من شركة أوبر، وأرسلت أحد سائقيها ليقلني. يمكنك أن تتأكد من هذا، أنا واثقة بأن هناك سجلاً بهذا".

أوبر؟ هل هذا ممكن؟ إنك تطلب سيارة تابعة لشركة أوبر وعادة ما يصلك أقرب سائق منك. ما الذي يعنيه هذا؟ هل كان هذا المحتال، أيًا كانت شخصيته، يراقب منزلي؟

قال سامبسون: "سنتأكد من شركة أوبر. وماذا عن المقالات الإخبارية؟". فركت رودريجز رقبتها ولم تنظر نحونا ولم تجب.

قلت: "ستظهر الحقيقة إن أجلاً أو عاجلاً. وفي قضايا التآمر، عادة ما تتساهل المحكمة مع أول متهم يرشد عن شركائه في الجريمة".

قالت بحدة: "تآمر؟ لا، لا شيء من هذا القبيل. ليس هذا ما حدث". قلت: "ما الذي يعنيه هذا بحق السماء؟".

بدا عليها الارتباك في هذه اللحظة، ثم بدأت تفرك يديها قليلاً ثم رفعت يدها في استسلام.

قالت: "حسناً، حسناً، لقد تورطت في أمر ما منذ فترة طويلة يا دكتور كروس، وسأخبرك بكل شيء أعرفه، كل شيء، سأقول لك الحقيقة، بكل حذافيرها".

الفصل 98

بعد ساعتين وخمس وأربعين دقيقة، كان سامبسون قد خرج من طريق أي - ٩٥ وصار يقود السيارة نحو الشمال في شارع فرونت ستريت، الذي يسير موازيًا للطريق السريع ونهر ديلاوير اللذين يمران بفيلادلفيا. كان الطقس يتغير، حيث تجمعت سحب داكنة في الأفق متجهة نحو الغرب.

قال سامبسون: "شالابي هذا يبدو شخصًا غريب الأطوار من الطراز الأول".

قلت: "لن يكون أول شخص يحقق نجاحًا في مجال الأفلام بهذه الطريقة". راجعنا معًا النقاط الأساسية من اعتراف رودريجز للمرة الرابعة أو الخامسة حتى الآن.

كان أحد أصدقاء طفولة لورديس رودريجز، كاسي شالابي، يأمل دومًا في أن يصبح مخرجًا سينمائيًا.

قالت رودريجز: "انتهى به المطاف بصناعة الأفلام الإباحية تحت اسم مستعار هو ديرك والاس. وجميعها من أفلام العنف والتعذيب. أفلام مريضة".

وقالت رودريجز إن شالابي ادخر بعض المال من عمله في الأفلام ليمول إنتاج فيلم رعب من تأليفه.

قالت: "أفلام الرعب لا تكلف الكثير لتصويرها. وقد قال كاسي إنه يمكن إنتاجها بميزانية تقل عن المليون دولار. فقد أنتج جيمس وان فيلم المنشار بميزانية لا تزيد كثيرا على ٥٠٠ ألف دولار، وحقق الفيلم عائدات تُقدر بحوالي ٥٥ مليون دولار. كان كاسي يحاول أن يقلد وان".

واعتت رودريجز أنه حتى مع المال الذي جمعه كاسي من إنتاج الأفلام الإباحية، فإن فيلم الرعب الخاص به سيتم إنتاجه بميزانية قليلة. وعندما علم كاسي أنها بصدد أن تراث ثروة عم والدها، حاول إقناعها على الفور بأن تساعد على تمويل الفيلم.

قالت رودريجز: "أعطيته بعض المال، ولم أكن قد حصلت على ميراثي بعد. لقد أخذته من مدخراتي. خمسة آلاف دولار، ثم خمسة أخرى، ثم أراد كاسي الحصول على الشاحنة التي أستخدمها في شركة دش نتوورك. وقال لي إنه حتى مع المال الذي أعطيته إياه، فإنه لا يملك ما يكفي من المال لشراء أو استئجار شاحنة، وكانت شاحنتي مناسبة تمامًا للتصوير. أراد مني أن أقرضه إياها لليلة واحدة فقط".

قلت: "وبم أجبته؟"

قالت: "رفضت بشكل قاطع، ولكن كاسي قد يتحول إلى شخص انتقامي في أية لحظة".

رفع سامبسون حاجبيه وقال: "هل تقولين إن شالابي هو من سرق شاحنتك؟"

قالت: "سأتحدى بكل ما أملك على هذا. وماذا عن تلك الدماء التي عثرتم عليها بداخلها؟ هل كانت دماء بشر؟"

قلت: "لا نعلم بعد".

قالت: "ربما كانت دماء أحد الحيوانات. إنه يستخدم الكثير من دماء الحيوانات في مشاهد القتل الرئيسية في فيلم بلايد".

فكرت في هذه المعلومة لبضع لحظات ثم قلت: "إذن، فقد سرق شاحنتك واستخدمها في مشاهد القتل في فيلمه، ولكني لم أعتد بعد على رابط بين ما تقولين وتلك المقالات الإخبارية التي عثرنا عليها في بنائتك القديمة".

ازدردت رودريجز ريقها بصوت مسموع وقالت: "لم أتحدث مع كاسي منذ سرقة شاحنتي، ولكنني قرأت سيناريو فيلمه منذ أمد بعيد. يتحدث الفيلم عن ٤ شقيقات يرثن مصنعاً مهجوراً ومنزلاً قديماً من العصر الفيكتوري، ثم تدور الأحداث مثل أي فيلم رعب آخر شاهدته من قبل، ولكن المختلف في هذا الفيلم هو الشقيقات: فكلهن جميلات وشقراوات، ويتعرضن للقتل، الواحدة تلو الأخرى".

وكان هذا كافياً لكي نقود السيارة نحو فيلادلفيا للتحدث مع السيد شالابي وجهاً لوجه.

أعطينا رودريجز آخر عنوان تعرفه لـ شالابي، وقالت إنها تعتقد أن هذا المكان هو الموقع الذي يصور فيه أفلامه. عثرنا على العنوان، وكان لمدرسة قديمة تُسمى إميرسون، وقد تم تجديدها وتحويلها إلى مبنى سكني به شقق صغيرة، ومساحات عمل في نهاية الشارع الذي يوجد به مسرح الفنون المعاصرة.

لم تتمكن رودريجز من تذكر اسم شركة شالابي بدقة، ولكننا عثرنا على شركة اسمها "سي. سي. للإنتاج" في القائمة الموضوعة عند مدخل إميرسون. كان مقر الشركة في الطابق الثاني، الوحدة ٢، وهو العنوان نفسه الذي أعطينا إياه رودريجز.

صعدنا الدرج وسرنا في رواق طويل مارين بأبواب لإستديوهات فنانين كان بعضها مفتوحاً وبعضها مغلقاً، وكان جميع الفنانين يعملون في مجالات فنية وترفيهية. كانت رائحة المكان عطرة، وكانت هناك موسيقى تعزف. كان المكان يورثني شعوراً بالألفة في مجمله، الأمر الذي ضايقني بينما كنت أتجه نحو الباب المغلق لشركة "سي. سي. للإنتاج". لم أكن مقتنعاً بأن إدارة المبنى ستسمح له بأن يصور الأفلام الإباحية أو مشاهد القتل داخل المبنى.

طرق سامبسون الباب، وأدار مقبضه وفتحه، فألقيت نظرة واحدة على المكان من الداخل وسخرت من نفسي.

كانت سي. سي. للإنتاج عبارة عن شركة أفلام رسوم متحركة؛ فقد كانت هناك صور لشخصيات كارتونية معلقة على الحائط خلف مكتب

امرأة أمريكية من أصل هندي في العشرينيات من عمرها، والتي رفعت رأسها ونظرت نحونا مبتسمة.

قالت: "هل يمكنني مساعدتكما؟".

قال سامبسون: "إننا نبحث عن كاسي شالابي".

قالت: "أنا كاساندر شالابي".

قلت غاضباً: "بالطبع، آسفين على إزعاجك".

أغلقنا الباب خلفنا، وقال سامبسون: "تلك المرأة فنانة في الاحتيال".

قلت: "محترفة تماماً، وكاذبة بالفطرة".

قال سامبسون: "بكم تتحدى على أنها قد بدأت في الانتقال للمرة

الثالثة منذ انصرفنا؟".

قلت: "ولا حتى بسنت واحد. لقد اختفت لورديس رودريجز، أو آني

كاسيدي، أو أيًا كان اسمها".

الفصل 99

عندما عدت وسامبسون إلى الباب الأمامي للمبنى الفني، كان الجو معتمًا في الخارج، وبدأت الأمطار تهطل على المارة الذين يسرعون الخطى وهم يسيرون منحنيين بفعل العاصفة.

قال سامبسون: "ستغرقنا الأمطار".

قلت: "علينا أن نعدو". فتحت الباب وقفزت خارجًا. جلدت الأمطار التي توجهها الرياح الشمالية القوية وجهي وعيني، وأجبرتني على أن أحنى رأسي وأضع ذراعيّ فوق حاجبيّ وأنا أركض نحو السيارة من دون أن أرى أي شيء تقريبًا.

وبينما كنت أعبّر الشارع السابع، انزلقت قدمي في فجوة في الأرض، ففرقت قدمي اليمنى وحذائي في الماء، واصطدم كاحلي وقصبة ساقي بحافة الفجوة، فتعثرت ولكني استندت إلى مقدمة سيارة كرايسلر سيبرنج تقف في إشارة المرور.

ولكن، لعل هذا التعثر هو ما أنقذ حياتي؛ لأنني بمجرد أن تعثرت، سمعت ضوضاء مدوية وانفجر مصباح السيارة السيبرنج الأمامي الأيمن.

صاح سامبسون قائلاً: "هناك قناص!"، ثم جذبني من ظهر معطفي وألقى بي خلف السيارة السيبرنج، وجعلني أرقد على الأرض قبل لحظة من اصطدام طلقة أخرى بمقدمة السيارة واختراقها للرادياتير، ما جعله يخرج بخارًا كثيفًا.

بدأ قائد السيارة السيبرنج يصرخ بلغة لا أميزها، وبدأت قصبه ساقي تصرخ هي الأخرى بلغة لا أعرفها، ولكنني أجبرت نفسي على إخراج مسدسي الرسمي وشارتي.

قلت: "أين يكون؟".

قال سامبسون: "لقد حددت مكان وميض الطلقة الأولى من مكان مرتفع قليلاً، شمال حافة التقاطع وما خلفه، ويبدو أنه يستخدم كاتم صوت أيضاً". تجاهلت الألم في ساقي، ورفعت نفسي بما يكفي لألقي نظرة من فوق صندوق السيارة عبر المطر الغزير. كانت إشارة المرور في الشارع الجنوبي ذي الاتجاه الواحد قد أصبحت صفراء، ومررت سيارتان، فأعمتني أنوار مصابيحهما الأمامية حتى سمعت صوت الطلقة الثالثة.

سمعت صوت أزيز الرصاصة ثم تناثرت شظايا زجاج النافذة الأمامية ونافذة الجانب الأيمن للسيارة مع عبور الرصاصة، فرقدت على الأرض وسمعت صرخات السائق المدعور تزداد.

قلت: "هناك شاحنة تقف عند الجانب الشمالي من الشارع الجنوبي". تحولت إشارة المرور في الشارع السابع إلى اللون الأخضر، فضغط سائق السيارة السيبرنج على دواسة الوقود بهستيرية، إلا أن السيارة وثبتت في موضعها ثم توقفت وخرج منها دخان كثيف قبل أن يتوقف محركها بعد أن دخلت مفترق الطرق بيضعة أمتار. حاول سائقو العديد من السيارات أن يديروا إطارات سياراتهم في محاولة منهم للدوران حول السيارة السيبرنج.

وبدأت سيارات أخرى تطلق أبواقها في غضب.

قال سامبسون: "هناك شاحنة صغيرة تكسر الإشارة الحمراء".

وفي حركة واحدة، نهضت واقفاً وأمسكت مسدسي بيدي الدقيقة من فوق المرأة الجانبية اليمنى للسيارة السيبرنج. كنت أصوب نحو الشاحنة التي كانت تحاول تفتادى السيارات المكدسة في التقاطع، للحظة، لم أكن أرى ما يمكنني التصويب عليه.

ثم رأيت ظللاً، شخصاً يرتدي ملابس سوداء يقف مستنداً إلى الجزء الخلفي من مقصورة الشاحنة. استدار الرجل ورأيت كاتم الصوت المثبت على فوهة بندقيته.

قلت: "سأطلق النار"، وأطلقت النار بالفعل، ولكنني لم أصب الهدف. ردَّ عليَّ حامل البندقية بإطلاق النار، ولكن رصاصته طاشت بعيداً. كذلك طاشت رصاصة سامبسون وأصابت السيارة على مسافة قريبة من الجانب الأيمن للقناص، واخترقت زجاج النافذة المجاورة للسائق.

اصطدمت سيارة فولفو ستايشن كانت تدور حول ناصية الشارع لتدخل الشارع الجنوبي بطرف مؤخرة الشاحنة، ما جعل توازن حامل البندقية يختل ويسقط داخل صندوق الشاحنة.

بدأت أقفز خلف سامبسون الذي بدأ يركض رافعاً مسدسه وشارته في وجه السيارات التي تتجه نحوه، وكنت أشعر بأن هناك أمراً مريعاً سيحدث لو لم أذهب لدعم شريكي.

في محاولة من قائدها للرجوع إلى الخلف لمواصله سيره، كادت السيارة الفولفو تدهسنا، لكننا تفاديناها بينما كانت أنوار الانتظار تنطفئ في الشاحنة وتبدأ الشاحنة في السير مجدداً مارة من تحت أعمدة الإنارة في الشارع وتزداد سرعتها ببطء.

ظللنا نعدو بجوارها، ولمحت سائقها، وكان رجلاً ذا وجه إجرامي وشعر أسود كثيف ووجنتين دامتيتين. ابتعدت الشاحنة عنا، ونهض القناص مرتكزاً على ركبتيه في صندوقها ونظر نحونا، وهو يبتسم.

زادت سرعة الشاحنة، واختفت وسط عدد كبير من الأنوار الخلفية الحمراء قبل فترة طويلة من اقتراب صوت صفارات إنذار سيارات الشرطة.

قال سامبسون في غضب بينما كنا نسير تحت المطر المنهمر عائدين نحو السيارة السيبرنج التي يتصاعد منها الدخان: "لم تكن هناك أنوار على لوحة الشاحنة الخلفية، ربما تحطم المصباح عندما اصطدمت بها السيارة الأخرى".

قلت وأنا أعرج وأشعر بالمرارة بسبب تعرضي للخداع والتلاعب: "ولكن، كانت هناك إضاءة كافية على وجه مطلق النار، إنه يجب أن يطلق على نفسه اسم ألدن ليندل".

الجزء الخامس

جميع الشقراوات
يجب أن يمتن

الفصل 100

في مساء اليوم التالي بمنزلي، كنت مستلقيًا على ظهري، رافعًا كاحلي المغطى بالثلج، وكنت أشاهد تغطية تليفزيونية من محطة دي سي لحادث إطلاق النار.

قال المحامي العام ناثن ويلز المساعد وهو ينظر إلى الكاميرا باشمئزاز واضعًا مظلة فوق رأسه: "ها هو ذا المحقق كروس يضرب من جديد، لم يكذب يعود إلى عمله منذ أسبوع إلا وبدأت طلاقات الرصاص تنهال من جديد". قلت: "تلك الطلاقات كانت موجهة نحوِّي أولاً"، ثم ضغطت بقوة على جهاز التحكم عن بعد حتى انطفأت الشاشة.

قالت بري وهي تخرج من المطبخ إلى غرفة معيشتنا وتضع كوبًا من القهوة على الطاولة بجواري: "هذا الوقح يعلم هذا جيدًا". "لقد أوقفني مايكلز عن العمل مجددًا".

قالت بري وهي تجلس بجواري: "إنها قواعد إدارة الشرطة، وسامبسون ليس أفضل حالًا منك".

"إن كاحله بحال أفضل".

"حسنًا، هذا هو الفارق الوحيد بينكما".

عمَّ الصمت بيننا لفترة طويلة. وظللت أحرق إلى الشاشة السوداء متسائلًا للمرة المائة عن سبب تركيز الرجل الذي انتحل شخصية ألدن ليندل عليّ. هل

كان أحد الذين حاولوا تليفيق تهمة القتل لي؟ هل يواصل تحقيق الهدف الذي فشل كل من كلود واتكنز وكيميكو بينكس في تحقيقه؟

وماذا عن لورديس رودريجز؟ هل هذا هو اسمها الحقيقي بالفعل؟

في ظل الضوضاء التي أحدثتها وسائل الإعلام بعد حادث إطلاق النار في فيلادلفيا، لم يكن الرئيس مايكلز في مزاج يسمح له بأن يستصدر مذكرة للبحث عن عنوانها الجديد، حتى بعد أن أخبرناه بأنها رتبت الأمر لاغتيالنا. قلت ناظرًا نحو بري: "لقد بدأت أتساءل إن كانت هناك فائدة من كل هذا، أعني من عملي في سلك الشرطة".

أرجعت رأسها إلى الخلف وعبست ووضعت كوب القهوة على الطاولة وقالت: "هل أنت جادٌ فيما تقول؟"

"أنا جاد بما يكفي لأن أقول إنني أريد أن أكون طبيبًا نفسيًا ومستشارًا ولو بدوام جزئي. أنا أستمتع بهذا العمل، كما أنه يجعلني أشعر بالرضا والأهمية بشكل لم أعد أحصل عليه من مطاردة الأشرار، يا بري".

حدقت إلى وجهي وطرقت بعينها وقالت: "أنت جاد بالفعل؟"

قلت: "أعتقد أنني جاد، وربما حان الوقت لذلك. يُقال إن أغلب الناس يعملون في ٥ مهن مختلفة على مدار حياتهم. ربما كانت الاستشارات النفسية هي أفضل شيء أفعله في المستقبل".

قالت: "كهدف أسمى؟"

تنهدت قائلاً: "هل يصعب تصديق الأمر إلى هذا الحد؟"

ابتسمت بري، ولكن كان محياها يحمل مسحة من الحزن وقالت: "كلا، يمكنني فهم ما تريد قوله. ربما كان الأمر منطقيًا مع شرطي عادي رأى الكثير، ولكنك لست شرطيًا عاديًا، يا أليكس كروس".

قلت: "هذا ليس مؤكدًا".

قالت: "قل هذا لشهادات التكريم والجوائز المكدسة في مكتبك. قل هذا لجميع أسر الضحايا الذين ساعدتهم من خلال تصرفك على طبيعتك؛ فأنت ذكي ومحترف ولا تياس مطلقًا، وتمتلك بوصلة أخلاقية لا تحيد أبدًا".

"أنا طائش ومندفع، ويطلق الناس النيران علي كثيرًا".

"هذا لأنك تمتلك نزعة فطرية لأن تقترب من الأشرار وتفسد مخططاتهم. إنك تفعل هذا باستمرار يا أليكس. قلة فقط من المحققين هم من يمكنهم قول هذا".

قبل أن أتمكن من الرد، قفز علي من المطبخ وأصبح أمامنا.

قال علي: "أبي، أعتقد أنني عثرت أخيرًا على الرياضة التي تستهويني".

من بين أبنائي الثلاثة، كان ابني الأصغر هو الأكثر ذكاءً، ولكنه لم يكن بارعًا في الرياضة. جرّب علي ممارسة الكثير من الرياضات - كرة السلة، البيسبول وحتى اللاكروس - ولكنه لم يحب أيًا منها، كما أنه كان يتعثّر ويسقط كثيرًا.

قلت: "أرجو ألا تكون رياضتك الجديدة هي هوكي الجليد".

قال علي باندعاش: "ماذا؟ لا".

"الفروسية؟"

"لا، بل رمي السهام".

"رمي السهام؟"

"هناك مسابقة على وشك أن تبدأ، وكنت أمارس اللعبة في منزل صديقي تشارلي بعد المدرسة، ولكنني بحاجة إلى لوح التصويب ومجموعة من السهام الجيدة إن كنت أرغب في التأهل للمسابقة".

شعرت بألم في كاحلي فأغمضت عيني، وسمعت بري تقول: "أين ستُعقد هذه المسابقة؟"

قال علي: "في مقهى في كابيتول هيل".

قلت وقد فتحت عيني: "مقهى؟"

"في الواقع، إنه مقهى صغير، أمر به كثيرًا بعدما أترجل من حافلة المدرسة".

"أنت لن تذهب إلى مقهى لتشارك في مسابقة لرمي السهام".

"إن الجائزة ١٠ آلاف دولار يا أبي".

"أنت صغير، ولا يمكنك أن تمارس لعبة رمي السهام في مكان يشرب فيه الناس بعض المشروبات".

"كلا، لقد دخلت المكان لأسأل، وقالوا إنني سأكون قادرًا على المشاركة طالما ستكون معي".

رن جرس الباب.

قالت بري: "سأفتح الباب".

قلت: "دعي علي يفعل".

رد علي: "هل يمكنني الحصول على لوحة التصويب؟".

"افتح الباب أولاً".

تردد للحظة ثم ركض نحو الباب.

قالت بري محاولة إخفاء ابتسامتها: "رمي السهام؟ في مقهى؟".

قلت ضاحكاً: "أعتقد أن نانا ماما ستندهش، وتغضب كثيراً، إذا سمعت

هذا".

"بل قل إنها قد تصاب بصدمة عصبية، أو بأزمة قلبية، إن استمر هذا

الأمر".

قلت وأنا أهز رأسي: "رمي السهام؟"، وتعجبت من تحول علي من صبي

ذكي ذي مهارات تحليلية تشبه مهارات البالغين إلى صبي عادي يجذب إلى

الأمور الصببانية.

سمعت وقع أقدامه يعود نحونا، وفكرت أنه من المؤكد أنه سيسأل عن لوحة

التصويب مرة أخرى.

ولكنه قال لاهتاً: "لقد حضر نيد ماهوني وكريزي كات".

الفصل 101

كان كيث رولينز قد أعاد صبغ قصة الموهوك الخاصة به باللون الأحمر الناري، وأرجع خصلاتها للخلف ليبدو شعره أشبه بعرف ديك أنيق، ولكن خبير الجرائم السيبرانية الذي عادة ما يكون مرحًا ومنطلقًا كان يبدو أكثر جدية عندما دخل الغرفة.

قال رولينز: "دكتور كروس، كبيرة المحققين ستون، أريد أن أريكما شيئًا، بعد إذنكما، أريد توصيل حاسبي المحمول بشاشة تلفازكما".
قالت بري: "تفضل".

سألت ماهوني عندما دخل الغرفة بعدما تحدث قليلاً مع نانا ووالدي: "ما الذي يحدث؟".

قال نيد ماهوني: "يقول رولينز إنه عرف سبب سرعة لورديس رودريجز وتكتمها في مغادرة شقتها القديمة، وقد حاول شرح الأمر لي في طريقنا إلى هنا، ولكنني لم أستوعب أغلب ما قاله".

قال رولينز وقد بدا عليه الضيق بينما كان يكتب بعض الأوامر على حاسبه المحمول: "سأحاول تبسيط الأمر أكثر أيها العميل ماهوني".

بعد لحظات، أضاءت شاشة التلفاز، وبدأت تعرض مجموعة من الأرقام والحروف والرموز المشفرة. حرك رولينز مؤشر الحاسب لأسفل، بعيداً عن هذا الزحام المتراس على الشاشة حتى عثر على ما يريد.

ثم حدد تسلسلاً بعينه بين هذا الكم الكبير من الشفرات البرمجية وقال: "هذا طابع زمني يعود إلى بضعة أيام مضت، مباشرة بعد دخول اسم لورديس رودريجز إلى قاعدة المباحث الفيدرالية كجزء من التحقيق الجاري".

كتب رولينز شيئاً، فانتقلت الشاشة إلى وثيقة أخرى مشفرة، وحدد تسلسلاً آخر عليها.

قال رولينز: "بعد اثنتين من دخول اسم لورديس قاعدة البيانات، تم تسجيل هذا الطابع الزمني الثاني في ملف آخر مألوف، وأقصد في برنامج التجسس العبقري الذي عثرت عليه في حاسبك، ثم في قاعدة بيانات المباحث الفيدرالية".

قالت بري: "هل تقول إن اسم رودريجز تسبب في تشغيل برنامج التجسس؟"

قال رولينز: "وهذا البرنامج الخبيث هو ما دفع رودريجز على مغادرة شقتها بهذه السرعة. لكن ما يزعجني هو أنه كان يجدر بي أن أكتشف هذا الأمر في وقت مبكر، ولكن بعد العمل المضني الذي أدبته على هاتف تيمي ووكر، عدت إلى منزلي ونمت لعشرين ساعة متواصلة، واستيقظت مصاباً بجرثومة في معدتي أضاعت عليّ يوماً آخر".

قال رولينز إنه عاد أخيراً إلى معمله في وقت سابق من صباح اليوم ليرى تنبيهاً من كود التتبع الذي دمج به برنامج التجسس.

سألته بري: "وأين ذهبت الوثائق الخاصة بـ رودريجز؟"

قال رولينز: "نقلت من خلال التشفير البصلي بالطبع، وبالتحديد عبر اثنتي عشرة طبقة تشفير بصلي، ولكني عمدت إلى تعديل أكواد برنامج التجسس بحيث يعطيني تنبيهاً كلما مر بإحدى طبقات التشفير البصلي، وبذلك أتمكن من تتبعه".

تغير محتوى الشاشة وبدأت تعرض خريطة للعالم تظهر عليها نقاط خضراء تحدد أماكن مسارات التشفير البصلي، وأسهم برتقالية توضح مسار انتقال الرسالة من نقطة إلى أخرى. من كوانتيكو إلى الهند إلى الصين إلى الفلبين إلى الإكوادور، حتى وصل اسم رودريجز إلى اليابان.

قال علي: "هذه ١١ طبقة تشفير فقط، لقد قلت إنها ١٢".

قال رولينز وهو يكتب شيئاً على لوحة مفاتيحه: "لقد فعلت"، فتحولت الشاشة لتعرض صورة لكوكب الأرض من برنامج جوجل إيرث، وكانت عبارة عن مشهد من الأقمار الصناعية لمنطقة مكونة من الغابات والمزارع.

قال رولينز: "أنتم تنظرون الآن إلى منطقة غير مملوكة لأفراد في جنوب غربي ولاية بنسلفانيا شرق غابة ميشو"، ثم كَبَّر الصورة لنرى مجمَعاً مكوناً من ٣ مبانٍ. كان أكبرها عبارة عن منزل ريفي يطل مباشرة على بركة كبيرة، ومحاطاً من جميع الجهات الأخرى بغابات كثيفة وأشجار ضخمة.

قال رولينز: "هذا منزل مساحته ٣ آلاف متر مربع ملحق به إسطنبول وحظيرة وبركة خاصة. ولكن، انظروا إلى أطباق الاستقبال الموجودة على السقف. حتى بالنسبة لمكان ضخم مثل هذا أراها مبالغاً فيها".

قلت: "وهذا هو المكان الذي توجه إليه برنامج التجسس بعد اليابان؟"

قال رولينز: "من دون شك".

قلت: "مَنْ يملك هذا المنزل؟"

تنهد خبير الجرائم السيبرانية وقال: "ناش إدوارد إدجرز. ربما لم تسمع عنه من قبل، ولكن السيد إدجرز لديه سمعة سيئة في بعض الدوائر؛ دوائر تختفي عادة داخل الشبكة السوداء".

وصف رولينز إدجرز بأنه مبرمج شديد الثراء، يميل إلى السرية والانعزال، في أواخر الثلاثينيات من عمره. عندما كان في السابعة عشرة من عمره، وبعد عامه الدراسي الأول في جامعة كال بولي، ترك الدراسة وأصبح المبرمج الخفي للعديد من شركات التقنية المتقدمة والناجحة.

قال رولينز: "هذا ما نعلمه بصورة مؤكدة. فكل ما يتعلق بالشبكة السوداء عادة ما يكون شائعات وتخمينات، ولكن يقسم العديد من الأشخاص شديدي الذكاء إن إدجرز كان يطور ويتعامل مع شبكة الإنترنت غير النظامية والمشفرة والتي لا يمكن تتبعها منذ عقد كامل، وربما أكثر".

حدقت إلى الشاشة وقلت: "وما الصلة بينه وبين رودريجز؟"

قال رولينز: "لا أعلم بالتحديد".

"هل توجد صورة له؟"

قال رولينز: "صورة قديمة التقطت له منذ ٧ سنوات. ولكن أولاً..."، ثم بدأ يكتب بضعة أوامر أخرى على حاسبه، وقال: "نحن محظوظون بالتقاط صورة الأقمار الصناعية هذه في أواخر الشتاء أو أوائل الربيع، والا لم أكن لألاحظ وجودها".

حرك رولينز صورة برنامج جوجل إيرث، وعبر بنا مجمع المباني والغابة، وتوقفت الصورة عند مكان أمكننا فيه أن نرى عبر فروع أشجار الغابة الخالية من الأوراق.

ثبت رولينز مؤشر الحاسب على بقعة بعينها وكبر الصورة، وكشف عن وجود مبنى آخر، مبنى طويل ذي سقف من الصفيح، ثم حرك المؤشر إلى بقعة أخرى على صورة القمر الصناعي وكبّرّها ليكشف عن الحدود الخارجية لمربع كبير.

سألته: "ما هذا؟"

قال رولينز: "أعتقد أنه مبنى قديم، وبه جدار حجري عالٍ هنا، يشبه تماماً الجدار الذي وضعت أمامه جريتشن ليندل خلال مشهد إعدامها الزائف".

قلت وأنا أميل نحو الأمام: "يا إلهي! هل يمكننا رؤية صورة إدرجز؟"

بدا كأن هذا الطلب قد أزعج رولينز الذي بدا يكتب بعض الأوامر على لوحة المفاتيح وهو يقول: "امنحني لحظات لأعثر عليها، ولكن ما يجدر بكم معرفته هو أن إدرجز لم يترك جامعة كال بولي ليحذو حذو بيل جيتس ويؤسس شركته الخاصة وهو في السابعة عشرة من عمره، بل إنه في واقع الأمر قد طرد من كال بولي وهو في السابعة عشرة من عمره، وكان لا يزال قاصراً، وهذا يعني أن سجلات قضيته أصبحت سرية".

سألته بري: "ألديك فكرة عن سبب طرده؟"

قال رولينز: "أنا أعلم السبب بالتحديد"، وتغيرت الشاشة لتعرض صورة ضبابية لرجلين يغادران أحد المطاعم المحلية. كان أحدهما شخصاً وضيقاً، أسود الشعر وذو لحية، يرتدي سروالاً من الجينز، وقميصاً مطبوعاً عليه صورة فرقة ميتالिका، وحذاء خفيف. أما الرجل الثاني فكان أكبر سنّاً من الأول، له قصة شعر عسكرية، ويضع نظارات الطيارين على عينيه.

وسواء كانت الصورة ضبابية أم لا، فقد جعلت معدتي تتقلص.

حرك رولينز المؤشر نحو الرجل الملتحي ذي الملامح الوضيعة، وقال:
 "هذا هو ناش إجرز، والآخر هو مايك برات. الحارس الشخصي لـ إجرز".
 قلت: "إجرز هو الشخص الذي كان يقود الشاحنة في فيلادلفيا يوم
 إطلاق النار علينا، وكان برات هو مطلق النار ومنتحل شخصية ألدن ليندل".
 بدا الانزعاج على وجه رولينز لأن هناك من سرق دفعة الحديد منه،
 ولكنه عاد إلى طبيعته بعد ذلك وقال: "إليكم ما فعلته. لقد اخترقت الحاسب
 الرئيسي بجامعة كال بولي، وعثرت على ملف إجرز. لقد اتُّهم بالاعتداء على
 ثلاث طالبات خلال عامه الدراسي الأول، وجميعهن كن شقراوات".

الفصل 102

كان البخار يتصاعد من أفواهنا في الساعة الرابعة وعشر دقائق من صباح اليوم التالي.

كان الجو شديد البرودة، وكنا نرتدي معاطف ثقيلة وأغطية رأس صوفية وقفازات بينما كنا نلتف حول حاسب محمول مثبت في منضدة حديدية في إحدى شاحنات الأسلحة الخاصة والتكتيكات التابعة للمباحث الفيدرالية، التي كانت تقف في حظيرة مزرعة ألبان تبعد ٢ كيلومترات من منزل ناش إدرز، والتي لم يجد صاحبها شيئاً جيداً ليقوله عن جاره المنطوي.

قال ماهوني متحدثاً في هاتفه المحمول: "أرسل إلينا بث الطائرة من دون طيار".

تغيرت الشاشة من صورة برنامج جوجل إيرث الواضحة إلى صورة معتمة خضراء تصور الأشجار الخالية من الأوراق، ثم الطريق المؤدي إلى بوابة منزل إدرز، ثم بدأ عرض الصور الحرارية: كان هناك رجلان يحرسان البوابة، وكل منهما يحمل سلاحاً. استمرت الطائرة في الطيران حتى وصلت إلى المنزل، ولكن لم تظهر الشاشة وجود أية انبعاثات حرارية من أجسام - أو أي مصدر حراري آخر.

قال ماهوني: "يقول المتحكم في الطائرة إن المكان يبدو معزولاً بشكل جيد، لذلك لن نستطيع أن نعرف ما إذا كان هناك أحد بالداخل أم لا. وسنتحرك وفقاً لفرضية أن المنزل مأهول ومسلح بشكل خطير".

قلت: "هذا خيار ذكي".

تحدث ماهوني في هاتفه المحمول قائلاً: "أتجه إلى ذلك المبنى الموجود في وسط الغابة".

وصلت الطائرة إلى المبنى، وأظهرت الصور الحرارية وجود ٤ أشخاص بداخله، وجميعهم إما يرقدون على ظهورهم أو متكورون حول أنفسهم، وكل منهم في غرفة منفصلة.

قالت العميلة الخاصة باترا: "قد تكون هذه الصور لبعض من النساء المختطفات".

قالت بري وهي تأخذ رشفة قهوة من الكوب الحراري الذي يتصاعد منه البخار: "هذا مؤكد".

قال ماهوني: "هذا يغير الكثير. أرني صورة جوجل إيرث مرة أخرى".
أعاد رولينز صورة القمر الصناعي.

أشار ماهوني إلى هضبة صخرية صغيرة على الطرف الشمالي البعيد من الضيعة وقال: "هذه الأرض العالية مثالية. سوف نضع ٤ عملاء هناك ليراقبوا الباب الخلفي".

لاحظت شيئاً بين الأشجار بمحاذاة النهر الصغير على الجانب الشرقي من الهضبة الصغيرة، ولكن قبل أن تتمكن من قول أي شيء، عاد رولينز ليعرض بث الطائرة من دون طيار، التي تعرض صورة خضراء للغابة ولكن من دون أية صور حرارية أخرى.

قال ماهوني متحدثاً في هاتفه المحمول: "شكراً على الدعم الجوي"، ثم أمر ٤ عملاء بأن يدخلوا المنطقة من طرفها الشمالي الشرقي، كما أمر فريق إنقاذ الرهائن المكون من ٦ أفراد بالتحرك إلى نقطة تمكنهم من اقتحام المبنى الموجود في وسط الغابة في أقرب وقت ممكن. كانت بري وسامبسون سيركبان مع ماهوني ويتبعون فريق الاقتحام المكون من عملاء المباحث الفيدرالية للقبض على إدجرز وبرات.

قال ماهوني: "أليكس، أنت ستكون مع باترا ورولينز في سيارة المتابعة، حيث ستظل هناك حتى نبلاغك بأن الطريق آمن".

قبل أن أتمكن من الاعتراض، قالت بري: "كن عملياً، يا أليكس، مع إصابة كاحلك هذه، لن تقدم لنا أية مساعدة، إن ساءت الأمور".

قلت: "إصابتي ليست سيئة لهذه الدرجة؛ فأنا لا أسير على عكازين، ولكنني أفهم ما تعنين".

قال ماهوني: "سنعطيك جهازاً لا سلكياً. للمرة الأولى في حياتك ستكون مجبراً على الاستماع لما يدور دون أن تشارك".

الفصل 103

بينما كنت أخرج لأجلس في المقعد الخلفي لسيارة العميلة باترا الشيفروليه السوداء، كان عليّ أن أقر بأنني شعرت بالذنب على رغبتني في المشاركة في قوة الاقتحام ومحاولة إنقاذ الرهائن.

ففي الليلة السابقة، كنت أخبر بري بأنني أريد التوقف عن العمل كشرطي لأبتعد عن اللحظات الخطرة مثل هذه، عندما يبدأ الأدرينالين بالاندفاع في عروقي وتصبح حواسي حادة وفائقة الانتباه.

ولكن، عندما جلست في السيارة وأدارت باترا المحرك، أدركت أن هناك جزءاً مني لا يمكنه اعتزال لعبة الشرطة والمجرمين، ليس تماماً، فكوني طبيباً نفسياً يحمل الكثير من الفوائد والرضا، ولكن لن يمكنه أبداً أن يعادل إثارة القبض على الأشرار، وإنهاء أعمالهم الشريرة ورؤيتهم وهم يتلقون عقابهم. قال ماهوني: "لنبدأ".

سمعت صوته عبر جهاز اللاسلكي والسماعات الصغيرة التي أعطوني إياها.

قال كريزي كات وهو ينظر نحوي من المقعد الأمامي حيث يجلس: "أليس هذا شائئاً يا دكتور كروس؟"، ثم أضاءت باترا مصابيح السيارة الأمامية وتبعت سيارة ماهوني إلى طريق منعزل يتجه نحو الشرق.

قلت: "الحكمة هي ألا تشعر بإثارة مفرطة، عليك أن تحافظ على رباطة جأشك".

قال رولينز ببعض الإحباط: "نعم، بالطبع. أعتقد أنني أُرغب بشدة في رؤية ناش إيجرز مكبلاً بالأصفاد وأخبره بأنني قد هزمته. ألم تشعر بمثل هذا الشعور من قبل؟".

"بالطبع أشعر به من وقت لآخر".

"وماذا عن الآن؟".

"الآن، كل ما أتطلع إليه هو رؤية هؤلاء النسوة بخير وسلام".

عبر سماعتِي أذنيَّ، سمعت ماهوني يقول: "تبقى نصف كيلومتر... فرقة إنقاذ الرهائن، تحركوا... فريق الاقتحام، تحركوا".

انطلقت ردود الفريقين على الفور، ورأيت في مخيلتي رجال فريق الإنقاذ وهم يضعون نظارات الرؤية الليلية على أعينهم ويتحركون خلسة نحو المبنى الموجود وسط الغابة الذي به النساء الأربع المختطفات.

صعدنا بالسيارة جزءاً مرتفعاً من الطريق، ورأينا عربية مصفحة ضخمة وسوداء اللون تابعة للمباحث الفيدرالية تتجه نحو البوابة. توقعت أن يستسلم الحراس على الفور، ولكن رأيت وميضاً يأتي من خلف البوابة، وسمعت من يبلغ بحدوث إطلاق نار عبر اللاسلكي.

قال ماهوني: "اقتحموا البوابة".

رجعت السيارة المصفحة العملاقة إلى الخلف قليلاً ثم زادت سرعتها نحو البوابة الحديدية واقتلعتها من مفاصلها، وبدأ عملاء المباحث الفيدرالية الموجودون بداخل المصفحة يطلقون النار عبر فتحات في جانبيها على الحراس الذين تراجعوا صاعدين التل، ودخلوا الغابة متجهين نحو مجمع المباني. تبع ماهوني العربية المصفحة، وقاد السيارة عبر البوابة المحطمة، ونحن من خلفه.

قال ماهوني: "فريق إنقاذ الرهائن؟".

سمعت من يجيبه قائلاً: "يفصلنا عن المبنى أقل من ٢٠٠ متر. ما زلنا لا نرى شيئاً داخل المبنى حتى الآن، ولكن هناك أضواء تصعد قمة التل".

زادت العربية المصفحة من سرعتها بعد سماع هذه الأخبار، ودارت حول أحد منحنيات الطريق الطويل المتعرج ثم اختفت. في الوقت ذاته، كنا قد وصلنا إلى حافة مجمع المباني، وكانت هناك مصابيح تلمع بين المنزل الرئيسي والمرآب والحظيرة.

خرج عملاء المباحث الفيدرالية، وهم يرتدون ملابس قوات التدخل السريع، من العربية المصفحة، وقسموا أنفسهم إلى عدة فرق، يتكون كل منها من رجلين، واتجهوا على الفور نحو المنزل الكبير، الذي كان منزلاً حديث الطراز، مبنياً من الحجر والخشب والزجاج.

كانت أبواب المرآب على الجانب البعيد من الفناء مفتوحة، وكانت الأنوار في داخله مطفأة، ولكن المصابيح الخارجية كانت تعطي ضوءاً كافياً لأرى في داخله سيارة رينج روفر بيضاء وشاحنة صغيرة سوداء والعديد من سيارات الدفع الرباعي والدراجات النارية.

فكرت، شاحنة صغيرة سوداء، أتحدى أن بها نافذة مكسورة احترقتها رصاصاً أو اثنتان.

وأمامنا تماماً، خرج ماهوني من سيارته. وعندما استدار، أعمت مصابيح سيارة باترا الأمامية عينيه، فظرف بهما ورفع يده أمام وجهه، وأشار لها أن تطفئها. وكذلك خرجت بري وسامبسون من السيارة. بدأت الكثير من الأحاديث تتوارد من جهاز اللاسلكي قادمة من فريقي الاقتحام وإنقاذ الرهائن، وسمعت صغيراً في أذنيّ بسبب السماعتين للحظات.

توجه ٤ عملاء نحو باب المنزل الأمامي، واستخدموا مدقاً لكسره، فانفتح الباب وعبروه نحو الداخل.

وفي الغابة، شمال موقعنا، كان فريق إنقاذ الرهائن قد أحاط بالمبنى الخشبي، وأظهرت النظارات الحرارية أن الأشخاص الأربعة لا يزالون بالداخل، راقدين أو متكورين حول أنفسهم. لم يبد هذا الأمر مقنعاً بالنسبة لي؛ فربما كان يجب أن يكونوا جالسين أو واقفين. ولكن، ربما لم يسمعوا صوت الطلقات؟ أو ربما كانوا مقيدين؟

سمعت ماهوني يقول عبر سماعتني أذنيّ: "فريق إنقاذ الرهائن، ادخلوا المبنى وأخرجوا من به، الآن".

سمعت أحد العملاء داخل المنزل يقول: "الردهة الرئيسية في الطابق الأرضي خالية".

قال آخر: "قبو المنزل خال".

قال رولينز من المقعد الأمامي لسيارة باترا: "أين يكون؟ لا تقولوا إن إيجرز ليس هنا".

حتى من خلف النوافذ المغلقة، ورغم أن جهاز التدفئة يعمل، ورغم الأحاديث الكثيرة التي تدور داخل أذني، سمعنا جميعنا الانفجار الأول.

الفصل 104

"أحد عملاء فريق إنقاذ الرهائن قد سقط"، هكذا قال قائد فريق الإنقاذ، ثم أردف: "أكرر، أحد عملاء فريق الإنقاذ قد سقط، لقد كان المكان مفضخاً". قال ماهوني: "تراجعوا واحتثوا الموقف. ما مدى سوء الإصابة؟". رد قائد الفريق: "سنحتاج إلى طائرة إسعاف في أسرع وقت ممكن". أجابه ماهوني: "سأطلبها الآن".

سمعت عبر اللاسلكي قائد فريق البحث داخل منزل إدجرز يقول: "احترسوا من الفخاخ المتفجرة يا سادة".

وقال عميل آخر: "المطبخ خال".

وقال ثالث: "المسرح المنزلي خال".

وصاح رابع: "جميع الخزانات والحمامات في الطابق الأرضي خالية".

قال القائد: "الطابق الأرضي خال بالكامل".

ترك سامبسون وبري مكانهما بجوار ماهوني وتحركا نحو المنزل، وشعرت بالضيق وبالحاجة للخروج، ففتحت باب السيارة.

قالت باترا: "ستظل في السيارة يا دكتور كروس".

"سأقف في الخارج بجوار السيارة"، وخرجت من السيارة وأغلقت بابها.

دخلت زوجتي وشريكي منزل إدجرز مع عملاء المباحث الفيدرالية الذين بدأوا يتحركون بالفعل لتفتيش الطابق الثاني.

أخبر ماهوني قائد فرقة إنقاذ الرهائن بأن طائرة الإسعاف ستصل بعد ١١ دقيقة، ثم دخل المنزل بدوره.

سمعت بعض الحوارات بين قائد فرقة الإنقاذ والمسعفين في طائرة الإسعاف. كان العميل قد فتح باباً يؤدي إلى داخل المبنى حين انفجرت القنبلة، وقد أصيب بشظية في فخذه اليمنى وجرح نافذ في شريان الفخذ. والآن، هناك من يضغط مباشرة على الجرح حتى لا ينزف العميل دمائه بالكامل، وهم يستعدون حالياً لنقله إلى الطريق الريفي لكي تلتقطه طائرة الإسعاف.

أجابه المسعف: "تلقيت ذلك، سنصل بعد ٧ دقائق".

قال أحد العملاء داخل المنزل: "قمة درج الطابق الثاني والرواق خاليان". قال آخر: "جميع غرف النوم خالية. إن المنزل خال أيها النقيب". فجأة سمعت صفيراً عالياً في سماعتني أذني، كان عالياً لدرجة شعرت معها وكأن طبليتي أذني ستنفجران. نزعت سماعات الأذن ووضعتها في جيبي.

وفجأة، أضاءت النافذة المعتمة الموجودة في الطابق الثاني والمواجهة للفناء، عندما تم إطلاق سلاح ناري أوتوماتيكي في داخلها، ثم صاروا سلاحين أو ثلاثة أو ربما أكثر.

عرجت بيضع خطوات نحو الفناء والمنزل راغباً في رؤية بري وسامبسون وماهوني يخرجون من الباب الأمامي، ولكن لم يحدث هذا، مع استمرار إطلاق النار على دفعات و...

صاحت العميلة باترا من خلفي: "دكتور كروس؟".

تجاهلتها، واندفعت نحو العنف الدائر، وكلي رغبة في إنهائه. ولكن، توقف إطلاق النار بمجرد أن عبرت سيارة ماهوني ودخلت الفناء، ثم لمحت حركة داخل المرآب قبل لحظة من انفجار القنبلة الثانية، وكانت قريبة للغاية، على الجانب الآخر من المنزل.

ومع الانفجار، ارتعشت المصابيح وانطفأت. وتوقف إطلاق النار أيضاً. ثم سمعت صوتاً لن أنساه ما حييت - صوتاً حاداً وبدائياً ومرتبباً - صادراً من داخل المرآب.

أخرجت مسدسي ومصباحي اليدوي وبدأت أعرج بسرعة في اتجاه الصوت عندها خرج شيء ضخم ومكعب من داخل الحجرة الثالثة بالمرآب. سلطت

ضوء مصباحي اليدوي عليه بينما كان يغادر الفناء متجهًا نحو الغابة، ثم تبين أنها سيارة هوندا بيونير ١٠٠٠ متعددة الأغراض، مدهونة باللونين الأحمر والأسود على الجانبين.

وقبل أن تختفي السيارة، تمكنت من إلقاء نظرة سريعة على سائق السيارة ومَنْ كان يجلس بجواره، إلا أن الفتاة الشقراء، مكمة الفم معصوبة العينين، التي كانت في صندوق السيارة كانت واضحة كالشمس. كانت جريتشن ليندل تقاوم، وتحاول أن تصرخ، ثم اختفت أيضًا.

صحت: "باترا"، وأدرت ضوء مصباحي اليدوي حولي، فرأيت دراجة كاواساكي رباعية الدفع داخل الحجرة الثالثة بالمرآب، فصحت ثانية: "باترا". بدأ إطلاق النار مجددًا داخل المنزل مغطيًا على صيحتي الثانية.

تجاهلت الألم الذي اندلع في كاحلي، وعرجت حتى وصلت إلى الدراجة الرباعية، وأخرجت جهاز اللاسلكي من جيبتي ومعه سلك سماعات الأذن متوقعًا أن هذا سيوقف الصفير، ولكن الأمر ازداد سوءًا، وكان عليّ أن أخفض صوته إلى الحد الأدنى.

وجهت ضوء مصباحي اليدوي نحو مكان مفتاح الدراجة الرباعية ولكنني لم أجد شيئًا. رفعت مقعدها فوجدت العديد من الخوذات، وعثرت على المفتاح. ركبت الدراجة ونظرت نحو أزرار التحكم، ثم أضأت المصابيح الأمامية، وشغلت المحرك.

خرجت بالدراجة من المرآب، متمنيًا أن تكون باترا قد رأنتني، ودخلت إلى الطريق المزدوج الذي يخرج من مجمع المباني إلى داخل الغابة، وزدت من سرعتي.

الفصل 105

دخل سامبسون وبري وماهوني صالة كبيرة مفتوحة تشبه السرداب في الطابق الأرضي من المنزل، وانتظروا هناك حتى يتم إخلاء الطابق الثاني. كانت الصالة تحتوي على مطبخ إدجرز حديث الطراز، وغرفة طعام بسيطة، والعديد من الأرائك الجلدية المرصوفة أمام مدفأة حجرية كبيرة، والمحاطة بخزانات خشبية تمتلئ أرففها بالكتب.

قال سامبسون: "يبدو المكان أنيقاً للغاية".

أوماً ماهوني برأسه وقال: "إنه يشبه الصور التي تُعرض في مجلات التصميمات المعمارية".

انطلق صوت من أجهزة اللاسلكي التي في أيديهم يقول: "قمة درج الطابق الثاني والرواق خاليان"، ثم صوت آخر يقول: "جميع غرف النوم خالية، المكان خال أيها النقيب".

خال؟ لم يرق هذا لبري التي كانت متحفزة منذ سمعت صوت الانفجار القادم من بعيد. لماذا يفخخ المبنى الخارجي ولا يفخخ...

صدر من سماعة أذنها صفير حاد، وكان أسوأ صفير سمعته على الإطلاق، فخلعتها على الفور. وفعل سامبسون المثل.

وفي نهاية الصالة، كان ماهوني قد خلع سماعته أيضاً وقال: "ما الذي يحدث بحق...؟"

سمعوا صوت بندقيّة آليّة تنطلق في الطابق العلوي، واندفعت بري غريزيّاً لتحتمي خلف طاولة المطبخ وتبعها سامبسون.

توقف إطلاق النار تاركاً إياهم يرتجفون ويحاولون إخراج مسدساتهم. صاح شخص ما في الطابق العلوي: "هناك عملاء سقطوا، آرثر ويوجز، في غرفة النوم الخامسة، على طرف الجانب الشرقي من الرواق العلوي". صاح قائد فرقة البحث عند قاعدة الدرج بدوره قائلاً: "كم عددهم؟ كنت أظن أن المكان خالٍ!".

قال الجندي في الأعلى: "لقد كان كذلك أيها القائد، ربما كان مطلقو النار..."

ثم حدث انفجار قوي في الخارج رجّ المنزل رجّاً، وانطفأت الأنوار. صاح ماهوني من مكانه بجوار الأرائك: "إنه فخ، إنهم يشوشون على أجهزة اللاسلكي والهواتف الخلوية. بري، خذي سامبسون واخرجنا من هنا، وأجريا اتصالاً مع..."

كانت بري على وشك إضاءة مصباحها اليدوي عندما لمع ضوء سلاح آلي مثبت عليه كاتم صوت، فرفعت يديها لتحمي رأسها بينما تناثرت حولها شظايا سطح الطاولة الجرانيت والخزانات الخشبية والأطباق المكسورة.

انطلقت الطلقات من جهة اليسار نحو اليمين، ثم من اليمين نحو اليسار محدثة ثقباً في الأجهزة المصنوعة من الحديد الصلب، ربما ١٠ طلقات أو ١٥ طلقة في مجملها جعلت الشظايا تتساقط على بري وسامبسون قبل أن تتوقف. كانت بري ترتجف من فرط الذعر واندفاع الأدرينالين في دماغها، وشعرت بالغثيان بسبب رائحة البارود المحترق، ولكنها ظلت تفكر: أين كان مطلق النار؟ أين كان يختبئ؟ إن هذه الخزانات كبيرة لدرجة إخفاء رجل بالغ خلفها، أليس كذلك؟

ثم شعرت بري بلكزة في ساقها. وهمس سامبسون: "أيتها الرئيسة، هل أنت بخير؟". قالت: "بخير. أين مطلق النار؟". قال ماهوني متألماً: "لقد أصبت".

تجاهلت بري ذعرها ، وأضاءت مصباحها اليدوي وزحفت على بطنها عبر أرضية المطبخ وهي تقول: " ما مدى إصابتك يا نيد؟".

شهق ماهوني وقال: "إصابة في البطن، ما رأيك في هذا؟".
من مكان ما ، انطلق صوت مولد كهرباء يبدأ العمل، وعاد الضوء خافتاً. كان العملاء في الطابق العلوي يصيحون، ولكن بري تجاهلتهم.
صاحت بري بصوت أعلى: "أين مطلق النار يا نيد؟".
قال ماهوني: "خلفي، بين الخزانات".

أطفأت بري مصباحها اليدوي وبدأت تزحف ببطء ونظرت عبر الزاوية السفلية من خزانات المطبخ. وتمكنت من رؤية المشهد بما يكفي لتدرك أن ماهوني كان جالساً على الأرض مسنداً ظهره إلى واحدة من الأرائك الجلدية، ولكن لم يكن هناك أثر لمطلق النار.

قال سامبسون من خلفها: "سيكون عليها إخراجه من هنا أيتها الرئيسة، الآن".

قالت: "ليس قبل أن نحدد مكان مطلق النار، لن أتسبب في قتلنا جميعاً".
أضاءت مصباحها اليدوي مرة أخرى، ونظرت عبر الزاوية، وركزت شعاع المصباح على ماهوني الذي كان يبعد عنها حوالي ١٢ متراً. كان ماهوني منحني الظهر، ويحدق إلى الفراغ. وركزت بري على بقعة الدم الكبيرة التي تنتشر على قميصه الأبيض، تحت صدريته الواقية مباشرة.

فكرت: لقد أصيب في كبدي، وحاولت مقاومة الذعر الذي بدا يزحف عليها. عليهما أن يخرجاه من هنا بسرعة، ولكن مطلق النار...

ركزت بري ضوء مصباحها على المدفأة الحجرية والخزانات والأرفف الموجودة على جانبيها، وركزت شعاع المصباح على أبواب أصغر حجماً من أن يمر منها طفل صغير، ناهيك عن رجل بالغ، ثم مرت بشعاع المصباح على صفوف الكتب قبل أن تتوقف عند خزانة صغيرة مفتوحة.

وهمست: "يا إلهي!".

الفصل 106

كانت الدراجة الرباعية مجهزة بكاتم صوت قوي؛ لذا لم يصدر محركها أي ضجيج بينما كنت أقودها إلى داخل الضيعة.

كانت سيارة إدجرز لا تسبقني إلا بثلاث أو أربع دقائق، ومع أنني لم أتمكن من رؤية آثارها على الطين المتجمد، فإن أوراق الأشجار كانت متكسرة وتلمع في مكان مرورها.

اصطدمت ندف الثلج بوجهي، فأخرجت اللاسلكي بيدي الخالية، وشغلته. لم تعد هناك ضوضاء صاخبة تخرج منه بعد الآن، بل صوت هسيس غير واضح. قلت: "أنا أليكس كروس. هل تسمعي؟".

وبعيداً عن التشويش الإستاتيكي المعتاد، سمعت صوت طقطقة وبضع كلمات بصوت غير مألوف، فأطفأت اللاسلكي وأعدته إلى جيب معطفي وجربت هاتفني الخليوي، ولكنني لم أعثر على تغطية من الشبكة.

تحولت ندف الثلج الرقيقة إلى هطول كثيف للثلوج.

فكرت: سيهربون. سوف يهرب الأوغاد الساديون.

كان هناك تقاطع طرق أمامي، فتوقفت. كان الثلج قد غطى أوراق الأشجار، وكان من المستحيل بالنسبة لي أن أخمن الطريق الذي أخذ إدجرز الفتاة جريتشن ليندل إليه.

حاولت تذكر صورة الأقمار الصناعية للمنطقة. كان المبنى الخشبي وعميل فرقة إنقاذ الرهائن المصاب عن يساري، وكانت الهضبة الصغيرة الموجودة في مؤخرة الضيعة - حيث أرسل ماهوني ٤ عملاء - تقع في مكان ما أمامي، وكانت تلك البقعة غير المحددة التي ظهرت على صورة الأقمار الصناعية تقع عند نهاية الشعب الأيمن من الطريق.

تبعنا حدسي، وضغطت على دواسة وقود الدراجة، واتجهت نحو اليمين، ولكن ظل الثلج يلطم وجهي، ويدخل في عيني وأجبرني على القيادة ببطء. بعد ١٠ دقائق، توقف هطول الثلج فجأة كما بدأ فجأة. فقدت الدراجة نزولاً عن التل إلى جدول عريض ضحل تغطي سطحه الثلوج، ورأيت مكان تكسر الثلوج على سطح الجدول بواسطة عجلات سيارة إدجرز. لقد كان حدسي صحيحاً. انطلقت بالدراجة عبر الجدول وقد لاحظت أن السماء مضاءة ناحية الشرق.

كم يبعدون عني؟ هل مات الأشخاص الأربعة في المنزل المفخخ؟ قال رجال فرقة إنقاذ الرهائن إنهم لم يتحركوا رغم وقوع الانفجار. أم أن إدجرز كان يأخذ جريتشن إلى حيث يحتفظ ببقية الشقراوات المختطفات؟

بعد أن عبرت الجدول بحوالي ٩٠ متراً، فقدت آثار السيارة، وبدأت أقود الدراجة في ثلج خالٍ من الآثار حتى وصلت إلى جدار من الأشجار. إنه طريق مسدود.

ولكن، لقد سلك إدجرز هذا الطريق، أنا على يقين من هذا، إن هذا الجليد على الجدول قد انكسر حديثاً، وتلك الآثار...

قدت الدراجة عائداً أدراجي، وركزت مصابيحها على معبر الجدول ونظرت إلى الجليد الذي يغطي بقية الجدول، واستخدمت مصباحي اليدوي لأركز على الجليد على طول الجدول. كان الجليد محطماً حيث يختفي الجدول تحت جسر منحدر يرتفع نحو مترين أو ٣ أمتار، تنتشر فيه نباتات خضراء وسوداء يغطيها ثلج حديث.

إلى أين ذهبوا بحق السماء؟ لا يمكن لأي مركبة أن تتسلق هذا الجدار العالي...

ألقيت نظرة عن كثب على الجسر. نباتات خضراء؟ هذا مستحيل. لقد سقطت الأوراق من الأشجار، وجفت الجذوع.

قدت الدراجة عبر الجدول مقترباً من الجسر وأضأت أنوار الدراجة الأمامية ثم حركت مصباحي اليدوي يميناً ويساراً. ورغم أنها كانت مغطاة بطبقة من الثلج، فإنني أدركت أنني لم أكن أنظر إلى نباتات، بل إلى قصاصات رفيعة من القماش الذي يحمل ألوان الأخضر والرمادي والبني، آلاف من قصاصات القماش التي تمت خياطتها معاً لتكون رقعة هائلة من القماش المموه معلقة على قضيب قوي من المعدن الأسود المثبت بمسامير في الصخور من فوق.

أمسكت جهاز اللاسلكي مرة أخرى وشغلته. كان التشويش الإستاتيكي أضعف، فضغطت على زر الإرسال وقلت: "أنا أليكس كروس، هل تسمعي؟". وعلى الفور تقريباً، أجبني صوت مشوش ولكنه مألوف بالنسبة لي. قلت: "باترا؟".

أجبني الصوت، ولكنني لم أفهم كلمة واحدة. قلت: "أكرر، أنا أليكس كروس. أنا أطارِد إدجرز ومعه جريتشن ليندل، أنا في مكان ما يقع شمال شرقي الضيعة".

جاءني الصوت أكثر تشويشاً من السابق. كدت أعيد جهاز اللاسلكي إلى جيبي عندما جاءتني لحظة تجلُّ، فقلت: "إن كنتم قادرين على سماعي، فتتبعوني عن طريق تتبع هاتفي الآي فون". وضعت جهاز اللاسلكي جانباً هذه المرة، وأخرجت مسدسي الرسمي. حدقت إلى الستارة المموهة وترددت للحظة؛ لأنني كنت قلقاً مما قد ينتظرنني على الجانب الآخر منها. أطفأت مصابيح الدراجة وضغطت بشدة على دواسة الوقود. لمس ممتص الصدمات القماش ثم مزق الشريط اللاصق الذي كان يثبتها.

أمسكت مسدسي بيدي اليسرى، وأسندت خزانته إلى مقود الدراجة، وفتحت زر الأمان، وضغطت على دواسة الوقود بقوة أكبر، وانطلقت إلى داخل الظلام.

الفصل 107

نظرت بري بذهول إلى رشاش من طراز أوزي، يتصاعد منه الدخان، مثبت على قضيب معدني رفيع داخل الخزانة المفتوحة، وكان هناك مشط طلاقات طويل ومنحنٍ يتدلى من الرشاش، أكبر بكثير من أن يحوي ١٠ طلقات أو ١٥ طلقة.

سعل ماهوني وتحرك، فاستدار المسدس نحوه، ثم يري الخيط الأحمر الرفيع لشعاع الليزر المثبت على ماسورة المسدس يمر على بعد بضعة سنتيمترات من رأس العميل المصاب ثم يتوقف.

همس سامبسون وهو يزحف ليكون بجوارها: "ماذا يحدث بحق السماء؟". سحبت رأسها إلى الخلف وقالت: "رشاش أوزي يتم التحكم به عن بُعد، إلا إذا..."

عادت بري لتنظر عبر الزاوية السفلية لطاولة المطبخ، وألقت ضوء مصباحها على الرشاش والخزانة باحثة عن كاميرا.

تأوه ماهوني وتحرك، وتحركت الأريكة التي يستند إليها واصطدمت بالطاولة التي خلفها، وانقلب المصباح الذي عليها.

أطلق الرشاش النار مجدداً، وانطلقت الطلقات مثل المرة السابقة من اليسار إلى اليمين ثم من اليمين إلى اليسار، وشطرت المصباح نصفين، ثم واصلت طريقها نحو المطبخ. عادت بري لتلقي نظرة بعد أن توقف إطلاق النار،

ورأت أن الطلقات أصابت عددًا من الأشياء نفسها التي أصابتها خلال المرة السابقة لإطلاق النار.

كلا، إنها لم تفعل، لقد أصابت الأشياء نفسها الموجودة على الارتفاع نفسه. صاحت بري: "لا أحد يتحكم في المسدس يا نيد. أعتقد أنه يعمل باستخدام كشاف حركة. هل تراه؟".

تأوه نيد وقد ازداد صوته ضعفاً وهو يقول: "لا".
صاح أحد العملاء من أعلى قائلاً إنه يجب عليه نقل زملائه المصابين. صاح سامبسون: "إن المكان كله مفتح. ابقوا مكانكم".
قال الرجل: "أحدهم حالته خطيرة، سيموت إن لم ننقله".
فصاحت بري: "ستموتون جميعاً إن هبطتم إلى هنا"، ثم زحفت من جوار سامبسون متجهة نحو صف من الخزانات التي لم تصلها الطلقات، والتي تقع بجوار الموقد المصنوع من الصلب.

بحثت في ثلاث خزانات قبل أن تعثر على ما تبحث عنه، فأخذته وعادت زاحفة إلى حيث يختبئ سامبسون.
سألها سامبسون: "ماذا عن أكياس الكعك هذه؟".

قالت بري: "حركة"، ثم صاحت قائلة: "نيد، ارقد لو تمكنت من هذا".
ألقت بري أحد الأكياس من فوق الطاولة التي تفصل المطبخ عن غرفة المعيشة.

وبدأ الرشاش يطلق النار من جديد ناثرًا الطلقات من اليسار إلى اليمين ثم من اليمين إلى اليسار، ثم ألقت كيس كعك آخر، ثم ثالث، قبل أن يتوقف الرشاش معلناً انتهاء طلقاته وتساعد الدخان من فوهة ماسورته.
وقفت بري في حذر، ورأت نيد راقدًا بجوار الأريكة. كانت عيناه مفتوحتين ولكنهما لا تريان شيئاً، وكانت أنفاسه خافتة.

ثم صاحت مخاطبة عملاء المباحث الفيدرالية الموجودين في الطابق العلوي بينما كانت تعدو نحو ماهوني: "كل شيء آمن الآن. أخرجوا رجالكم".
جثت بري بجوار شريك أليكس السابق في المباحث الفيدرالية، وقاومت البكاء وهي تقول: "هل أنت معي يا نيد؟ تكلم معي".

أوماً ماهوني برأسه وطرف بعينه وقال: "إصابة في البطن".
قالت: "أرى هذا".

نهض سامبسون من خلفها وقال: "علينا أن نوصله إلى المستشفى على الفور، ولكن التشويش لا يزال ساريًا".
قالت بري: "ساعدني على حمله".

أوقفنا نيد على قدميه، وفقد ماهوني وعيه من فرط الألم، وأصبح ثقيلًا لحد كبير، وحمله سامبسون على كتفه مثلما يحمل رجال المطافئ ضحايا الحرائق. ثم ركضت بري أمامه نحو الباب الأمامي وخرجت منه إلى الثلج المتساقط وهي تصيح: "باترا؟ أيتها العميلة باترا؟".

أضاء ضوء مصباح يدوي، وقال كيث رولينز في ذعر: "أنا وحدي هنا أيتها الرئيسة ستون".

خرج سامبسون من الباب حاملاً ماهوني على كتفه. بدأ الثلج يهطل بغزارة مغطياً الطريق بينما كانوا يعبرون الفناء ليصلوا إلى السيارة التي قادها ماهوني خلال المداهمة. كان رولينز يقف بجوارها مبتلاً كما لو كان قطعاً يعدو تحت أمطار غزيرة.

قال سامبسون: "اخفض ظهور المقاعد الخلفية من فضلك".
بدأ رولينز ممتناً لأنه سيفعل شيئاً في النهاية، فبدأ العمل على الفور وهو يقول: "إن نظام التشويش الذي يستخدمونه عبقرى".

قالت بري في حدة: "نحن نعلم ذلك، أين سيارة باترا؟".
قال رولينز: "عندما بدأ التشويش، ثم إطلاق النار، قررت أن تخرج من نطاق التشويش وتستدعي تعزيزات".

قالت بري بينما كان سامبسون يضع ماهوني في الصندوق الخلفي للسيارة:
"جيد. أين...؟"

صاح أحد عملاء المباحث الفيدرالية: "لا ترحلوا الآن".
كان يحمل رجلاً مصاباً إصابة بالغة، وقد حقنوه بمادة تساعد على تجلط الدم في جرح صدره، ولكن، كان تنفسه متحسراً ضعيفاً.
قالت بري: "ضعوه في الداخل، وكذلك الرجل الآخر".

قال سامبسون وهو يبحث في جيوب ماهوني عن مفاتيح السيارة: "أنا سأقود السيارة".

كان كل شيء يحدث بسرعة، وكانت بري لا تزال شبه مصدومة بسبب الفخ الذي وقعوا فيه؛ لذا، فإنها لم تنتبه إلى أن الثلج قد توقف إلا بعد أن رجع سامبسون بالسيارة إلى الخلف في فناء إدجرز.

كانت تشعر بالارتباك والتعب الشديد، ونظرت إلى السماء، ورأت السحب تتقشع ويظهر من خلفها ضوء القمر جاعلا الفناء المتجمد يبدو كأنه مشهد من فيلم خيالي.

سألت بري رولينز: "هل ذهب أليكس مع باترا؟"
قال رولينز: "لا".

استدارت لتتظر إليه وقالت: "ماذا؟ أين...؟"
بوووم...

شعرت بري بالأرض تهتز. فقد بدا كأن الانفجار المكتوم قادم من أعماق المنزل.

قال رولينز وهو يتراجع إلى الخلف: "ماذا كان هذا؟"
قالت بري: "لا أعلم. أنا... أين أليكس؟"
قال رولينز: "الدكتور كروس؟ إنه..."

بعد ثانية، قطع حديثه انفجار أعلى صوتاً من سابقه، وأضاء واحدة من غرف نوم الطابق الثاني بضوء مبهر، وكسر زجاج النوافذ، واشتعلت النار على الفور، وبرزت أسنة اللهب الصفراء والبرتقالية والحمراء من داخل المنزل ثم انتقلت إلى سقفه.

تراجعت بري إلى الخلف بسرعة، شاعرة بالكثير من الحنق في داخلها وصاحت: "أين أليكس يا رولينز؟ أين زوجي؟"

مكتبة | 719
سُر من قرأ

الفصل 108

انغلقت الستارة الثقيلة المموهة من خلفي، وتعودت عيني على الظلام. كنت في قناة لتجميع مياه الأمطار، قطرها ٣ أمتار. فإما أن هذه القناة كان هنا تحسبًا لحدوث فيضان في الجدول، وإما أن إدجرز وضعها هنا كطريق للفرار. كنت على يقين من أن البقعة المشوشة التي رأيتها على صورة القمر الصناعي كانت عبارة عن التراب الناتج عن الحفر.

على بُعد حوالي ٣٠ مترًا أماميًا كانت القناة تنتهي، وكان هناك ضوء رمادي يظهر.

إن كان إدجرز وبرات يعلمان أنني ألحقهما، فلا بد من أنهما يقبعان في انتظاري على الجانب الآخر من المجرور، ولكنني خمنت أن القناة يجب أن تمر من تحت الطريق الترابي الذي يمتد على طول الحد الشرقي للضيعة، الأمر الذي يعني أن الطرف الآخر من القناة سيؤدي بي إلى مكان ما داخل غابة ميشو.

وفكرت: إنهما لا ينتظران للإيقاع بي، إنهما يفران من هنا وبأقصى سرعة ممكنة.

ضغطت بقوة على وقود الدراجة واندفعت خارجًا من القناة شاعرًا بأنني هدف سهل ومكشوف.

ولكنني لم أسمع صوت طلقات رصاص عندما تركت الجدول خلفي وبدأت أسير في الطريق الموجود بين الأشجار الكثيفة. مع اقتراب الفجر، تمكنت من رؤية آثار إطارات، كانت غير ظاهرة في البداية ولكنها بدأت تتضح أكثر كلما استمررت في تعقبهما.

بينما كنت أقود الدراجة، حاولت توقع خطوة إدرجز التالية. فإما أنه يحاول الفرار بأية طريقة كانت، حينها سأعثر على سيارته متروكة وآثار إطارات سيارة أخرى تفادر المكان، أو أنه يخطط لأمر أكثر شراً.

تخيلت جريتشن ليندل حبيسة في صندوق السيارة الخلفي، وبدأت أخشى أن إدرجز لا يخطط لأخذها أو أي من النساء الأخريات معه. فإن كان متهوراً، كما أعتقد، فسيقتل جريتشن والنساء الأخريات. بل ربما قام بذلك فعلاً. وقلت في نفسي: لا شهود، إنه لن يرغب في وجود أي شهود.

كان ضوء النهار قد بزغ عندما وصلت إلى حافة جرف يطل على حدود منطقة زراعية تبعد مسافة ٧ كيلومترات عن الضيعة. نظرت إلى أسفل الطريق المنحدر، على مسافة نصف كيلومتر مني، ورأيت مزرعة، أو على الأقل سطح منزل ريفي، أغلبه من المعدن، وكانت سيارة إدرجز الهوندا تقف وسط الثلوج بجواره.

أطفأت محرك الدراجة الرباعية ونزلت من فوقها حاملاً مسدسي وهاتفني، ثم هبطت التل سيراً على الأقدام متوارياً بين الأشجار، أملاً ألا يراني أحد من أسفل. واصلت النظر إلى شاشة هاتفني بحثاً عن تغطية من الشبكة، ولكن بلا جدوى.

كان كاحلي وقصبة ساقي يثنان، ولكنني رفضت التوقف. كان الثلج قد بدأ يذوب من على أوراق الأشجار عندما وصلت إلى الجانب الخلفي من المزرعة، فتواريت خلف شجرة أحاول التنصت والمراقبة. لم تكن هناك أية حركة في الفناء، ولم تبد أية حركة خلف نوافذ المنزل الريفي. كانت الأبواب الثلاثة على الجانب العريض من المنزل مغلقة، وكانت النوافذ الصغيرة في هذه الأبواب مغطاة من الداخل. ولكن النافذة الصغيرة التي تقع على مسافة ٦ أمتار من الجانب الأيمن للباب الخلفي لم تكن مغطاة، فتمكنت من رؤية ضوء ساطع مبهر في الداخل.

نظرت إلى شاشة هاتفي، ولكن لم تكن هناك تغطية. ولكن معرفتي بأن إدجرز مبرمج عبقرى، وأحد مؤسسي الشبكة السوداء، دفعتني للتحقق من وجود شبكة إنترنت لا سلكية في المزرعة؛ وكانت هناك شبكتان لا سلكيتان بالفعل، شبكة محمية بكلمة سر اسمها فارم، وشبكة أخرى اسمها ضيف فارم. حاولت الولوج إلى الشبكة الثانية لكي أتمكن من إرسال بريد إلكتروني أو رسالة نصية إلى بري، ولكن تبين أنها محمية بكلمة سر أيضاً.

ثم سمعت صرخة ألم مدوية تنطلق من داخل المبنى المعدني. جززت على أسناني وتوجهت نحو السور، وكنت أسير بطريقة متصلة ومؤلمة، لكن توقفت الصرخة فجأة مثلما بدأت. وعندما وصلت إلى النافذة الخلفية، تواريت أسفلها، وتحركت إلى الجانب الأيمن منها، واستدرت لأواجه الباب الخلفي.

سمعت صوت امرأة تصرخ: "كلا".

وصرخت امرأة أخرى قائلة: "أرجوك، دعنا نذهب".

ألقيت نظرة سريعة عبر النافذة إلى الداخل ورأيت محراثاً زراعياً وبعض المعدات الزراعية الأخرى متراسة حول مساحة كبيرة في منتصف المبنى. ومن بكرات مثبتة بقضيب معدني في الأعلى، كانت تخرج سبعة كابلات موصولة بقيود جلدية تحيط بمعصمَي جريتشن ليندل وست نساء أخريات، قيدن جميعهن في صف واحد، وأذرعهن مرفوعة فوق رؤوسهن، وأصابع أقدامهن تكاد تلامس الأرض.

لم أتمكن من تحديد النساء الأخريات بدقة عبر النظرة الأولى أو الثانية. فقد كن جميعاً غارقات في دماء سوداء تتساقط منهن، مكونة بركا صغيرة من تحتهن. جريتشن وحدها كانت لا تزال نظيفة.

قلت لنفسى: ست نساء أخريات؟ بمجموع ٧ نساء؟ كنت أعتقد أن هناك ٦

شقرات مختفيات فقط.

على أية حال، كان ثلاث من النساء يبدون فاقداً للوعي، وكانت ذقونهن ساقطة على صدورهن، أما جريتشن والنساء الثلاث المتبقيات فكان مرفوعات الرؤوس، ويركزن على الرجلين اللذين كانا يرتديان الملابس السوداء ويتحركان من حولهن.

كان ناش إاجرز يثبت كاميرا جو برو بشريط حول رأسه، وتبدو عليه الإثارة والحماسة كما لو كان واقعاً تحت تأثير مخدر كيميائي قوي، كان يحمل في يده اليسرى كاميرا عاكسة مفردة العدسة، وفي يده اليمنى بندقية اقتحام طراز آر ستايل، مزودة بمنظار مقرب.

واصل إاجرز الحركة، مصوراً النساء والرجل الآخر الذي كان يرتدي قبعة سوداء تخفي وجهه بالكامل ويحمل دلوّاً أحمر اللون وسكيناً ضخمة ذات نصل ينحني إلى الخلف نحو مقبضها المنقوش. كانت السكين نفسها التي رأيتها في العديد من مقاطع فيديو القتل الزائفة.

تحرك الرجل الذي يرتدي القبعة خلف جريتشن ليندل، التي حاولت إدارة رأسها لترى ما يفعله، ووضع الدلو الأحمر على رأسها. ارتجفت جريتشن في ذعر ولكنها لم تصرخ.

قال الرجل الذي ميزت صوته على أنه برات، حارس إاجرز الشخصي: "الأمنية الأخيرة قبل النار".

ألقي برات الدلو الفارغ بجوار بندقية الهجوم الأخرى التي كانت مسنودة إلى أحد إطارات الجرار، وتحرك خلف واحدة من تلك النساء المنتبهات ووضع نصل سكينه على حلقها.

بدأت المرأة ترتجف وقالت: "ناش، أرجوك، لا تدعه يفعل هذا، أنا لست واحدة منهم، أنا امرأة لاتينية، ولست شقراء".

اقترب منها إاجرز الذي يحمل الكاميرا وقال ضاحكاً: "أنت تظهرين كشقراء في هذا المشهد يا لورديس".

قالت لورديس رودريجز وهي تبكي: "أرجوك يا ناش. يجب ألا تفعل هذا". قال إاجرز بصوت هادئ: "بالطبع يجب أن نفعل هذا، لن يكون فيلم قتل حقيقي إن لم نقتل الشقراوات في نهايته".

أبعد برات نصل السكين عن حلق رودريجز وأشار نحو أحد جوانب المبنى حيث كانت هناك حاويتان معدنيتان يبلغ طول الواحدة منها متراً ونصف المتر تقريباً، ومحيطها حوالي نصف المتر. وكانت الحاويتان مربوطتين بسلاسل إلى قضيب معدني.

قال برات: "سمنحكن فرصة؛ يمكنكن اختيار الموت بالسكين أو تجربن حظكن وتدعون الله أن تفقدن الوعي بسبب الغاز قبل أن ينفجر المكان كله، ويرسلكن إلى الدار الأخرى".

تحرك إدجرز جانباً نحو الحاويتين، وهو لا يزال يصور تعبيرات وجوههن، وأخرج قناع غاز ألقاه نحو برات قبل أن يخرج قناعاً آخر لنفسه. ثم وضع قناع الغاز فوق رأسه قبل أن ينحني على الأرض ويلتقط البندقية.

قال برات: "ماذا تخترن أيتها السيدات؟ السكين أم الغاز؟".

قالت واحدة من النساء باكية: "ألا يمكنك أن تجعل الأمر يبدو كما لو أننا متنا بالفعل، مثلما كنت تفعل في كل المرات السابقة؟"، وعرفتها من صوتها: كانت دليلا فرانكس، موظفة البنك.

قال إدجرز: "لقد سئم الناس من المؤثرات الخاصة، ولكننا، ولأول مرة على الإطلاق، سوف نفعلها بشكل حقيقي. أرها يا برات، أيقظ الأخريات، ودعهن يرين جريتش ليندل القوية تموت أولاً، ثم يمكنهن أن يخترن طريقة موتهن".

الفصل 109

شدت ساقَي المتصلبتين وسرت بخطوات واثبة، حتى وصلت إلى الباب الخلفي. أدت مقبض الباب فانفتح ببطء من دون أن يصدر صوتًا، وشممت رائحة شيء ميت.

تسللت إلى الداخل، وأسندت ظهري إلى الجدار، ورأيت برات يقف على مسافة ٣٥ مترًا مني. كان قد أيقظ النساء الثلاث الأخريات، ووقف خلف جريتشن ليندل، وفرد ساقه اليمنى للخلف، وثبتها في الأرض، وكانت ركبته اليسرى مفروسة في العمود الفقري للفتاة المراهقة، لكي يجعلها تقوس ظهرها للخلف. كان برات أيضًا يشدها من شعرها، ما جعل رأسها ينحني للوراء، وكان يضع نصل سكينه المرعب على قصبته الهوائية.

قال برات: "هل أنت خائفة الآن أيتها الشقراء؟"

قالت جريتشن: "لا، لن يمكنك إيذائي".

قال برات: "بل يمكنني بالتأكيد".

كان قريبًا للغاية من ابنة ألدن ليندل؛ لذلك لم أجرؤ على محاولة إصابته بطلقة قاتلة، كما أنني لم أكن أريد أن أطلق رصاصة تحذير قد تجعله ينحر عنقها، فصوبت مسدسي نحو لحم ساق برات اليمنى المفرودة خلفه، وضغطت على الزناد وأطلقت النار.

اخترقت الطلقة ردفه الأيمن، وأدارته حول نفسه، وكسرت عظام حوضه؛ فسقط على الأرض صارخاً وطار السكين من يده.

عرجت بقوة وسرعة نحو اليمين، عندما رأيت إيجرز يستدير نحوي حاملاً الكاميرتين والبندقية الآلية. وفي لحظة إطلاقه النار نحوي، كنت قد قفزت واختبأت خلف آلة حديدية لنثر البذور، كانت الطلقات تصطدم بجسم الآلة الحديدي، ثم ترتد منه لتخترق الجدار المعدني من خلفي.

ثم توقف إطلاق النار، وكانت النساء جميعهن يبكين ويصرخن، وكان برات يئن في ألم، ثم صرخ قائلاً: "اقتله، أطلق النار على رأسه يا ناش".

ووسط الصرخات والارتباك، سمعت إيجرز يصيح: "أخرج من مخبئك يا كروس، انضم إلى احتفالنا الصغير بانتهاء تصوير الفيلم".

لم أقل شيئاً، وبدأت أنظر من حولي، ولاحظت تلك الفجوة الصغيرة بين قاعدة آلة نثر البذور وعجلاتها، فزحفت داخل هذه الفجوة، ومددت يدي اليمنى عبرها محاولاً تحديد مكان قدمي إيجرز وأسفل ساقيه.

ولكنه كان يقف على مسافة بعيدة عن يميني، ولم أتمكن من رؤيته بسبب جرافة صغيرة كانت تسد مجال الرؤية، كنت أحتاج لأن أجعله يتحرك من مكانه. صحت: "عملاء المباحث الفيدرالية يحاصرون المكان يا إيجرز، ألق سلاحك بعيداً".

قال إيجرز دون أن يتحرك من مكانه: "هراء! لم تكن المباحث الفيدرالية لتسمح لك بالدخول إلى هنا وحدك، لقد اخترقت نظامهم وقرأت أساليبهم".

قلت: "إنهم أتون خلفي، لقد أخبرتهم بمكاني عبر اللاسلكي".
قال إيجرز: "مستحيل، فقد شوشت على جميع الاتصالات في نطاق ١٥ كم".

بدا كأن هذه الفكرة قد زادتته جرأة؛ لأنه اندفع من خلف الجرافة بزاوية حادة نحو الخلف، وكانت حركته سريعة لدرجة أنني لم أتمكن من إطلاق النار عليه، ثم توارى خلف خزانات الغاز، حاجباً عني أية فرصة لإطلاق النار عليه. ظل إيجرز يصور بالكاميرا، غير عابئ بما يمكنني أو لا يمكنني رؤيته، ووضع بندقيته على الأرض ووقف منتصباً.

أخذت أفكر: إنه يصور بالكاميرا ويحتاج إلى استخدام إحدى يديه لفتح صمامات الغاز، وأدركت في جزء من الثانية أن أمامي خياراً واحداً فحسب، وعليّ أن أقدم عليه الآن والاضاعت الفرصة للأبد. صوّبت مسدسي نحو مفتاح التقريب العلوي للمنظار المثبت على البندقية، فوق ذراع التلقيم مباشرة، وأطلقت النار.

أصابت طلقة مسدسي الصغيرة مفتاح التقريب، واخترقت عدسة المنظار، ثم ارتطمت الرصاصة بكامل قوتها الرهيبة في ذراع التلقيم، فانزلقت البندقية على الأرضية الخرسانية حتى اختفت أسفل شفرات الحصادة. دفعت نفسي إلى وضع القرفصاء، ورأيت إدجرز المصدوم يبتعد عن خزانات الغاز، ووضع قناع الغاز على وجهه، ثم ركض نحو الحصادة، وانطلقت خلفه شاهراً مسدسي.

وصححت فيه: "توقف والافسأطلق النار"، ثم شممت رائحة غاز البروبان الذي يتسرب بصوت مسموع من الخزانات.

وضعت ذراعي اليسرى وكم معطفي على أنفي وفمي، وقفزت ماراً بالنساء وبرات الذي فقد الوعي، والخزانات. كان إدجرز راقداً على بطنه على مسافة ٩ أمتار من خلفهم يحاول مد يده تحت الحصادة. خشيت أن أطلق النار عليه بسبب الغاز، وقبل أن أتمكن من الاقتراب بما يكفي لأقفز عليه، استدار نحوي موجهاً الكاميرا والبندقية نحوي، فتوقفت على الفور وصوبت مسدسي نحوه.

صرخت لورديس رودريجز قائلة: "أطلق النار عليه".

وصرخت النساء الأخريات أيضاً: "أطلق النار عليه".

قال إدجرز من خلف قناعه: "إن أطلق النار فستموتون جميعاً".

حدقت إلى وجهه وقلت: "وإن أطلقت أنت النار، فسنموت جميعاً".

قال: "ربما كان هذا ما أريده".

قلت: "لماذا تفعل هذا يا إدجرز؟".

نظر نحوي كما لو كان يراني غيباً وقال: "أنا أكره الشقراوات، كثيراً ما كنت

كذلك، إنهن فاسدات، جميعهن".

قلت: "لن يشاهد أحد فيملك إن أطلقت النار وفجرت المكان".

لاحت ابتسامته من خلف الزجاج الشفاف وقال: "إن الكاميرا تبتث بثاً مباشراً عبر الشبكة اللاسلكية".

قلت: "يمكننا جميعاً أن نخرج من هنا أحياء".

قال: "لا، لا يمكننا هذا"، ثم حدق إلى وجهي عبر زجاج قناعه وقال: "أعلم ما أفضل شيء؟ لا يمكن أن أخطئ التصوير من موقعي هذا؛ لذا سأراك وأنت تموت أولاً، لجزء من الثانية قبل أن نحترق جميعنا".

للمرة الأولى، شعرت بالدوار بسبب الغاز، ورفع إدجرز فوهة بندقيته إلى أعلى ونظر نحو الشاشة خلفي كما لو كان يحاول التقاط أفضل مشهد لي ولخزانات الغاز وللنساء من خلفي كمشهد نهائي للفيلم.

قال إدجرز: "جميع الشقراوات يجب أن يمتن في النهاية، وكذلك رجال الشرطة والعباقرة".

قلت: "لا تفعل".

وضغط على زناد البندقية.

الفصل ١١٠

سمعت صوت رنين معدني ثم انفجاراً يصم الآذان، وكاد قلبي يتوقف، وتوقعت أن الغاز سيشتعل ويفجر الخزانات، وأنفجر معها وجميع من في المكان. ولكن، بدلاً من كل هذا، سمعت إدجرز يصرخ ويسقط على الأرضية الخرسانية، ويداه المملطختان بالدماء تخمش قناع الغاز على وجهه، وبنديقيه ملقاة على بعد متر عن يمينه، وكانت منفجرة ويتصاعد منها الدخان. اندفع الأدرينالين في عروقي، وجعلني أرتجف بشدة، ومرت لحظات قبل أن أتمكن من إدراك ما حدث.

يبدو أن ذراع التقييم ببندقية إدجرز قد تضررت بسبب طلقتي السابقة، ولأن البندقية كانت مضبوطة على وضعية الإطلاق الآلي، فلا بد أن الذراع قد ارتدت للخلف، وعلقت ثم انفجرت، مطلقاً شظايا معدنية من البندقية في وجه وعنق المبرمج.

نزع إدجرز قناع الغاز عن وجهه؛ كانت عينه اليسرى مثقوبة وتزف الدماء، وكانت وجنتاه وجبهته مجروحتين بشدة، وكان جلدهما مسلوخاً وينزف بغزارة. شعرت بدوار رأسي بسبب الغاز، فوضعت كُم معطفي على أنفي مرة أخرى، وظللت أصوب مسدسي نحوه، وتحركت نحو الأمام مسرعاً بهدف إخضاعه وتكبيله بالأصفاد.

ولكن، عندما اقتربت منه، دفع إدجرز حذاءه عالي الرقبة ذا المقدمة الحديدية ليصطدم بكاحلي المصاب، فشعرت بشيء ينكسر، وأحسست بألم رهيب في كامل جسدي، وانثنت ساقي وسقطت على الأرض على جانبي. شعرت كأن هناك من أشعل النار في كاحلي، وانقلبت معدتي بسبب الألم والغاز، ودار رأسي، وشعرت بأنني سأقعد الوعي.

صاحت جريتشن ليندل من خلفي: "الغاز، الغاز".

هزرت رأسي ورأيت إدجرز يحاول جاهداً أن يقف على قدميه، فصويت مسدسي نحوه ولم أطلق النار لأنه سقط على الأرض مجدداً قبل أن يتمكن من النهوض بشكل كامل، ونظر نحوي متحيراً ووضع يده على رقبته يتحسسها. لقد انقطع شيء ما في رقبته، ربما شريانه السباتي، واندفع الدم غزيراً من جرحه، كان يتلعثم، يحرك شفثيه ولكن من دون صوت، ثم سقط على الأرض ميتاً.

فكرت رغم الدوار الذي أشعر به: الغاز.

أجبرت نفسي على التحرك على أطراف الأربعة وأعطيت ظهري إلى إدجرز وزحفت نحو الخزانات. ثم وصلت إلى العمود الذي كانت مربوطة إليه، ثم كتمت أنفاسي واعتمدت على العمود لأقف على قدمي.

أمسكت بمقبض صمام الغاز الذي يتسرب، وحاولت إغلاقه، ولكنه لم يتحرك، وكذلك لم يتحرك الصمام الآخر. كانا مثبتين على وضعية الفتح بطريقة ما.

انقلبت معدتي، وقاومت الشعور بالغثيان، ولكني بعد ذلك نظرت إلى جريتشن ليندل والنساء الست الأخريات المعلقة في الكابلات ورءوسهن نحو الأسفل وأجسادهن متدلّية. لقد كن يحتضرن. يحتضرن.

شعرت بالدوار مجدداً، وكدت أسقط على الأرض للمرة الثانية.

أنت تحتضري أليكس.

كان هذا صوت بري، وصوت نانا ماما، وأصوات أبنائي. جميعهم مرة واحدة، يخبرونني بأن أقاوم.

رفعت رأسي المشوش ونظرت حولي، ورأيت الباب الذي دخلت منه، افتحه

يا أليكس.

لا يوجد هواء كاف.

رأيت النافذة التي نظرت عبرها، ففكرت، اكسرهما أيضًا.

لن تكفي، هذا ما قالته الأصوات في ذهني.

أدرت رأسي الثقيل المصاب بالدوار، ونظرت نحو النساء المحترسات ورأيت أملي الوحيد.

افعلها، هذا ما قالته عائلتي.

تحول حبي لهم إلى قوة دافعة في داخلي، فاستخدمتها كي أدفع نفسي بعيداً عن العمود وخزانات الغاز. صار الألم في كاحلي أشبه بلسع الكهرباء، فصعقتني صعقاً، وجعلني أكثر انتباهاً وإصراراً.

شعرت بالألم شديد في رأسي، وكانت كل خطوة أخطوها عذاباً شديداً، ومع كل نفس أتفسه، كنت أريد أن أتوقف وأرقد على الأرض وأستسلم. ولكن، ظلت أصوات عائلتي تحتني على الاستمرار وتخبرني بأن الألم مؤقت، ولكن الموت دائم. الموت...

وصلت إلى الجدار الطويل من المبنى المعدني واستندت إليه لاهتاً، وبدأت أتذوق طعم الغاز في فمي شاعراً بأن رأسي وكاحلي سينفجران وينحلان عن جسدي، وبدأت نقاط سوداء تتراقص أمام عيني، وبدأت تتجمع منذرة بأن تعتم الدنيا من حولي.

أبي!

أليكس!

عندما كنت على وشك السقوط، مددت يدي محاولاً الضغط على الأزرار الثلاثة التي توجد في مقدمة صندوق معدني مثبت إلى الجدار. لم أتمكن من الضغط عليها، فتلمستها وحاولت الضغط عليها مرة أخرى، وشعرت بها تنضغط؛ الواحد تلو الآخر.

لم يحدث شيء، وللحظة فقدت الأمل في النجاة. كنت...

فجأة، بدأت تروس تتحرك، ودارت محركات رافعات كهربائية، ثم بدأت أبواب المرآب الثلاثة تنفتح رأسياً.

انحنيت تحت أقربها إليّ وشعرت بدفعة من الهواء القوي البارد تضرب وجهي، ثم تعثرت وزحفت على ركبتيّ إلى الخارج في الثلج الذائب والطين.

سعلت وفقدت الوعي للحظات، ولكنني أمسكت بحفنة من الثلج والطين البارد وفركت بها وجهي. كان عليّ أن أعود، يجب أن أخرجهن. زحفت نحو الداخل ورأيت برات راقداً دون حراك، منكباً فوق قناع الغاز الخاص به. أخذت شهيقاً عميقاً، وزحفت نحوه، وقلبتة على ظهره ووضعت قناع الغاز على وجهه.

بعد فتح الباب الذي دخلت منه والنافذة، شعرت بالهواء يدخل المكان، وعثرت على الحبال المربوطة إلى الكابلات التي تقيد النساء وقطعتها. أمسكت بالنساء السبع، الواحدة بعد الأخرى، وكنت لا أزال أزحف، وجذبتهن إلى الخارج في الثلوج، وبعد أن أخرجتهن جميعاً، وبدأن يتنفسن بصورة طبيعية، سمعت صوت مروحية، فنظرت خلفي نحو الجرف ورأيت طائرة إنقاذ تقترب لتحط على الأرض بالقرب منا.

الفصل ١١١

بعد الرابعة بقليل من عصر هذا اليوم، انفجرت إليزا ليندل بالبكاء بين ذراعي بري، فاتكأت على عكازي وربت ظهرها.

ابتعدت قليلاً عن بري والتفتت نحوي، ثم قالت وهي تبكي بصوت منخفض: "أرجوك. يجب أن تأتي معي لنخبر ألدن". نظرت إلى بري التي أومأت برأسها موافقة. قلت: "بالطبع".

مسحت والدة جريتشن ليندل دموعها، ثم شبت نحوي وقبلت وجهي وقالت: "أريدك أن تعلم أنك بطل يا دكتور كروس".

بدأت الدموع تترقرق في عينيّ وقلت: "شكراً لك". أمسكت بري بيديها، وسرت خلفهما لنعبر الباب على الطرف الآخر من المطبخ لندخل عالم ألدن ليندل الصغير. حوّل الرجل القعيد في الفراش عينيه بعيداً عن الشاشة التي تعرض أحدث حلقات مسلسل صراع العروش.

ثم دارت إليزا ليندل حولي وأطفأت الشاشة وقالت: "لدى الدكتور كروس أخبار يا ألدن".

حوّل عينيه نحو الحاسب اللوحي فصدر الصوت الإلكتروني يقول: "جريتشن؟".

ابتسمت قائلاً: "إنها بأمان يا سيد ليندل، جميعهن في أمان، وهي في طريقها إلى هنا، حاولنا إقناعها بأن تبقى في المستشفى ولكنها رفضت".

أغمض ليندل عينيه بقوة ثم حول بصره نحو الحاسب اللوحي، وقال الصوت الإلكتروني: "حمداً لله. حمداً لله".

بدأ تينكر، الكلب الصغير، في النباح في المطبخ في سعادة.

ثم صاحت جريتشن في ضعف: "أبي؟ أمي؟".

كان أحد المسعفين يدفع الكرسي المتحرك الذي تجلس عليه، وكانت قد اغتسلت من الدم الذي كان يغرقها، وارتدت ثياب المستشفى، وكان هناك أنبوب يدخل إلى وريد ذراعها موصولاً بكيس صغير معلق على عمود ملحق بكرسيها المتحرك.

ركضت والدتها نحوها وعانقتها، وبكت كلتاها في سعادة، وكان الكلب الصغير يقف على قائميه الخلفيين وينبح في جنون. دخلوا جميعهم غرفة ألدن، وقفز الكلب على الفراش. نهضت جريتشن من كرسيها المتحرك على ساقيها الضعيفتين، وأحاطت والدها بذراعيها، وقبلته.

قالت وهي تبكي: "لم أستسلم لهم قط. لقد حاولوا أن يحطموني من الداخل، ولكنهم لم يتمكنوا من هذا. فبفضلك، وبفضل ما علمتني إياه، لم يستطيعوا ذلك".

بدأ الرجل يبكي، مصدراً صوتاً مختنقاً يدل على الحب، وكانت هذه إشارة لي وبري للمغادرة، فقد أتمنا مهمتنا. عندما أصبحنا في الخارج، كنا نبتم كمخبولين سعيدين. كان عصر ذلك اليوم بارداً، فقد كنا في أواخر فصل الخريف، وشعرت بأنني محظوظ لأنني ما زلت على قيد الحياة.

قلت وأنا أضع عكازي على المقعد الخلفي: "لقد أفلح تطبيق التتبع على هاتفي الآي فون، أليس كذلك؟"، ثم قفزت لأجلس في المقعد الأمامي، وتأوهت بينما كنت أرفع قدمي المجبرة إلى الداخل، وقلت: "إنه قادر على تتبع الهاتف حتى إن لم تكن هناك تغطية من الشبكة".

قالت بري وهي تدير محرك السيارة: "بالطبع، لقد ساعدنا في العثور عليك بسرعة. كما أن باترا وطيبار مروحية الإنقاذ سمعا محاولتك الاتصال عبر اللاسلكي".

قدنا السيارة نحو مستشفى جامعة جورج واشنطن، حيث كان نيد ماهوني يخضع للجراحة، وبينما كانت بري تتصل برئيس الشرطة مايكلز لكي تعطيه تقريراً عما حدث، كنت أدعو من أجل نيد، ومن أجل دليلة فرانكس، وكاثي

دوبريس، وجيني كراوس وأليسون داين وباتسي مانسفيلد، متمنياً لهم الشفاء مما أصابهم. وكنت أعلم يقيناً أن جريتشن ليندل ستكون على ما يرام.

تذكرت التماثيل الأربعة التي عثرت عليها فرقة إنقاذ الرهائن في المبنى الخشبي، والتي كانت جميعها موضوعة على سخانات جعلتها تبدو كأشخاص حقيقيين في نظارات الرؤية الحرارية. فكرت في عميل المباحث الفيدرالية الذي كان قريباً من الانفجار الأول في قبو منزل إدجرز، والذي قال إنه كان يحتوي على أجهزة حاسب وشاشات مونتاج كبيرة.

قال العميل إن كرة من النار انطلقت من هناك وأججت مادة سريعة الاشتعال، ومع الانفجار الذي حدث في الطابق العلوي، احترق المنزل عن بكرة أبيه. كان إدجرز قد أعد العدة لكل شيء، وبدا الأمر كما لو أنه كان على يقين بأننا سنعثر عليه ذات يوم وخطط للأمر برمته.

أنهت بري مكالمتها الهاتفية مع رئيس الشرطة.

قالت بري: "يقول لك مايكلز: أحسنت، وقد تم إيقافك عن العمل في عطلة مدفوعة الأجر حتى انتهاء التحقيقات مرة أخرى".

قلت: "من المستحيل أن يتم إيقافك مرتين في آن واحد".

قالت بري: "سوف تثبت براءتك يا أليكس. لقد كان برات على وشك أن يقتل جريتشن ليندل، وهناك العديد من الشهود على ذلك، وكان عليك أن تطلق النار عليه. كما أن إدجرز هو من أطلق النار على نفسه".

قلت: "أعلم هذا".

قالت: "لماذا أنت متجهم إذن؟".

ترددت للحظة، متسائلاً عما إذا كنت لا أزال أعاني تأثيرات الغاز، ولكنني قلت بعد ذلك: "لقد قررت عدم العودة للعمل بالشرطة، حتى إن برئت ساحتي".

صمتت بري للحظات ثم قالت: "ماذا ستفعل؟ ستعمل في الاستشارات النفسية فقط؟".

قلت: "لا، لدي الكثير من الأفكار العظيمة. أتدريين ما أفضل شيء بشأنها؟ أنك جزء منها جميعها".

عندما نظرت إليها، كانت تبتسم وقالت: "هذا يسعدني".

مددت يدي وضغطت على يدها وقلت: "وأنا أيضاً".

الفصل 112

بعد ١٠ أيام من عودة ابنته إلى أحضان عائلتها، توفي ألدن ليندل في أثناء نومه، سعيداً.

وصلني الخبر من زوجته في عصر يوم سبت بارد وعاصف بينما كنت أسير على عكازي خلف أسرتي على الجانب الشرقي من كابيتول هيل. كانت السيدة ليندل تشعر بحزن جارف بالطبع، ولكنها كانت تشعر بالراحة أيضاً. فمع وجود جريتشن إلى جوار والدها باستمرار منذ أن عادت إلى المنزل، كان ليندل مرتاحاً، ومات ممسكاً بيد ابنته وزوجته. وعدت إليزا بأنني سأحضر الجنازة، ثم وضعت هاتفي في جيبي.

كان علي يرقص من حولنا قائلاً: "هيا يا أبي، سأأخر".
"ادخل إذن"، هكذا قالت نانا ماما وهي تدفعه إلى باب مقهى الأفيال والحمير، ذلك المقهى الجديد نسبياً والذي يوجد على نافذته ملصق يعلن عن بطولة المقاطعة المفتوحة لرمي السهام.

فتح علي الباب كما لو كان صاحب المكان ودخل.
بدأت بري تضحك.

سألتها جدتي: "ما المضحك في الأمر أيتها الشابة؟"

لوحث بري بيدها وقالت: "لم أتخيل فقط اليوم الذي تحضرين فيه مسابقة لرمي السهام في مقهى يا نانا".

قالت نانا في مرح وهي تغمز بعينيها: "أنا لم أكبر بعد يا عزيزتي".

تبعتها إلى داخل المقهى ووجدنا سامبسون وبيلي وكريزي كات رولينز يجلسون عند بار المشروبات. ساعدت علياً على ملء استمارات المشاركة وحصلت على رقم وعلقتة على ظهره.

قال علي: "لديهم لوحة تصويب من أجل التدريب، سأذهب لأتدرب قليلاً". قلت: "لقد ظللت تتدرب كل ليلة لمدة ساعتين".

قطن علي جبينه وقال: "التكرار هو أساس البراعة يا أبي". قلت في استسلام: "حسناً، لقد سمعت هذه الكلمات من قبل. هيا اذهب". ابتسمت بينما كنت أراقبه وهو يتجه نحو مجموعة من متسابقي رمي السهام الأكبر منه سنًا والمجتمعين في الجانب الخلفي من المقهى، متذكراً أنني لم أكن في مثل جراته عندما كنت في سنه.

ناولني سامبسون قدحا من الشراب، ونهض من فوق مقعده لأجلس مكانه. جلست على المقعد ووجهت التحية لزوجته بيلي قائلاً: "لم تكونا مضطرين للحضور".

قالت بيلي: "هل هناك شيء آخر لنفعله في يوم العطلة البارد هذا؟". جلست نانا ماما على مقعد بجوار جيني، وأخذتا تشاهدان مباراة في كرة القدم في دوري الجامعات، وتناولتا أجنحة الدجاج وشربتا مشروباً غازياً. قال سامبسون مخاطباً بري: "أعلم أننا موقوفون عن العمل حتى انتهاء التحقيقات، ولكن، هل لا تزال لورديس رودريجز تدلي بكل ما لديها من معلومات؟". ترددت بري للحظة.

فقال رولينز: "لقد تحدثت إليها. هذه المرأة لا تتوقف عن الكلام". قالت بري وهي تتنهد: "هذا صحيح".

أخبرنا كلاهما بملخص سريع عن تورط رودريجز مع ناش إدجرز. كانا قد التقيا في مؤتمر للبرمجة كانت تحضره بعدما سمعت أن المبرمجين يتقاضون أموالاً أكثر من فنيي تركيب أطباق الاستقبال.

بدا إدجرز كأنه قادر على الحصول على كل ما يريد في أي وقت يريد. والأفضل، أنه كان قادراً على أن يمنحها أي شيء تريده عندما تريده. لم تكن رودريجز لترث مليماً واحداً من أعمامها، وكان عبقري الحواسيب يعرض عليها العالم بما فيه.

قال رولينز: "بين ردهات الشبكة السوداء، زعمت رودريجز أن قيمة إيجرز كانت تساوي ما يقرب من ٤٠ أو ٥٠ مليوناً من الدولارات في صورة عملات بيتكوين".

قالت بري مشمئزة: "ولكن، عندما بدأ موقعه الكاره للشقراوات، بدأ يجني مبالغ طائلة من المال".

قال رولينز وهو يهز قصة الموهوك على رأسه والتي صبغها في ذلك اليوم باللون البنفسجي: "مئات الآلاف من المشتركين، جميعهم يدفعون المال ليروا نساء شقراوات يتم إرهابهن وإساءة معاملتهن".

قالت رودريجز لـ بري إن كراهية إيجرز للشقراوات نتجت عن سنوات طوال من التعامل مع والدته الشقراء السكير، وسنوات أكثر طولاً من التعامل مع فتيات شقراوات سخرن منه عندما كان صبيّاً بديناً خلال نشأته في جنوب كاليفورنيا. ولأنه كان عبقرياً في مجال الحاسب، ظلت المعاملة السيئة سارية حتى بعد أن أنقص وزنه.

قال سامبسون: "لذا قرر الانتقام وحث آخرين على مشاركته خيالاته المناهضة للشقراوات؟".

قالت بري: "إن الأمر أكثر تعقيداً وشرّاً من هذا. لقد كان يخطط إلى جمع مقاطع الفيديو معاً في فيلم وثائقي يسميه جميع الشقراوات يجب أن يمتن".

قال سامبسون: "حمداً لله أننا لن نشاهد مثل هذا الفيلم المريع. ماذا عن الصبي تيمي ووكر؟".

قالت بري: "قالت لورديس إن برات هو من قتل هذا الصبي المسكين، وقالت عنه إنه كان شخصاً شريراً إلى أقصى حد، وإن أليكس قد أسدى العالم معروفاً كبيراً بقتله".

قالت بيلى: "كيف حال نيد ماهوني؟".

قلت مبتسماً: "أفضل حالاً. لقد زرته صباح اليوم. وكما قلت يوم أصيب بالرصاص، إن الكبد عضو استثنائي في الجسم. لقد بدأ في تجديد نفسه بالفعل. ويقول الأطباء إنه سيستعيد صحته كاملة...".

ظهرت نانا ماما وهي تقول: "يكفي هذا. هيا، إن ابنك سيرمي السهام أو يرشقها، أو أيّاً كان ما يفعلونه بتلك السهام".

الفصل ١١٣

كنت أتمنى أن أقول إن علياً فاز بالمسابقة، وإنه كان بارعاً في رمي السهام بدقة، ولكن، هذا لم يحدث. لقد أصاب قلب الهدف ٢ مرات، ومرة كانت على حافة دائرة الهدف، ولكنه كان مشتتاً، وخسر الجولة الأولى في مواجهة رجل لطيف من تكساس يدعى ميل دايفز، كان يملك مطعمًا صغيرًا للحوم المشوية في وسط المدينة.

كان علي حزينا للغاية حتى عرض عليه دايفز أن يحظى هو وأصدقاؤه بوجبة مجانية من الصدور المشوية عندما يزور مطعمه بوسط المدينة. عاد ابني الأصغر إلى طبيعته في أثناء عودتنا إلى المنزل، ولم يتوقف عن الثثرة مع جيني ونانا ماما عن خططه للعودة إلى المسابقة والفوز بها في العام القادم. وتأخرت أنا وبري عنهم قليلاً.

بعد بضع لحظات قالت بري: "ماذا كان رأي نيد بشأن فكرتك العظيمة؟"
قلت: "لقد أحبها كثيراً".

قالت: "وماذا عن مايكلز؟"

قلت: "لم نتحدث في هذا الأمر بعد".

قالت: "هل أنت واثق بأنك ستكون سعيداً؟"

قلت: "بالطبع. سأمتلك أفضل ما في العالمين".

دخل علي ونانا وجيني متجر تشانج لشراء الحليب والمنتجات، وواصلت أنا وبري سيرنا.

كان الليل قد خيمَ عندما وصلنا إلى درج منزلنا. كان المنزل والشرفة مظلمين، فصعدنا الدرج المؤدي إلى الشرفة معاً، متشابكي الأيدي، وفيما عدا بعض الأمور التي لم تُحل بعد، شعرت بأن علاقتنا عادت قوية مثلما كانت منذ... "ارفعوا أذرعكما فوق رأسيكما وإلا فسأطلق النار عليكما الآن".

جفنا ونظرنا نحو يميننا، فرأينا خيالاً مظلماً لشخص متكئ على ركبتيه بجوار السور، ويصوب مسدساً نحونا.

قال الشخص وهو يقف على قدميه: "مرحباً، دكتور كروس، وأنت أيضاً، رئيسة المحققين ستون".

كان ديLAN وينسلو، ابن جاري سونجي، يهز مسدسه يميناً ويساراً وهو يصوبه نحونا. ورغم الضوء الخفيض، تمكنت من رؤية ابتسامة شامتة على شفثيه. كانت ابتسامة رأيها من قبل، منذ شهور، عندما ضبطته يعذب الحمام في حظيرة والدته في مكان بعيد من ولاية ديلاوير.

قلت: "ماذا تظن نفسك فاعلاً يا ديLAN؟"

"أمنحك ما تستحقه على قتل والدتي".

قالت بري: "لقد تم تليفق التهمة له، وكان مخدراً، وأقرت هيئة المحلفين بذلك".

زمجر قائلاً: "لقد رأيته يفعلها بعيني".

قلت: "لقد كنت في المصنع في تلك الليلة إذن. لقد فكرت في هذا الاحتمال كثيراً منذ انتهاء المحاكمة".

"ومن يهتم؟ فالمهم هو الفوز ورؤيتك وأنت تموت".

"أنت من نزعت الرقاقات المجسمة عن أيدي الجميع، أليس كذلك؟"

زمجر مرة أخرى وقال: "هذا هراء. إن هذا المبرر برمته قد تم إعداده من قبل ابنك المزعج وصديقه الحقير. أين يكون على أية حال؟ ابنك المزعج؟"

قلت وأنا أنظر نحو الشارع والرصيف: "في مكان بعيد".

قال ديLAN: "سأعثر عليه لاحقاً بعدما أنتهي منك هنا".

قلت: "كلا، لن تفعل".

صوب ديLAN المسدس نحوي وقال: "لا تخبرني بما سأفعله أو لن أفعله، يا كروس. من تظن نفسك؟"

"أنا الشخص الذي يلاحظ ما لا يلاحظه الآخرون يا ديLAN. حتى بعد أن شاهدت فيلم إطلاق النار على والدتك مرارًا وتكرارًا، لم أتمكن من اكتشاف ما سبب لي الجنون حينها".

قال ديLAN: "اصمت. اجثوا على ركبكما كليكما".

لم أتحرك قيد أنملة وكذلك فعلت بري.

قلت: "كانت والدتك قد تعثرت عندما ظهرت في المشهد. هل أنت من دفع والدتك يا ديLAN؟ هل كانت تعلم ما كنت تنوي فعله؟".

زمجر من بين أسنانه قائلاً: "إنك تكذب مجدداً، وتختلق المزيد من الهراء. هذه طبيعتك يا كروس، ولكنك لن تفعلها هذه المرة. هذه المرة ستموت، كما كان يجب أن يحدث من قبل".

سمعت صوت زناد المسدس يستعد للتحرك.

قالت بري: "لا تفعل هذا، إن قتل رجال الشرطة لا ينتهي أبداً على خير".

قال ديLAN: "لا يهمني هذا. سأنتهي أنا أيضاً هنا. بمجرد أن أراكما..."

لمحت حركة سريعة خلفه وعن يمينه، وبعدها بكسر من الثانية صرخ ابن سونجي ودار حول نفسه وأطلق النار، ولكن أصابت الطلقة سقف الشرفة.

أصابت كسرات وشظايا من التراب وجهي بينما اندفعت نحو الأمام، وضربت قفصه الصدري بكتفي، فدفعته بقوة نحو سور الشرفة. سمعت صوت تحطم ضلوعه ورأيته وهو يزفر الهواء من داخل رئتيه بالكامل قبل أن أجذبه أرضاً وأجثم فوقه لأمنعه عن الحركة.

ركلت بري المسدس من يده، وتراجعت نحو الخلف وأضأت مصابيح الشرفة.

كان ديLAN وينسلو راقداً تحتي يلهث وهو يحاول التقاط أنفاسه، وفي الوقت ذاته يحاول إخراج السهم الصغير الذي استقر في الجانب الأيسر من عنقه.

صاح علي وهو يقفز إلى داخل الشرفة ويضرب قبضته في راحة يده الأخرى ويشير بأصبعه في فخر نحو ابن سونجي: "مَن المزعج الآن أيها الغبي؟ لقد أصبتك بسهم صغير من مسافة ١٠ أمتار".

الفصل 114

في أواخر شهر إبريل التالي، ذهبت بالسيارة مع علي إلى متنزه أساتياج العام على الشاطئ الشرقي لولاية ماريلاند. كان يوماً رائعاً من أيام الربيع، ودافئاً على غير المعتاد، وكنت أشعر بشعور رائع بينما كنت أخرج من سيارتي التي أوقفها بجوار سيارة جيب رانجلر مألوفة.

قال علي وهو يستدير من خلف السيارة: "لماذا يرغب السيد آليا في تعليمي صيد السمك؟ إنه لا يعرفني من الأساس".

قلت: "لقد سمع عنك، كما أنه يحب تعليم الصبية صيد السمك".
قال: "لماذا؟"

قلت: "إذا أعطيت الرجل سمكة فسيأكل ليوم، ولكن إذا علمته الصيد، فسيأكل طوال العمر".

ارتسم تعبير غريب على وجه علي: "من قال هذا؟".
قلت بينما كانت سيارة فولفو تدخل إلى ساحة الانتظار: "شخص أكثر مني ذكاءً".

خرجت من السيارة امرأة ذات شعر ذهبي لامع، في الثلاثينيات من عمرها، ونظرت إلينا وقالت: "هل الشاطئ بعيد عن هنا؟".

قلت وأنا أتجه نحو علي لأساعده على خلع حذائه الرياضي: "خلف الكثبان الرملية مباشرة".

سرنّا حافبي القدمين على المسار الرملي الذي يعبر الكثبان الرملية؛ فلم يعد كاحلي يؤلمني على الإطلاق، وكان هناك نسيم رائع يهب علينا، شممت فيه رائحة الربيع.

قال علي: "ماذا سيحل به يا أبي؟ ديلان وينسلو؟".

"لم يعد أمره بيدي. سوف يُقدم للمحاكمة".

"سمعت بري تقول إنه مصاب بمرض عقلي".

كانت هذه هي الحقيقة الحزينة، وإذا كانت شكوك الأطباء صحيحة، فسيكون ديلان قد ولد بمرض وراثي، مرض نقل إليه السلوكيات المعادية للمجتمع من والده المجرم المجنون، والذي ظهرت بوادره في صورة حبه لتعذيب الحيوانات الضعيفة. كان التحريض على قتل والدته ثم محاولة قتلنا تطوراً طبيعياً لحالته المرضية، وهو تطور متوقع ممن هم في مثل حالته.

قلت: "يبحث الأطباء في هذه الاحتمالية. وإن كان هذا صحيحاً، سيدخل ديلان مصحة ليتلقى العلاج".

كنا قد وصلنا إلى الشاطئ، وكانت السماء زرقاء رائعة، وكان البحر يرسل أمواجه ويسحبها على اتساعه الأكثر زرقة، وكان هناك عدد من الأشخاص الذين جلسوا على الشاطئ ليحصلوا على حمام شمس إلى جانب عدد قليل من الصيادين المنتشرين على الرمال.

قال علي مشيراً إلى رجل يسحب سمكة إلى الشاطئ: "هذا الرجل اصطاد سمكة كبيرة".

قلت: "صيد موفق".

قال علي: "أنا أحب هذا المكان يا أبي، أريد تعلم الصيد".

قلت: "كنت واثقاً بهذا".

سرنّا نحو الجنوب لحوالي مائة متر حتى وصلنا إلى حيث كان بيرني أليّا وابنته تيس في انتظارنا.

قال بيرني مصافحاً علي: "لقد سمعت عنك الكثير أيها الصبي. ذكرني بالأقرف حائلاً بينك وبين لوحة التصوير".

ابتسم علي، وكنت أعلم أنهما سيكونان صديقين. بدأ بيرني يعلم علي كيفية استخدام أدوات الصيد، في حين توجهت أنا نحو تيس وقلت لها: "لم أرك منذ فترة طويلة".

وضعت يديها في جيبتي سروالها وقالت: "أنا في حال أفضل، في أغلب الأيام".

"هلا تسيرين معي قليلاً؟".

"ولم لا؟".

سرنا في الطريق الذي جئنا منه.

قالت تيس: "سمعت شائعات عن تركك الخدمة في قسم شرطة العاصمة.

هل لديك خطط أكبر وأفضل؟".

قلت: "هذا صحيح"، وبدأت أشرح لها الخطة التي وضعتها لنفسى.

مثلاً هي الحال مع رولينز، أصبحت الآن متعاقدًا حرًا مع المباحث

الفيدرالية، حيث سأعمل مستشارًا في القضايا الأكثر حساسية وخطورة،

وكذلك مع قسم شرطة العاصمة.

قلت: "لقد تعبت كثيرًا، وأحتاج إلى تحدٍّ جديد. ومن منطلق أنني لن أستدعى

للعمل إلا في القضايا الأكثر حساسية، سيتوافر لي الوقت الكافي للعمل في

الاستشارات النفسية، وهو العمل الذي يمنحني الكثير من الرضا الذاتي".

"يبدو هذا رائعًا".

"أعتقد ذلك".

رأيت المرأة ذات الشعر الذهبي التي التقيتها في ساحة الانتظار تتجه

نحونا. كانت قد وضعت على عينيها نظارة شمسية كبيرة، وقبعة كقبعات

لاعبي التنس، وكانت تمسك في يدها فتاة صغيرة رائعة الجمال ذات ضفيرتين

كبيرتين، ترتدي سروالاً قصيراً وردي اللون وتحمل في يدها جاروفاً ودلوًا

صغيرين.

قالت المرأة: "المحققة أليسا؟".

أرجعت تيس رأسها إلى الخلف، ولم تتمكن من التعرف على المرأة.

نظرت المرأة نحوي ثم خلعت نظارتها الشمسية وقالت: "اسمي باتريشيا

يبليس".

شهقت تيس بقوة، ورفعت يدها المرتعشة لتضعها على فمها غير مصدقة.

فقد كانت هذه المرأة هي والدة الطفلة التي أطلقت تيس النار عليها بالخطأ.

قلت: "سأترككما لتحدثا"، ثم توجهت نحو الكتيبان الرملية.

تسلقت أحد الكثبان الرملية، وجلست على قممها لفترة طويلة، وكنت أحك كاحلي وأراقب الأشخاص الذين يتحركون على الشاطئ أسفل مني. رأيت باتريشيا بيلبس تسامح تيس أليا، كما وعدت. ألقنت تيس نفسها بين ذراعي المرأة، ثم بعد ذلك شيدتا قلعة في الرمال مع ميغان، الطفلة الصغيرة.

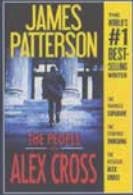
استغرق الأمر من علي بعض الوقت، ولكنه تمكن في النهاية من تعلم كيفية إلقاء خيط الصنارة، وسرعان ما اصطاد سمكته الأولى. ظل يرقص حول نفسه رافعاً ذراعيه في الهواء، وكنت أسمع صوت صيحات انتصاره التي غطت على صوت الأمواج.

ابتسمت، ونظرت إلى ما خلف الأمواج التي تضرب الشاطئ، إلى الأفق، شاعراً أن مثل هذه اللحظات، وتلك الانتصارات الصغيرة، كانت كافية وأكثر لكي أواصل العمل من أجل بث الخير في العالم، رغم أنف جميع الشبكات السوداء التي واجهتها طوال حياتي.

مكتبة | 719
سُرَّ مَنْ قَرَأَ

نبذة عن المؤلف

جيمس باترسون، هو صاحب الرقم القياسي العالمي لموسوعة جينيس ريكورد، لأكثر كاتب تصدرت كتبه قائمة صحيفة نيويورك تايمز لأكثر الكتب مبيعاً، وبيعت من روايته أكثر من ٣٥٥ مليون نسخة في جميع أنحاء العالم. ولأنه من المناصرين الدءوبين لقوة الكتب والقراءة، فقد ابتكر جيمس سلسلة كتب للأطفال، تحت اسم جيمي باترسون، ذات مهمة بسيطة: "نحن نريد من كل طفل انتهى من قراءة أحد كتب جيمي باترسون أن يقول: أرجوكم أعطوني كتاباً آخر". وكذلك فقد تبرع جيمس بأكثر من مليون كتاب للطلبة والجنود، وموّل أكثر من ٤٠٠ منحة دراسية للمعلمين في ٢٤ كلية وجامعة، كما تبرع بملايين الدولارات للمكتبات المستقلة ومكتبات المدارس، كما يستثمر باترسون بعضاً من عائدات سلسلة جيمي باترسون في مبادرات دعم القراءة.



يُحاكَم أليكس كروس في جريمة قتل.
ويعرف أن الأمر كان دفاعاً عن النفس،
ولكن هل ستري هيئة المحلفين الأمر على هذا النحو؟

telegram

التهم: مخيضة

الدليل: صادم

المتهم: أليكس كروس

@t_pdf

المؤلف الأكثر مبيعاً على مستوى العالم

"لا أحد يرقى إلى هذه المكانة الرفيعة إلا إذا كان صاحب موهبة مدهشة
في سرد الحكايات - وجيمس باترسون يملك القدر الوافر من هذه
الموهبة. وسلسلة أليكس كروس خير دليل على ذلك".

— لي تشايلد

"يفعل جيمس باترسون كل شيء، ولم يتبق إلا أن نضع إصبعنا في مقبس
الكهرباء لنشعر بمزيد من الإثارة".

— نيويورك تايمز

"لقد أصبح أليكس كروس من أعظم الشخصيات البوليسية على الإطلاق
- شخصية لكل العصور".

— دوغلاس بريستون ولنكولن تشايلد

يحمل **جيمس باترسون** الرقم القياسي المسجل في موسوعة جينيس للأرقام
القياسية للمؤلف الأكثر مبيعاً على قوائم صحيفة نيويورك تايمز على الإطلاق، وقد
باعته كتيبه أكثر من 355 مليون نسخة على مستوى العالم. كما تبرع بأكثر من مليون
كتاب للطلاب، والجنود، وموّل أكثر من 400 منحة لإعداد المعلمين في أربع وعشرين كلية
وجامعة. كما تبرع بملايين الكتب لمتاجر الكتب المستقلة ومكتبات المدارس.

لقراءة التبدات المختصرة والمعلومات عن المؤلف، زر الموقع الإلكتروني

JamesPatterson.com

لمزيد من المعلومات عن

إصدارات السلسلة بالكامل

زوروا موقعنا على شبكة الإنترنت

www.languageshome-eg.com

بيت اللغات الدولية languages home



ISBN 978-977-827-047-1



9 789778 270471